

تجارت صاحب الدقر

297.09   
العبد محمد عبد المجيد  
الاسلام الى الابد

297.09

A131A

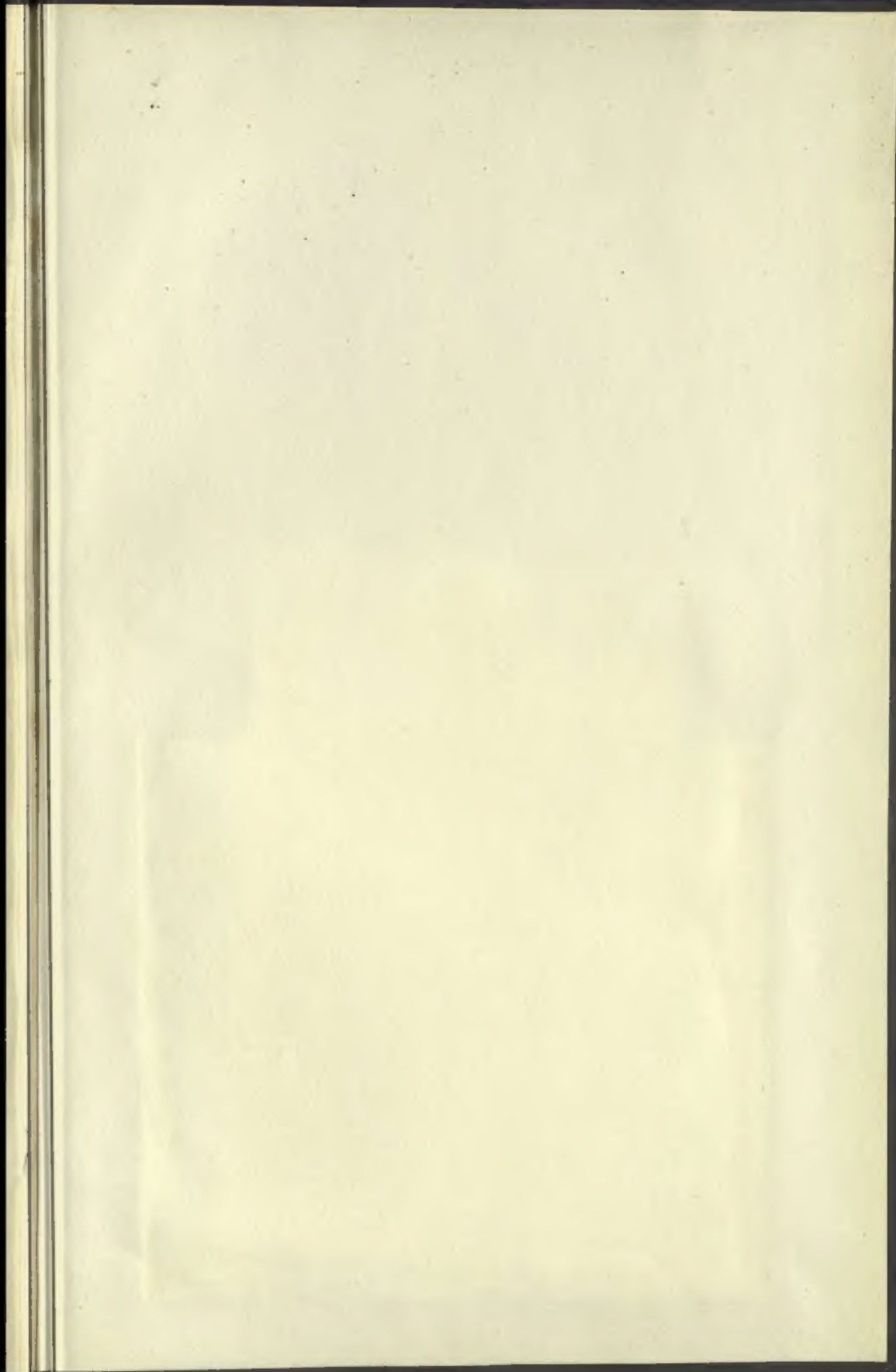
C-1

~~50 Mar~~ 70

~~13 Jan~~ 68

~~9 Apr~~ 70





297.09  
A13A  
C-1

كتاب

الإسلام والدولة الإسلامية  
في الهند

تأليف

محمّد عبد المجيد العبد

عضو مجلس الشيوخ

الطبعة الأولى

١٩٣٩

مطبعة الرغائب

سنة

باب الفوائد



\_\_\_\_\_

كتاب الفوائد

كتاب الفوائد

\_\_\_\_\_

كتاب الفوائد

كتاب الفوائد

سنة



# الاسلام والدول الاسلامية

## في الزمان

بينما كان سيدنا محمد رسول الله جالسا فوق ربوة وسلمان الفارسي مع بعض العرب يحفرون خندقا في الأرض اذ اعترضتهم صخرة حاروا في أمرها لشدة صلابتها فأخبروا النبي بذلك فقام وفي يده قضيب من حديد وضرب به الصخرة فتفتت وتطاير منها الشرر ولمع في الأفق برق شديد فنظر الرسول الى يمينه وقال لأعوانه « إني رأيت على ضوء البرق قصور الخيرة ومدائن كسرى » وعاد ثانية وضرب الصخرة فتطاير الشرر ولمع البرق فقال لأعوانه « إني رأيت على ضوءه قصور بنى الأحمر في الشام » . وعاد وضرب الصخرة مرة ثالثة فتطاير منها الشرر ولمع البرق في السماء فقال « إني رأيت على ضوءه قصور صنعاء » وبشر المسلمين بأن الله سيورثهم ملك كسرى وقبصر وقد تحقق ما قاله رسول المسلمين الى مدى ما كان يجهز في أحلام حالم . وغزت جيوش العرب شرقا وغربا وجنوبا فاستولت على جزيرة العرب بأجمعها وصارت راية الاسلام تتحقق على ربوع أفريقيا الشمالية وتركيا وفارس .

وفي سنة ٧١١ ميلادية أي بعد انقضاء ثمانية وسبعين عاما على وفاة صاحب الرسالة وفي عهد الوليد الأول الأموي كان الحجاج بن يوسف الثقفي واليا على العراق يلهب غيرة ويشتمل حماسا لنشر الدعوة الاسلامية . فأشار على الخليفة أن يسمح بإيفاد جيش لغزو بلاد الهند وهي أحد أقاليم الهند تجاور بلاد المعجم فصدر له الأمر بذلك فأختار فريقا من المسلمين ( يبلغ عددهم ستة آلاف )

اسند قيادتهم الى محمد بن القاسم . ولما وصل هذا الجيش الى سواحل السند  
وابتداً يتغلغل داخل البلاد وقف في طريقه « زاهر » — ملك السند —  
ولكنه لم يستطع الوقوف في وجه هؤلاء المجاهدين فانهمز وقتل هو وعدد كبير  
من جيشه وقد قال العربي الذي قتله :

الخيـل تشهـد يوم زاهر والقنا      ومحمد بن القاسم بن محمد  
أني فرجت الجمع غير معرد      حتى علوت عظيمهم بمهندي  
فتركته تحت العجاج مجندلا      متغفر الخدين غير موسد

ولما قتل زاهر غلب محمد على بلاد السند وفتح مدينة « راور » عنوة وكان  
بها امرأة لذاهر خافت أن تؤخذ فأحرقت نفسها وجواربها وجميع ما لها ولما اشتدت  
هزيمة الهنود طلبو الأمان من المسلمين فاجابهم ابن القاسم اليه وأصاب العرب  
مغانم كثيرة ومقداراً عظيماً من الذهب والجواهر قدرت يومئذ بمئة ألف ألف  
وعشرين ألف درهم فقال الحجاج صرفنا في النفقة على هذا الغزو ستين  
ألف ألف فرمحننا مثلها وأدر كنا نأرنا ورأس زاهر .

ولقد خلد محمد بن القاسم على حداثة سنه الذي لم يتجاوز سبعة عشر عاماً .  
لنفسه في بطون التاريخ اسماً مجيداً حيث أحرز أول انتصار لجيوش العرب في  
الهند . غير أنه مما يثير الأسف والحزن في نفس كل قارئ أن يعلم أن هذا القائد  
الشاب أنهم ظلموا بأنه قارب إحدى بنات زاهر فيما له علاقة بعقبتها فلما أرسلها الى  
الخليفة شكت اليه فأثار ذلك غضبه عليه فقتله شر قتلة . ولما شفت بنت زاهر  
غل نفسها منه حيث كان قد قتل والدها أخبرت الخليفة بحقيقة الأمر وفحرت  
بأنها انتقمت لأبيها من ابن القاسم باختلاقها ما نسب اليه فأذاقها الخليفة وبال  
فعلها وأعدمها وأسف على ظلمه لابن القاسم ولكن بعد أن أصبح الأسف  
لا يفيد ولا يرد البعيد .



ولقد كانت غزوة العرب للسند في ذلك العهد أقل الغزوات شأنًا وأثرًا فأننا إذا استثنينا بعض المصادمات التي كانت تقع بين جيوش المجاهدين الغزاة وبين قبائل الراجبوت المجاورة في أوقات متقطعة فإنه لم يحدث بعد ذلك شيء جدير بالذكر خصوصاً إذا عرفنا أن المنطقة التي أقام فيها العرب كانت تحف بها صحراء ذات طبيعة قاسية حالت دون توسع الغزاة علاوة على أن جيوش الخلافة كانت مشتبكة في أقطار أخرى متعددة مما حال دون إمداد العرب بقوات أخرى فوقت حركتهم هناك عند هذا الحد وبقيت خامدة جامدة إلى أن قدر لمسلمين آخرين بالعمل الأكبر الذي كان ولا يزال عظيم الذكر بعيد الأثر في شؤون العالم عامة والاسلام خاصة وذلك في سنة ٩٦٢ حيث استطاع « سبكتاجين » المملوك التركي المشهور « بخر الدين » أن يحتل مدينة غزنة عاصمة الأفغان وهو والد السلطان محمود غزنوي الشهير وكان هذا المملوك المجازف أول مسلم غير عربي هاجم الهند المتأخمين لحدود بلاده وبذلك مهد الفكرة وأفسح الطريق لابنه السلطان محمود غزنوي حيث نفذ إلى الهند من حدها الشمالي الغربي وقاتل الراجا « جيبال » ومن بعده قاتل ابنه « أنا ندابال » حيث ثار عليه وألب معه قبائل الهندوس وراجواتهم (أمراثهم) فهاجموا مدينة يشاور ولكن النصر في النهاية أحرزته جيوش المسلمين ويرجع الفضل في ذلك إلى بسالة الخيالة الأتراك ومن وقتئذ صارت ولاية البنجاب ملكاً تابعاً للمسلمين (إلا في فترة قصيرة كانت انتزعتها منهم السيك « أو السيخ » وقت تفوقهم) .

وفي سنة ١٠٢٥ وسنة ١٠٢٦ وقعت أهم غزوات السلطان محمود في الهند بولاية جوجيرات حيث أراد الاستحواذ على معبد سيفا وحينما بدأ تنفيذ خطته حيث سلك طريق أجمير ليتجنب صحراء السند وجد الهندوس متجمعين في مدينة « سومناه » للدفاع عن معبدهم وبدأ القتال واستمر يومين كاملين دون انقطاع

وهربت على أثر ذلك عساكر الراجبوت الباسلة ولجأ كهنة البراهمة الى معبدهم المقدس ولما اقتفى السلطان أثرهم الى داخل الهيكل توسلوا اليه أن لا يعتدى على أصنامهم مقابل قيامهم بأداء أى فدية يفرضها عليهم ولكنه أبى الا تحطيم أصنامهم إذ أنه لم يخرج طلبا لمال يغنمه بل مدفوعا بحماسة الدينى يريد محاربة الوثنية واعلاء كلمة الله ولما باشر تحطيم الأصنام تناثرت من أجوافها الجواهر الثمينة وقطع الذهب كما لو كانت مياهها تتدفق بسرعة من النوافير ويالها من غزوة جمعت بين الدين والدنيا !

ولقد حاز السلطان محمود شهرة كبيرة فى بلاد الشرق بين الأمم الاسلامية ولما اتسعت فتوحاته وثقلت أعباؤه ابتدأت تهرع اليه وفود المسلمين المتطوعين من كافة البلاد الاسلامية وخصوصا من إقليم « ما وراء النهر » . أى بخارى وخبوى — طمعا فى القتال معه وحبا فى الشهادة لما كان لحروبه من الصبغة الدينية وقدم له كثير من أمراء الهندوس فروض الطاعة وسلمت له مدينة « كونوج » عاصمة « راجاتومار » وقد كانت أشهر مدينة وقتئذ فى هندستان . ولم يزل محمود سائرا فى غزوه موقفا فى مجهوده تسلم له القلاع وتفر منه الأبطال وتحطم فى طريقه الأصنام وتمحى أمامه أثار الكفر حيث سار الى أن وصل سواحل المحيط الهندى وقد اجتاج محمود بجيوشه شمال الهند من نهر الاندوس الى نهر الجانجيز « الكنك » ولما طالت غربته هو وجيوشه عن غزنة عاد بسبب الحنين الى وطنه الأسمى أى الافغان ومعه من المغانم والأسلاب ما لا يدخل تحت حصر وقد امتلأت خزائنه بالذهب والفضة علاوة على الجواهر الثمينة ومن مزاياه أن مقره كان ملجأ يقصده رجال الفنون والآداب لتشجيعه لهم مما عاد على شعبه بجزيل الفائدة وصارت غزنة فى عهده كعبة لمشاهير الشرق من رجال السياسة والفلسفة والشعر والعلوم الفلكية واللغات الشرقية ( ومنها السنسكريت ) وقد قصده الفارابى والعتبى



والبيهقي المؤرخ والفردوسي وهو الشاعر الفارسي المشهور صاحب الشاهنامه التي أثبتت تاريخ أبطال الفرس شعرا .

وقد صرف السلطان محمود حياته في جهاد وتجديد وتشيد ولم يطل عمره كثيراً بعد هذه الفتوحات بل مات على أثرها ودفن في مدينة غزنة عاصمة ملكه في قبر يخف به جامع عظيم احتفظ فيه ببعض آثاره ومنها القضيبي الذي حطم به أصنام الهند ، وأبواب مدينة سوماتاه ولم تزل هذه الآثار باقية في أفغانستان حتى سنة ١٨٣٢ وبعدها فقد القضيبي ونقلت الأبواب الأثرية إلى الهند حينما غزا الإنجليز الأفغان سنة ١٨٣٩

لم تبقى أسرة هذا العازي في الحكم طويلاً ولم يعقبه من نسله أكثر من أربعة عشر أميراً لم يصف لهم فيها الزمان بل ناوهم أمراء جبال الغور وفي سنة ١١٥٥ انتهى حكم بهرام الغزنوي وتولى بعده علاء الدين الغوري الذي أباح مدينة غزنة الغنية - بما تركه مؤسس عائلة الغزنوي - وقد صارت خراباً ، وعندئذ هرب الأمير خسرو بن بهرام الغزنوي ولجأ إلى الهند ودخل مدينة لاهور وباقامته بها بدأت إقامة أول أسرة إسلامية في الهند . غير أن الزمان لم يسالم خسرو طويلاً وانقرض حكم هذه العائلة الغزنوية في عهد ابنه المسمى أيضاً بخسرو حيث أسره محمد غوري سنة ١١٨٦ وبذلك بدأ حكم عائلة الغوري الأفغانية ودالت دولة الترك الغزنوية وكان مؤسس عائلة الغوري الأمير عز الدين والد علاء الدين الذي دمر مدينة عرنة وكان لعلاء الدين ابنا عم أحدهما يسمى غياث الدين والثاني يدعى معز الدين (وهو المشهور لدى مؤرخي المسلمين بشهاب الدين محمد غوري) ، وهو ثاني غزاة الهند المسلمين وفي سنة ١١٧٥ غزا مقاطعة ملتان وفي سنة ١١٧٦ سقطت لاهور في قبضته وبذلك تخلص محمد غوري من مناظره من الملوك المسلمين في الهند . فلما تحقق له ذلك بأسره السلطان خسرو وإيداعه

سجينا في قلعة فيروزكوه شرع في محاربة الهندوس . ولقد كان من عادة عائلة الغزنوى السابقة أن تستخدم جنوداً وطنيين هندوس ولكنهم أبطل هذه العادة وجعل كل اعتماده على جيوش من الأفغانيين والأتراك والفرس الذين كانوا يشتملون غيرة على الدين فجهز منهم قوة كبيرة ونازل راجا برتوى وكان خصماً شديداً للبراس لا يفضل جيشه أى جيش في العالم حيث كانت وحداته مكونة من قبائل الراجبوت التي يخيل أنها ما خلقت إلا للقتال الى الموت وحتى أنه لم يتيسر لحاكم مسلم اخضاعهم الا بالاسم فقط ومما كان يجعل لهم قيمة عسكرية ممتازة وجود تنظيمات سليمة ومتقنة للرماية واتخاذهم مهنة الجندية من قرون عديدة كحرفة ويزيدهم حماساً في القتال أغانيهم الحربية فقد كانت تلهمهم شجاعة وبلغ من نبل أخلاقهم أنهم كانوا يتقيدون بصفات شريفة في معاملة خصومهم فكان من العار عندهم الخروج على هذه الصفات وكانت أول واقعة بينهم وبين محمد غورى جعلته يتصور من خطورتها أنها ستكون آخر محاولة له معهم إذ أن القتال الذي جرى ، عند مدينة « نارين » القريبة من « كارنال » كان شديداً الخطورة عليه إذ كثيراً ما هاجمت خياله جنود الخصوم ولكن شجاعة هؤلاء الحيالة واندفاعهم كان يفتر ويتلاشى أمام الراجبوت فكانت مهارة الراجبوت تفسد كل خطة وأخيراً ولأنقاذ الموقف هاجم محمد غزنوى شقيق الراجا وقتله ولكنه استهدف هو أيضاً للموت وكاد يسقط من جراحه لولا بساله مملوك معه اسمه « القلجى » الذى انشله كجثة وجرى به بعيداً وبذلك أنقذه من الموت ولكن جيش المسلمين تضعف ولم يسبق لجيش قبله أن هزم هذه الهزيمة الساحقة حتى أنه في تقهره لم يقف في مدينة لاهور بل عبر نهر الاندوس متراجعا الى بلاد الأفغان ولم يستطع السلطان أن ينسى ذكرى خذلانه بل لازمه الفكر ليلا والحزن نهائياً وفي خلال عام تجهز بجيش يقدر بمئة وعشرين ألف مقاتل بينهما أربعين ألف خيال وكلهم



أفغان وأتراك وفرس ، ولما عاود الكرة على خصمه السابق وجده في انتظاره بنفس المكان القديم ولما كان السلطان قد استفاد خبرة ودروسا من غلطاته الماضية فقد أرسل قسما كبيرا من جيشه لمهاجمة الهندوس فوجدهم ما زالوا محافظين على بأسهم وقوتهم القديمة فأعطى تعليمات لقواده بتصنع الهزيمة والتقهقر فنفذوا تعليماته فتمقبهم الخصوم مندفعين وراءهم كالسيل فباغتهم بهجوم عنيف باحتياطي جيشه فقتل كثيرا من جنودهم ورؤسائهم وأدخل عليهم القزع والرعب فتداعت صفوفهم وأصابها الخلل والارتباك ففروا لا يلوون على شيء طلبا للنجاة وعلى رأسهم الراجا برنوى ولكنه لم يتمكن من الفرار وفي النهاية وقع أسيرا وقتل . وكانت النتيجة أن ضم المسلمون إلى أملاكهم ولايات أجمير وهانسي وسيرسوتي واستمر تعقب الهندوس والتقتيل فيهم وهدم معابدهم وتحطيم أصنامهم وشيدت في أماكنها مساجد يتلى فيها اسم الله وتركزت ولاية أجمير لابن واليها السابق برتوى لينوب عن السلطان محمد في حكمها كما وأن المملوك قطب الدين ايبك عين واليا لدلهي ولما انقضى أجل السلطان محمد انتهز قطب الدين الفرصة ونادى بنفسه ملكا على دلهي وبينما كان منهمكا في اخضاع المدن العاصية في غرب الهند اذا بم قائد آخر اسمه محمد بختيار يهاجم شرقا في مدن البنغال حتى احتل مدينة لكنتاو وكانت العاصمة وقتئذ لهذه الولاية وبذلك تم اخضاع هندستان من الغرب إلى الشرق تحت حكم المسلمين ( معنى ذلك كل هندستان الشمالية ولم يتبقى إلا شبه الجزيرة في الجنوب وأهمها ولايات الديكان ) واسم قطب الدين ما زال منقوشا على المنارة المنسوبة له والتي لا زالت قائمة بين أطلال مدينة دلهي القديمة ولقد استمر الحكم يتعاقب في نسل هذا المملوك الملك إلى سنة ١٢٨٨م

ولقد تم استيلاء علاء الدين القالجي سنة ١٢٩٤ على عرش عائلة الماليك وذلك بقتله غيلة السلطان فيروز الذي حل محل الماليك ويعتبر علاء الدين القالجي

ثالث غزاة المسلمين الذين غزوا الهند وأقاموا بها : ولقد خاض حروبا طويلة في الولايات الجنوبية التي لم تكن وقتئذ قد خضعت لحكم المسلمين وهو الذي احتل معبد بهلسا وديوجيري ( دولة أباد ) في ولاية الديكان وقد بعث عدة قواد على رأس جيوش متعددة فاجتاحوا بها أواسط وجنوب الهند ومن بينهم مالك كافور الهندوسي الذي ارتد عن دينه واجتاح باسم المسلمين ولايات الجنوب والمشهور عنه أنه اعتدى على كل المعابد الهندوسية وجردها من كل شيء ثمين بها كما أنه لم يرحم السكان اذا صادروا في كل ما يملكون من ذهب وفضة .

وجاء في تاريخ الباراني أن علاء الدين حكم عشرين عاما في الهند اتسعت فيها حدود ملكه للدرجة لم تتفق لملك قبله وتوطدت الأمور وسار كل شيء طبق رغائبه وامتلات خزائنه بالذهب والفضة والجواهر وكان كثير البذل سفاكا للدماء أميالا يعرف مبادئ القراءة ولا الكتابة الا أنه كان موقفا في كل مقاصده خبيرا في قيادة الجيوش وإدارة الأحكام وحينما اغتصب الملك من الشاه فيروز صار ينثر الذهب في طريقه على أعوان الملك السابق استجلابا لهم وكسبا لولائهم فلما تم له ذلك قلب لهم ظهر المجن وقبض عليهم جميعا فقتل البعض منهم وسمل عيون الآخرين وصادر أموالهم واستصفي أملاكهم ولم يستثنى الا ثلاثة تنزهت نفوسهم عن قبول الرشوة وارتكاب الخيانة لسيدهم السابق فأعطى بذلك درسا عظيما للذين لا وفاء لهم ولا عهد . والذين يلبسون ثوب زيد لعمرو طبقا للظروف وتمشيا مع الهوى ولقد بالغ علاء الدين في احترام القواد الثلاثة الذين حافظوا على ولائهم لفيروز فأفاد بذلك الجيل المعاصر له درسا أخلاقيا متينا وجاءت سنة ١٢٩٧ فاجتاز المغول مضائق الشمال ووصلوا نهر الأندوس قاصدين مدينة دهلي ولم تكن في حالة تصلح للدفاع فلما صاروا على مقربة منها بجيش يبلغ مئتي الف مقاتل جزع أعوان الدين ونصحوا لهم بمسالمتهم فأبى



الاصحاء الى اقوالهم ودفع بظفرخان قائد الجناح الأيمن لجيشه الى ملاقاتهم فنجح في مأموريته وسحق الجناح الأيسر للمغول وحصده حصداً غير أن الجناح الأيسر لجيش علاء الدين تحت قيادة ولده أيلك خان تباطاً في حركته فأفسد نجاح جيش أبيه الحاسم . الا أن الرعب دخل على قلوب المغول ففي ظلام الليل فتفرقوا شذراً مدر واعتنق فيما بعد كثير منهم الدين الاسلامي غير أنهم لم ينتعدوا عن الدسائس وقويت عصبيتهم فحسب علاء الدين حساباً لذلك واستأصل شأقهم حينما علم أنهم يدبرون له المؤامرات وقتل منهم نحو أربعين ألفاً ولقد تمرد عليه الهندوس في مدينة سومنات فأوقع بهم ونقل صنمهم المعبود الى دلهي حيث ديس بالأقدام تأديباً لهم وتحقيراً وقد توالى انتصاراته وفتوحاته وعظمت شوكته فداخله الفرور وابتدأ يفكر في خلق دين جديد يضع فيه نفسه موضع التقديس كما خطر على باله أن يفعل الاسكندر الأكبر ( المقدوني ) فيغزو العالم ولكن من حسن حظه أن استشار من حوله من العلماء فنصحوا له أن يدع أمور الدين فهي من شؤون الأنبياء وأما غزو العالم فلم يقرره عليه واستصوبوا له أن يتم غزو باقي بلاد الهند التي لا زالت مستقلة والتي كانت تناوئه مثل ولاية « راتبور » و « شيتور » و « ملتان » و « ملوا » .

انصافاً لهذا السلطان أثبت كثير من المؤرخين أنه استمع للنصيحة وعمل بها وعدل عن خطته الأولى وعاد الى صوابه . ولقد دبر ابن عم له مؤامرة اعتدى عليه في أثناءها ولم يتركه المتآمرون إلا بعد أن ظنوا خطأ أنه قتل فتوجه ابن عمه الى سرايه واقتحمها فاعترضه « الطواشي مالك دبنار » ووقف في وجهه أمام باب الحرم وأقسم أنه لن يسمح له طائفاً بالدخول إلا اذا أظهر رأس السلطان غير أنه لم تمض برهة يسيرة حتى استجمع السلطان علاء الدين قواه ودخل على ابن عمه

الثائر فأدخل عليه الارتباك والخوف وقبض عليه ومعه بعض المتآمرين وقتلهم  
بعد أن مثل بهم .

وتتابعت بعد ذلك المؤامرات على حياته من أفراد عائلته وبعض مماليكه  
فاستشار في أمرهم حاشيته ووزرائه فقالوا لهم أن كثرة اليسار والنعمة أبطرت  
الناس وأن توالى اختلاطهم بسبب الحفلات التي يقيمونها جعلتهم يفكرون في  
أمر ليس من شأنهم وصارت وفرة الأموال تطفئهم حتى على شخصك العظيم  
فما كان منه إلا أن فرض ضرائب فادحة وصادر ذوى النعمة وسلب كثيرا من  
أموالهم وأملا بهم وتبدل اليسر عسرا والسعة في الرزق ضيقا وسار الكثيرون في  
كرب شديد وحيرة جعلتهم لا يفكرون إلا في الحصول على الضروري من  
القوت وأقام نظاما واسع النطاق دقيق الوضع في الجاسوسية والرقابة وحرم على  
الكبراء والعظماء أن يظاهروا بعضهم إلا باذنه أو أن يجتمعوا إلا بأمره  
حتى بلغ بهم الفزع إلى درجة صاروا فيها لا يتراوون إلا خلسة ولا يتكلمون  
إلا همسا أو إشارة وصار كل الهنود يرتعدون من بطشه خوفا وزاد في التضيق  
عليهم فمنع بتاتا بيع الخمر وشربه وحرم جميع الملاحى والعقاقير المخدرة وأمر  
بتحطيم كل أدوات الخمر وبدأ بنفسه فكسر كل الأواني من زجاجات وأقداح  
وأفرغ على الأرض ما كان مخزونا لديه من الخمر . ومما كان موضع اهتمام  
هذا السلطان الغريب تنظيم أسعار المواد الغذائية فقد جعل لها نمنا لاتعدوه فكان  
سعر الفلال مثلا .

كل ثمانية وعشرين رطلا ما يوازي خمسة عشر مليا

»	»	»	»	من الشعير ما يوازي سبعة مليات ونصف
»	»	»	»	من الأرز » عشرة مليات
»	»	»	»	من العدس » خمسة مليات



وكان من ضمن وسائله في مكافحة الغلاء أنه كان يصدر الأمر للجباة بتحصيل جانب من الضرائب بالنوع فكان بذلك يملاً كثيراً من مخازنه العامة بالمدن جيوباً فإذا قل الوارد ومالت الأسعار إلى الصعود أخرج جانباً من المخزون فيحصل بذلك رد الفعل المطلوب .

ومما عرف عنه أنه كان شديد القسوة على رعاياه الهندوس إذ فرض عليهم ضرائب فادحة لم تترك لهم من حاصلاتهم إلا القليل الذي لا يكفيهم إلا بمشقة حتى أنهم اضطروا في بعض الأحوال لقطع السنابل الخضر من مزارعهم قبل نضوجها وذلك لتلافي الجوع .

والذي يعتبر تاريخ عبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك ناقصاً إذا لم يذكر فيه الحجاج بن يوسف الثقفي كذلك يحد تاريخ السلطان علاء الدين إذا لم تذكر معه سيرة قائده الهندوسي كافور فانه بما أوتي من بطش وسطوة استطاع أن يضم جنوب الهند إلى حكم المسلمين وهو الذي ملأ خزائن علاء الدين بالجواهر والأصنام والنقود الذهبية التي بلغت زنتها ألفاً ومئتي طناً كما أنه أرسل معها عشرين ألف حصان وستمئة واثنا عشر فيلاً . وفي سنة ١٣١١ وصل علاء الدين إلى قمة مجده وبلغ كافور منزلة رفيعة لديه فأثارت الحقد والضغينة في قلوب الكثيرين لاسيما وأن كافورا استطاع بما له من النفوذ أن يستند وظائف الحكم في بعض الولايات إلى غير الأكفاء من أعوانه فكان ذلك سبباً في أحداث رد فعل شديد عقب وفاة علاء الدين ولقد أخذ كافور مقاليد الأحكام في يده وأجلس على العرش شهاب الدين عمر وهو طفل لا يتجاوز ست سنوات وسمل عيون أخوين له أكبر منه سناً وعاملهما معاملة غاية في القسوة كما أنه طرد أمهما الملكة واغتصب أملاكها ولقد أمعن كافور في وسائل حكمه الدموي حتى أنه فكر في تدمير مؤامرة واسعة النطاق يبيد بها معظم عائلات الاشراف

ولكن من حسن حظ هؤلاء أن بعض الجند فكروا في اغتياله ونفذوا مكيدتهم فيه إذ اقتحموا حجرة نومه وقتلوه فيها فخالوا دون انفاذ نواياه الخبيثة ولم يكن قد مضى على وراثته للعرش أكثر من خمسة أسابيع فاتتهز ابن كبير من أبناء علاء الدين فرصة الاضطراب الذي حدث بموت كافور وسمل عيني أخيه الصغير وجلس بعده على العرش وسمى نفسه « قطب الدين مبارك شاه » ولقد كانت أخلاقه متباينة ومختلفة كل الاختلاف عن أخلاق والده فقد عرف عنه لين الخلق وسهولة الطبع وكان سنه وقت اعتلائه العرش سبعة عشر عاماً وكان عبداً لشهواته فلجأ إلى اللهو والراحة وبدأ حكمه بفتح أبواب السجون وأطلق منها سبعة عشر ألف سجين وأعطى للجيش مرتب ستة أشهر وأكثر من إعطاء المنح والهبات وألغى كثيراً من الأحكام وأبطل كل الضرائب التي أحدثها والده وهكذا ذهب الخوف الذي كان مستحوذاً على الناس من صولة الملك وبعض جباة الأموال واندثر العهد السابق المملوء بالأوامر والنواهي الشاذة فصار الهنود لا يسمعون :

اعمل هذا — ولا تعمل ذاك .

قل هذا — ولا تقل ذاك .

أخف هذا — ولا تخف ذاك .

كل هذا — ولا تأكل ذاك .

وألف الناس العهد الجديد واندفعوا في حظوظهم وعاد صنع الخمر وبيعه وشربه وارتفعت الأسعار وتجهلت التسعيرات السابقة ونسى التجار الأمانة في المعاملات وارتفعت أجور العمال نحو ٢٥٪ وفشت الرشوة وبدأ الهندوس يستردون ثروتهم المفقودة ويتمتعون بالسعة في اللبس والمأكل وتغيرت الحياة كثيراً بما رفع من القيود السابقة التي صدرت في عهد علاء الدين ولقد ضرب قطب الدين مبارك شاه مثلاً سيئاً لرعاياه بانغماسه في الشهوات واحتقاره لأصول اللياقة وقد

ارتفع ثمن الجوارى والقيان من جنهين الى مثنى جنيه وذلك لاندفاع الناس  
كلهم في حطو ظهم وشهواتهم

اذا كان رب البيت بالدف مولما

فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

ومما زاد الحال سوءاً أن السلطان قطب الدين وقع تحت تأثير أحد وزرائه  
من طائفة النبوذيين وكان اسمه خسروخان فبيأ له كل وسائل الشهوات الخفية  
دون مبالاة أو تقيد بحياء . ثم انه هجر الصلاة ولم يعد يذهب الى المسجد كما ترك  
صوم رمضان وجاهر بالافطار وبذلك كان قطب الدين على تمام النقيض من أبيه  
في أخلاقه الا فيما يتعلق في القسوة في العقوبة إذ حينما ثار عليه « هار بلاديقا »  
في ولاية « ديفاجيرى » أسره السلطان ثم سلخه حيا ثم قتله ، ولما اتهم ابن عم  
له اسمه أسد الدين بالتآمر عليه بسبب امتيائه من فوضى الأمور كانت عقوبته  
أسره ومعه تسع وعشرون من أخوته وأطفالهم وذبحهم ذبح النعاج وأخرج  
نساءهم من البيوت الى الشوارع . كما أن أخوته لم يكونوا أحسن حالا اذ وضع  
ثلاثة منهم في قلعة وسمل عيونهم ثم أعدمهم . ولقد أتى بحاكم جوجيرات وحكم  
بإعدامه لو شأيات لم تثبت صحتها . ولما ثار عليه الراجا الهندوسى الجديد لولاية  
ديفاجيرى قطع أنفه وأذنيه وكثيرا ما نكل قطب الدين المبارك بالاشراف  
الذين كانوا مقرين من والده وذلك بإيعاز من المنبوذ خسرو

وفي سنة ١٣٢١ في احدى الليالى تجرأ خسروخان ودخل على سيده وقتله  
ورمى بجثته من احدى نوافذ قصره وخيرا فعل اذ أراح الناس من شروره  
واغتصب خسرو عرش « قطب الدين » في عهد امتلا بالعرب والخوف  
ولقب نفسه « بناصر الدين » وبدأ عهده بسفك الدماء والقسوة التي لم تعهد الهند  
مثلا ولقد تهجم على نساء قطب الدين وانتهك حرمتهم ووزع بعضهن كما وزع



بناته على بعض أعوانه ولم يقف عند هذا الحد بل اعتدى على كثير من بنات  
الأشراف ووزعهن على من يحيط به من الطبقات المنبوذة فكان ارتكابه  
لهذه الأعمال الحقيرة المثيرة واهراقه لدماء الأبرياء مما أحمرت له السماء غضبا ولقد  
أساء الى القرآن ووضع الأصنام في مساجد المسلمين وكان حكمه ممقوتا على السواء  
من الهندوس وغيرهم ولو أن أميراً من الهندوس جمع شتات طوائفه وحاول  
الاستحواذ على العرش لكان من الممكن نجاحه .

أما فيما يتعلق بالمسلمين فقد راعهم ما كابدوه من ظلمه ولجأوا الى  
« محمد بن تغلق » ( الغازی ) ذلك الرجل الذي كان رعباً للهندوس والذي وقف  
حارساً للبطائح والمستنقعات المناخمة للحدود حينما حاول المغول اجتياح الهند في  
عصر السلطان علاء الدين فحقق أملهم وأجاب نداءهم وجمع شتات القوى المتفرقة  
وقصد مدينة دلهي لتخليصها من يد هذا الطاغية خسرو الذي حينما علم بزحف  
ابن تغلق صار يجود بما تحت يديه من الثروات التجمعة ويوزع الأموال بسخاء  
ليجمع بها جيشاً يستعين به على رد الغازی الجديد الذي قصده لانتفاذ الحكم  
الاسلامي والشريعة الاسلامية ولقد تكلل مسعى ابن تغلق بالنجاح وقطعت رأس  
خسرو خان حيث وجد مخبئاً في احدى حدائق دلهي وذلك في سنة ١٣٢١ بعد  
انقضاء أربعة شهور كانت على الهند جميعاً واقترح « ابن تغلق » اختيار أمير من  
نسل الأسرة المالكة ولكن الجوع والجماهير بدلهي أصرت على المنادة به  
شخصياً ملكاً عليهم وقالوا له أنه أحق من يحكمهم اذ كان سبياً في خلاصهم من  
طغيان خسرو المرتد وأنه حقيق بولاء الجميع لما أسداه لهم من خدمات جليلة  
وانقاذهم من هول ما كانوا فيه .

## مجل بن تغلق

رجل الوفا

ابتدأ حكمه سنة ١٣٢١ ولم ينجب فيه أمل المؤمنين وهو الذي أنقذ الهند من شر المغول وحمل الحدود الشمالية من عبور العدو ولما ابتدأ عهده كملك استعمل الحزم في كل أموره فأعاد الأمن إلى نصابه وخفض الضرائب عن الأراضي الزراعية إلى العشر وإلى  $\frac{1}{4}$  قسماً من الحاصلات ثم أنه وصى الكثير من ضحايا خسروا وخصوصاً السيدات اللاتي انتهكت حرمتهم في سراي قطب الدين وحاول أن ينسبهن ما أصابهن بما قدمه لهن من أنواع المساعدة وأظهر عطفه الشخصي ولم يقال كثيراً كغيره في التشديد على المندوس ولم تكن الضرائب التي فرضها عليهم فوق احتمالهم .

ولقد عاد الرخاء مع الأمن وقت حكمه . ومن أعماله العسكرية أنه أرسل جيشاً إلى ولايات الديكان الثائرة وأتاب عنه في قيادتها ابنه « إيلك خان » فأخضعها ثم إنه قاد بنفسه جيشاً آخر إلى البنغال حيث ظهرت فيها الاضطرابات فاختار حاكمها « بفراخان » أسلم الوسائل وذلك بتقديمه فروض الطاعة والعبودية واسكنه أسر أخاه « بهادر شاه » الذي كان حاكماً على ولاية البنغال الشرقية وقاده ذليلاً إلى سجون دلهي ومات ابن تغلق سنة ١٣٢٥ حين عودته من الغزو اذ سقط عليه سقف بيت أثناء سيره ويقال أن ذلك كانت نتيجة لمؤامرة قام بها ابنه الأكبر وهو الذي ولي الحكم بعده وكان اسمه محمد بن تغلق ولقد كان من ملوك الهند الذين حازوا شهرة في الحكم في عهد القرون الوسطى ولقد كان المثل الأعلى في إنسانيته بالنسبة لمعاصريه وكان على جانب عظيم من الثقافة والالمام بكثير من العلوم الفلسفية والرياضية والمنطق وكثير من اللغات الشرقية ومنها

العربية وكان كثير التفكير في تنظيم الحكم على قواعد جديدة ومما طرأ على باله  
ايجاد عاصمة تتركز فيها سلطة الحكم كله وهي من الأساليب الحسنة إلا أن  
الأقدام عليها كان مخفوفاً بالخطر ويحتاج الى كثير من الحذر ولما شرع في تطبيق  
نظامه الجديد لم يعمل حساباً كافياً لما جبلت عليه الشعوب وقتئذ وما ألفته من  
الأنظمة وقد كان من نقط الضعف فيه العجلة في التنفيذ مما أثار عليه كثيراً من  
المتاعب والانقلابات وأنه لشدة وثوقه بخططه وتفكيره كان لا يطيق أن يخالفه  
أحد أو يراجعه في نظامه فكان ينزل بمخالفه العقوبات القاسية مما أدى الى  
الثورات والقتل.

وقال ابن بطوطة في تاريخ رحلته أن من أعظم ما كان ينقم على السلطان  
اجلاؤه لأهل دلهي عنها . وسبب ذلك أنهم كانوا يكتبون بطائق فيها شتمه  
وسبه ويختتمون ويكتبون عليها « وحق رأس خوند عالم (سلطان العالم) »  
ما يقرأها غيره ويرمونها بالمشور فاذا فضا وجد فيها شتمه وسبه فعزم على تخريب  
دلهي واشترى من أهلها جميعاً دورهم ومنازلهم ودفع لهم ثمنها وأمرهم بالانتقال  
عنها الى دولت آباد فبوا فنادى مناديه أن لا يبقى بها أحد بعد ، فانتقل  
معظمهم واختفى بعضهم في الدور فأمر بالبحث عن من بقي بها فخرج أهلها  
جميعاً وتركوا أثقالهم وامتعهم وبقيت المدينة خاوية على عروشها فحدثني من أتق  
به قال « صعد السلطان ليلة الى سطح قصره ونظر الى دلهي وليس بها نار  
ولا دخان ولا سراج فقال ، الآن طاب قلبي وتهدن خاطري ثم عاد وكتب  
الى أهل البلاد أن ينتقلوا الى دلهي ليعمروها فخربت بلادهم ولم تعمر دلهي  
لاتساعها وضخامتها وهي من أعظم مدن الدنيا وكذلك وجدناها لما دخلنا اليها  
خالية ليس بها إلا قليل عمارة .

هذه هي عبارة ابن خلدون ، والواقع أن السيب الذي دفعه الى بناء مدينة



أخرى هو أنه كان دائم التفكير في الاصلاحات من جميع وجوها وكان من بينها استبدال العاصمة دلهى بغيرها لتكون أكثر مناسبة بالنسبة لمركزها وكان من سوء الحظ أنه مع صواب فكره لم يفكر كثيرا في سكان دلهى والضرر المالى الكبير الذى يلحقهم بسبب حملهم على الانتقال الى مدينة أخرى والمشاق العظيمة الجثمانية التى سيكابدونها لبعده المسافة بين العاصمة القديمة والعاصمة الجديدة مما أدى الى مرض الكثيرين وموت عدد لا يستهان به من السكان أثناء الانتقال ثم فشل المشروع نهائيا واضطر للعدول عنها .

ومما زاد في متاعب هذا السلطان على الرغم من حسن نواياه وطيب سجاياه أنه كان كثير البذل الى درجة التبذير حتى أن سمعته فى العطاء والكرم انتشرت فى كل الأقطار فهرعت اليه الوفود والشعراء وطلاب الاحسان من جميع البلدان وكانت يده لا تنقبض عن البذل حتى أنه كثيرا ما خصص الى أفراد ايراد مدينة بل مركز بأجمعه فينقلهم فجأة من العسر الى اليسر الزائد ودام الحال على هذا المنوال حتى أصبحت الخزائن العامة خاوية الوفاض بادية الانفاض وقضى بذلك على الكنوز والثروات العظيمة التى كانت متجمعة لديه وألف عيشة البذخ والاسراف الذى تجاوز كل حد فأصابه العسر والارتباك فصار كرمه مهلكا لأنه وان كان أغنى بعض الأفراد الا أنه أفقر فى جانبهم الملايين الكثيرة من السكان حيث اضطر الى رفع الضرائب على المزارعين ونظر الى تغذية شهواته الخاصة بالمال دون أن ينظر الى الأثر الذى يحدثه مثل هذا التصرف فكانت النتيجة أن السكان وقعوا تحت أعباء ضرائب فوق طاقتهم فصاروا يهجرون المزارع ويهيمون فى الغابات والاحواش بين الوحوش والحشرات وأجدبت الضياع النضرة وأصبحت الخضراء يابسة وضافت سبل الرزق واختل نصاب الأمور وابتدأت بواعث الشر تبدو فى كثير من أنحاء هذه الامبراطورية الواسعة

وفشت المجاعات في بعض الجهات بحال مخيف جعله يثوب الى رشده ويحسب للعواقب حساباً فبدأ بتوزيع الاعانات للمحتاجين والجانعين في دلهى وغيرها واستمر على ذلك عدة شهور وبدأ يعالج حال الفلاحين بأن اختار لهم أحسن النظم للتسليف مما كان سيعود عليهم بأعظم الفائدة لو لم يتجرد المنفذون من النمة والأمانة وأدخل نظاماً جديداً من العملة ليستعين به على تفريج الأزمة ويبدو أنه اقتبس هذه الفكرة من بلاد فارس أو من كوبلاى خان امبراطور الصين غير أنه لم يجعل العملة ورقاً بل طبعها نحاساً يشبه العملة الفضية ذات القيمة الكبيرة المسماة « تانكا » واصطلاح على أن تكون بنفس قيمة الفضية ولذا سمى ( بامير النقود ) .

واقدم أعطى نظام المعاملات كل اهتمامه من وسائل الإصلاح . وكان في مقدمة القوانين التى أصدرها إعادة ضرب العملة على قواعد تجعل كل قطعة من نوع واحد متساوية الحجم كما أنه راعى نسبة قيمة العملة للقيمة المعدنية التى فيها وراعى الدقة فى نسبة الذهب الى الفضة وبالجمله فانه كان أكبر خصيص فى زمانه فيما يتعلق بمسائل العملة ونظام سكها .

غير أن هذا المشروع أيضاً بما كان له من جليل الفائدة لم يؤد الى العرض المقصود منه لأن نظام الضرب لم يكن وصل للدقة التى عليها فى وقتنا هذا وللأسف أن بعض الجشعين قلد كثيراً من هذه العملة مما زاد فى ارتباكها لأن بيوت الكثيرين من الهندوس تحولت سراً الى « ضرب خانات » وبذلك استطاعوا دفع ضرائبهم والقيام بتعهداتهم بالعملة المزيفة فزادت ثروتهم وانتهى الأمر بأن صارت خزانة الحكومة فى موضع يقرب من الافلاس وانتشر الذعر فى الأسواق واختل نظام المعاملات وقد كثرت انتشار عملة التانكا النحاسية التى اصطاح على اعتبارها كالفضة وتسكدست لدى السلطان حتى كانت من كثرتها

تبدو كالتلال وشوهدت مكدسة على هذا الشكل بعد مرور مئة عام في عهد مبارك شاه الثاني وعلى العموم فإن كثيراً من مشروعات هذا السلطان المثقف كان نصيبها الفشل مما جعله غير محبوب لدى رعاياه وكانت في الأزمان السابقة عرى التضامن لدى الولاة وثيقة حيثوا كانوا تقريباً كلهم من جنس واحد (أتراك) أما في عهد محمد بن تغلق فقد انقلبت الحالة وصار الولاة خليطاً من المجازفين الأجانب كالأنفان والفرس والحرسانيين والمغول الذين كان يفدق عليهم السلطان الكثير من هداياه الثمينة وكان الولاة في هذا العهد ينقصهم الولاء الذي كان يتحلى به من حكموا قبلهم ولم يتملصوا للسلطان بل تمردوا عليه وكانوا سبباً في تحطيم امبراطوريته الواسعة فانه ما كان ينتهى من اخضاع فتنة في ولاية إلا وتشب فتن في ولايات أخرى واستمر في آخر أيامه يخضع الثورات المتعددة حتى أصيب بالحمل وهو على نهر الاندوس ومات على أثرها في سنة ١٣٥١ ولم يترك ولداً يرثه ولكن رؤساء جيشه اختاروا فيروز شاه ابن عمه للعرش .

## فيروز شاه

تولى الحكم وعمره خمسة وأربعون سنة وكانت أمه هندوسية وتولى عمه العظيم تربيته ومما يؤثر عنه أنه حين ولي الحكم استدعى من أساء اليهم عمه وعوضهم واسترضاهم عما وقع عليهم من الاساءات والمظالم واستكتبهم اقراراً بأنهم تجاوزوا عن ما وقع عليهم ونسوا وغفروا له ما أوقع عليهم من الأذى ولما تم توقيعهم على شهادة الاستغفار لمحمد بن تغلق فتح قبره ووضع هذه الصكوك عند جثته تقرباً الى الله في أن يغفر له ذنوبه وكان هذا العمل الجميل يدل على النفي والنبل والوفاء لعمه وكان فيروز على جانب عظيم من رقة الطبع ولين القلب ورحمته مما جعل جميع الهنود يتعلقون به وصارت أعوام حكمه عهد سعادة وسلام



وكان كسميه فيروز الخالجي يكره سفك الدماء والتعذيب وذلك من هول ما رآه في الحكم السابق وجاء في مذكراته عن نفسه أن الله الرحمن الرحيم علمه وأمره أن يتجنب أذى الناس وقتلهم سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين وقد كان من صفاته بفض الحروب ولم يكن قائداً ولذلك رضى بأن تستقل ولاية الديكان تحت رئاسة حسن جنجو مؤسس الأسرة الهمانية التي استمرت في الحكم مئة وثمانين عاماً وتغيب فيروز عن عاصمة ملكه عامين ونصف حينما حاول استرداد البنغال وبعد أن قتل منه مئة وثمانين ألف نفس عصاه قلبه الطيب أن يهاجم حصون إكدالا التي التجأ إليها ملك البنغال وكان سبب عدوله عن المهاجمة بعد أن سنحت له الفرصة في النجاح محض الرغبة في حقن دماء المسلمين وفي غزوة أخرى توجه جيشه الى الهند ونفقت كل خيوله وقاسى أهوالاً كثيرة وانقطعت أخباره مدة طويلة عن دلهي اذ أنه ضل الطريق ولكنه تجلد واحتمل كثيراً من الصعاب وتمكن من تجهيز جيش جديد وعبر نهر الاندوس ونجح في غزو السند وحاصر الجمام (الأمير) حتى اضطر أن يسلم من الجوع فأسره وتوجه به الى دلهي وأحاطه بكل احترام ورعاية ثم أسند الملك لولده وكانت هذه أهم غزواته التي انتصر فيها وغاب عن عاصمة ملكه ثلاثين شهراً وكان يقوم بأعباء الحكم رجل هندوسي من أسرة عريقة في مكانتها اعتنق الدين الاسلامي وسمى نفسه (مقبول خان) وكان فيروز يحبه كثيراً ويخاطبه بألقب (خان جهان) أي سيد العالم وكان يعطى لكل ولد يولد له ألف جنيه سنوياً كما أنه كان يهب لبناته وقت زواجهن هبات كبيرة ويمكنك أن تدرك مقدار البذل لقبول هذا اذا علمت أنه كان يقتنى ألني جارية في سرايه من بينهن الرومية والصينية والفارسية ولكن الوزير كان يستحق كل اكرام لأنه أحسن القيام بأعباء الحكم في الأوقات المضطربة العصيبة خصوصاً التي تغيب فيها فيروز شاه وانه وان كانت

حدود امبراطوريته انكشيت الا أنها صارت أكثر صلاحية من حيث الحكم ونتائجها ومما مهد لذلك ما اتبعه الشاه ووزيره من الرأفة في معاملة الفلاحين حتى أن الديون التي سبق أن أقرضها محمد بن تغلق لرعيته أثناء عسره المالى أحضرت مستنداتها وصكوكها وأحرقت أمام الجماهير اعلانا للجميع بأن الفلاح قد حرر مما عليه من ديون للحكومة . ثم ان مقبول خن نصح لسيده بتخفيض الضرائب حتى صارت لا تتجاوز تعاليم الشريعة الاسلامية وكل محاولة دون ذلك كانت تقابل بأشد العقاب فدخلت الطمأنينة على قلوب الفلاحين وازدادوا يسرا وامتلات بيوتهم بكل أنواع الأرزاق من حبوب وخبول ومفروشات وكثير لذهب والفضة وكانت كل امرأة لديها حلى ومصاغات حتى خيل أن حكومة دلهى ورعاياها خضت ببركة الله .

ومن صفات فيروز حبه للعبانى العظيمة وكثيراً ما شيد منها واتفق أن ولد له ولد سماه ( فتح خان ) فوضع أساس بلد بمناسبة ميلاده سماها ( فتح آباد ) ( أى بلد الفتح ) . ثم أنه حفر ترعا عديدة أوصل بها نهر الجمنا بنهر ستلج ولا زال منها القنال يغذى مدينة دلهى بالماء باقيا الى وقتنا هذا ومما رواه بعض المؤرخين أنه قام بأعمال عظيمة نافعة من أهمها الخزانات والقناطر والحمامات العامة والقلاع والمساجد والسكليات والملاجىء والخانات لراحة المسافرين والحجاج ولقد كان من أثر القنالات والترع التي شقها أن استطاع كثير من سكان الهند الحصول على محصولين فى عام بدل من محصول واحد سابقا . وبلغ من عنايته بالشؤون العامة أنه أناط بطائفة من المهندسين مباشرة جسور الأنهار وتقويتها دفعا لخطورها فى مواسم الأمطار وهو الذى شجع غرس الحدائق فى الهند وغرس منها ألف ومئتين حديقة .

ومن حسناته أنه أوقف مساحات واسعة من الأراضى كانت غلتها تقدر

بثلاث مليون من الجنيهات سنويا وخصصها للعلماء وللتعليم الديني كما أنه أوقف أرضا أخرى يبلغ إيرادها مليون جنيه سنويا وكانت تنفق على المعجزة والفقراء ومن أقدمتهم الشيخوخة ، كما أنه أوقف مساحة واسعة على طائفة من النبلاء مقابل قيامهم بحماية حدود الامبراطورية والقيام بإدارة شؤون الحكم داخل ولاياتهم . وكانت من التقاليد المتبعة أن يزوره زعماء المقاطعات سنويا ويقدمون له الهدايا من ذهب وفضة وخيول وقيلة وجمال وسلاح وغير ذلك . وكان على كل واحد منهم أن يقدم من عشرة الى مئة من الرقيق وكان هؤلاء الأرقاء يتلقون التعليم على نفقة السلطان فتمرن بعضهم على وظائف الديوان والفريق الأكبر يتلقى التعليم والنظام العسكري وبعض الفنون والحرف والصناعات وكان أربعون ألفا يؤدون وظيفة الحرس وكان عدد الأرقاء أو المالكين الذين يستخدمهم الملك لا يقل عادة عن مئة وثمانين ألفا ، ومما يروى عن فيروز أنه جلس على أيوان له يشرب الخمر وكان في حالة لا تتفق مع مركزه ودخل عليه فجأة « تترخان » أحد قواده فبهت حين وجد سيده على هذه الحال وأنكر عليه فعله وكان ذا دالة على السلطان وأقسم له أنه لن يذوق الخمر ما دام في الجيش ومع « تترخان » ، فحمد القائد ربه وذهب الى حال سبيله . وكثيرا ما كان السلطان فيروز يصفى الى نصائح رجال الدين وارشاداتهم ولذا لم يندفع وراء شهواته بالشكل الذي يخل بالكرامة أو الواجب وأجمع المؤرخون على أنه كان محبوبا من جميع رعاياه لأنه كثيرا ما عالج مساوىء الحكم ومنع السلب من طريق الجباية وخفف الضرائب وأدخل التحسين على وسائل الرى ووسع الأسواق وقام بأعمال كثيرة أفسحت فرص العمل للعمال . وكان يسلك مسلك الوالد لرعيته فيعين المحتاجين ويساعد العاطلين ويصرح لمن وصل الى سن الشيخوخة أن يترك عمله مع استمراره في الاتفاق عليه وأنشأ مستشفيات لمداواة



جميع المرضى من كل الطبقات والطوائف بما فيهم الأجانب ولم يكن قاسيا على الهندوس بل عاملهم بالرفق غير أنه منع عبادة الأصنام والصور علنا وفرض ضريبة على البراهمة وكان يحافظ على فرائض الدين الاسلامي ويحافظ على الصوم والصلاة ويقوم بالاحتفالات العامة في الأعياد الدينية وزار كثيرا من المزارات كمسجد سلار مسعود وفي آخر أيام حياته ثارت عليه المتاعب الشديدة وذلك لفقدته وزيره المحبوب وازداد حزنا حين فقد ولده فتح خان وهزه هذا المصاب هزة عنيفة وأمسد الوزارة الى ابن وزيره السابق وسماه « خان جهات الثاني » أي سيد العالم الثاني فلما وقع الوزير الجديد تحت تأثير الوزير محمد ولي العهد رأى الملك أن يتنحى له عن العرش غير أن هذا الأمير لم يسلك مسلكا حسنا واندفع وراء الشهوات فثار ذلك ثائرة المليك في دلهي فتقدم فيروز لاهباط الثورة واحباطها فلما وقع نظر الثوار عليه هدا كل شيء وهرب ولي العهد فعين السلطان حفيده « تعلق شاه الثاني » ابن « فتح خان » وزادت بفيروز الشيخوخة والضمف فمات سنة ١٣٨٨ عن تسعين سنة ولم يحكم الهنود ملك تمتع بمحبتهم كفيروز فانه لم يسلك ملك مسلكه في عدله وشفقته برعاياه وتقيدته بفضائل الدين علاوة على ما أبداه من همة في التجديد وتشديد في الأعمال النافعة وقد جاء في مذكراته القصيرة التي تركها وصفا للوسائل التي اتخذها في مقاومة المروق عن الدين وكافة الأعمال الشريرة أنه بفضل الله تحاشى فعل الأذى واراقة الدماء وارتكاب المظالم وبعبونه استطاع أن يبدى صفحته الطيبة من رفق ولين وعدل في الأحكام .

## عهد الانحلال

### العائدت الافرليبية

كان حكم فيروز شاه الطويل السعيد من شأنه تهدئة الثورات التي كانت

عادة عند الهنود في العهود السابقة وسبب هذا الهدوء في عهده ما كسبه من حب رعاياه واحترامهم له فلما مات نشأ جيل جديد لم يكن يعرف الأحكام القاسية . المعاملات الخسنة الشديدة التي وقعت في الأيام السابقة في عهد علاء الدين ومحمد تغلق . ولم يعتادوا أيضا الخوف ولا الهيبة منهم . ومن الوسائل التي اتبعها فيروز أثناء حكمه السابق وجعل جل اعتماده عليها في إعداد الجيوش اختيارهم من طائفة الممالك وكانت الأغلبية من الهندوس الذي غير كثير منهم دينهم ظاهراً ولسكنهم كانوا يدينون بالولاء لفيزوز لحسن معاملته لهم ، لسكنهم لم يشعروا بنفس هذا الشعور خلفه وهو حفيده « تغلق الثاني » إذ كان طائفاً منهم كما في الشهوات والخمر فتألب عليه الأمراء والمالكي وقتلوه قبل أن يتم خمسة شهور في الحكم وتليه في الحكم حفيد آخر اسمه أبو بكر ولكن نازعه في العرش عمه محمد الذي سبق أن فر من ثورة المالكي في حياة والده فاكتفى وقتها بحكم مقاطعة في البنجاب وبعد عدة محاولات فشل في بعضها عاد فنجح في دخول دلهي سنة ١٣٩٠ وحكم لمدة أربعة أعوام كانت كلها اضطرابات حيث ثار ضده الهندوس ومات وخلفه في الحكم ابنه همايون الذي لقب نفسه بالأسكندر ومات بعد أن حكم ستة أسابيع وجلس بعده على العرش أخوه محمود من سنة ١٣٩٤ الى سنة ١٤١٢ الا أن عرشه لم يكن ثابتاً فكان يقيم أحياناً في دلهي وأحياناً يضطر الى الفرار الى « كانوج » وكان ابن عمه نصرت شاه ابن فتح خان يناوئه وكان كلا الملوكين ألعوبة في أيدي الأمراء ذوي المطامع السياسية وهكذا وصلت مدينة دلهي الى حالة مضطربة ثم باغتها تيمور خان باثني وعشرين (أورطة) كل (أورطة) منها تحوى ألف خيال وكان هذا الغازي ذائع الصيت في كل أنحاء العالم للأعمال الحربية العظيمة التي قام بها حيث غزت جيوشه أواسط آسيا والعراق والعجم وأفغان وآسيا الصغرى وقبل أن يدخل الهند

عرض فكرته على مجلسه الحربى فوجد الكثير من أعضائه يحاول اقناعه بالعدول عن هذا المشروع لما يعترضه من الصعاب والأخطار اذ كان المفروض على جيش يقوم بهذه المأمورية الشاقة أن يعبر خمسة أنهر عظيمة ويخترق غابات كثيفة ويصادم محاربين ذوي مراس وجلد خصوصا فى الغابات وكذلك ملاقات الأفيال المجهزة بأسلحة مسمومة ولكن الفريق الآخر أشار عليه بعدم التردد واستشهدوا بما سبق أن فعله محمود غزنوى ( محطم الأصنام ) بقوة تقل عن جيشه بكثير وأيدهم فى هذا رأى أولاد تيمور ورجال الدين فاعتمد الفكرة الأخيرة وقد جاء فى مذكرات تيمور أن الباعث على عزو الهند هو ( محض الرغبة فى محاربة الكفار ونشر الدين الحق طبقا لما جاءت به تعاليم محمد صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله ولتطهير البلاد من رجس الكافرين ولتحطيم أصنامهم وهدم معابدهم ولكى نصير عزة ومجاهدين وقادة لجيوش المؤمنين ) .

وعلى ذلك تقدمت طلائع جيشه تحت قيادة حفيده بير محمد الذى اخترق كابل وقصد نهر الاندوس فى نهاية سنة ١٣٩٧ وحاصر مدينة ملتان . وفى أوائل سنة ١٣٩٨ سبقه تيمور واخترق الجبل ذات الثلوج المتراكمة والصخور الشديدة الانحدار وظل فى سيره بعد أن قطع غورا ووديانا وعبر نهر شيناب بعد أن وضع عليه الكبارى العائمة وأدرك حفيده بعد ما تم احتلال ملتان ثم مار شرقا وانتشر عن جيشه السير الخفيفة اذ كان يسلب ويقتل كل من قابله من الأهالى ولذلك فر سكان ( ديلابور ) ولجأوا الى قلعة بهات نير فى راجبوت ليحتموا فيها فطوقها تيمور وذبح بها عشرة آلاف هندوسى فى ساعة واحدة وكان كلما سار وقصد بلدا وجدها خاوية لفرار سكانها فانه قصد سيرسونى وفتح آباد فلم يجد بها أحدا وهام الناس فى الاحراش والغابات . وفى أواخر سنة ١٣٩٨ وصل الى سهل باتيبات على بعد أربعين ميلا من دلهى ولكن لم يقف فى وجهه



رجل واحد فبعد أسبوع وقف أمام حصون دلهى وفي سبعة عشر ديسمبر سنة ١٣٩٨ عبر نهر الجنا ووزع شعابا من الحديد على عسكره ليدافعوا بها الأفيال وكان تحت أسره مئة ألف هندوسى فرأى أنه ليس من الحزم تركهم أحياء وقت حدوث الموقعة فأمر بذبحهم جميعا . ثم هاجم مدينة دلهى فقابله للدفاع عنها السلطان محمود وقائده إقبال خان ومعهما عشرة آلاف خيال وأربعمائة ألف جندى (زيادة) ومئة وخمسة وعشرون فيلا وقد بذل الهنود شجاعة فائقة ولسكنها لم تنفع أمام تيمور لمهارته فى القيادة وضخامة جيشه فى العدد . فلما رأى السلطان وقائده أن الدائرة دارت عليهم فروا بأفياهم الى داخل المدينة ثم هربوا بعدها الى الجبال واعتصموا فيها فدخل تيمور المدينة وصلى ركعتين لله حمدا بجانب قبر فيروز فجاء اليه قادة الجيش المتهور وقدموا خضوعهم له واحتراما لرجاء العلماء قبل الفدية عن السكان وعافاهم من المذبحة والسلب كهادته ولكن للأسف لم تتحقق هذه الطريقة السلمية لنزاع وقع بين الذين يحصلون الفدية وبين دافعيها علاوة على أنه كان من الصعب كبح جماح جيش من التتار اعتاد فى كل وقائمه الاستحواذ على الغنائم والاسلاب ولذا وقعت المدينة تحت فوضى السلب والنهب واسترقاق السكان لمدة ثلاثة أيام وكان مما أعجب تيمور ضخامة البناء وحسن بهانه فأرسل كثيرا من الصناع وأرباب الحرف والفنون من سكان دلهى ليذهبوا الى سمرقند لينتفع بمواهبهم هناك وكان مما استحوذ عليه تيمور كل ما فى البلد من أحجار ثمينة وذهب وفضة وحرار ولم يعف من سكان دلهى الا القسم الذى كانت تقيم به عائلات الأشراف (أقارب النبى) والعلماء ، ومما قال تيمور أنه قال أن لا تمس دلهى بسوء ولكن ارادة الله قضت أن يقع الشقاء على البلد وبعد اقامة تيمور فى دلهى نصف شهر خرج ليتم الغزو الذى كان يعتبره فى سبيل الله وهاجم عدة مدن منها ميراث وفيروز آباد وأساء معاملته أهلها وذبح كثيرا من

الرجال والنساء والأطفال وكان مما خفف ويلات الهند من غزوته أن نفسه تآقت للرجوع الى سمرقند ولولم يكن ذلك لاحتياج الهند بأكدتها وتضاعف ضرر غزوه وعلى العموم فإن وادي الأندوس والجنجيز واقليم البنجاب وهى المناطق التى حارب فيها وقعت فيها المجاعات الشديدة والخراب التام . ولم يبرحها الا بعد أن قتل الآلاف من ( الكفار ) واستحوذ على كل ثمين فيها وبذلك رأى أنه أدى الفرض الدينى والفرض الدينوى من الغزوة ولما ترك غضب الله ( كما كان يسمى تيمور ) بلاد الهند ابتداء الهنود يظهرون من مخابهم كما لو كانوا أربابا أمنوا من الصياد

والذى يتبع سيرة تيمورخان وسيرة ما كان يذكره من الغيرة على الدين الاسلامى والبغض للكافرين تملكه الحيرة والدهشة إذ أن الملمين بتاريخه يعرفون أن أكثر البلاد التى أثار عليها حربا وسمى فيها فسادا وتخريبا بلاد معظمها اسلامية أو تحت حكم المسلمين فآسبا الصغرى والشام والعراق والمجمل والأفغان وبعض الولايات الهندية كانت اسلامية دينيا وحكما ولم تنسكب هذه البلاد نكبة فظيمة كادت تقضى على كل ما هو اسلامى الا فى عهد تيمور المتبحر بالغيرة على الاسلام وليس بمعجيب أن يظن الكثير أن تيمور كان كافرا فإن ما ارتكبه ضد الانسانية يخرج به عن كل دين

نعود الى الهند فنجد أن اقبال خان فرض حكمه على دلهى ومنع السلطان محمود أن يعود اليها فأقام له حكومة فى كانوج . ولما مات اقبال خان فى موقعة بينه وبين خضر خان الوالى للثان من قبل السلطان محمود عاد السلطان الى عاصمة ملكه وقد ضاقت مساحته كثيرا عن ذى قبل بسبب قيام ثورات من الهندوس انفصل بسببها بعض الأقاليم ومات السلطان التمس فى سنة ١٤١٢ بعد نضال مستمر مع أتباعه السابقين وفى خلال سنتين استطاع نائبه خضر خان ( أى فى

سنة ١٤١٤) أن يحكم في دلهي كوكيل لتيمور فانه أراد بذلك أن يأمن جانب  
الأمرء الذين كان يحتمل أن ينازعوه . وبذلك استطاع أن يؤسس عائلة  
الاشراف ( السيد ) . وقد تربع منهم في الحكم أربعة كانت مدتهم لا ينقطع  
فيها القتال أو الثورات وكان نفوذهم ضئيلا لم يعد منطقة ضيقة المساحة حول  
دلهي . ولم يكن في مقدورهم جباية الضرائب لضعف سلطتهم فكانوا يلجأون  
الى الخيلة وتفككت الامبراطورية العظيمة وصارت أجزاء البعض يحكم فيه  
الهندوس والبعض يحكم فيه المسلمون وكلهم يعملون ضد بعضهم مما جعل هذا  
العهد من الحكم كقطع الليل الأسود اذ كان يسود فيه النزاع والحصام والدسائس  
وتفرقت السكامة وتضعضع نفوذ المسلمين وعات سلطة الهندوس حتى خيف على  
الحكم الاسلامي أن يستهدف للزوال واختفى ما كان للفرقة السابقين من سطوة  
وهيبة في قلوب الهندوس وانتقل الحكم من عائلة الاشراف بعد أن قتل مبارك  
شاه بواسطة وزيره مما مهد السبيل الى عائلة «لودى الافغانية» وعلى رأسها السلطان  
بهلول الذي غزا دلهي سنة ١٤٥١ وقد أعاد حكم هذه العائلة شيئا من رونق  
الحكم السابق وسطوته ورد لدلهي شيئا من رونقها وعظمتها وكانت وقتها باقى  
بلاد الهند منقسمة لولايات صغيرة لم يكن لها تاريخ جدير بالذكر اللهم الا في  
شدة انحطاطها في ذلك الحين .

وقبل أن يصير بهلول ملكا كان تاجر خيل واتفق أن باع عددا كبيرا منها الى  
أحد ملوك دلهي السابقين فأعطاه التزاما ( جاجيرا ) ( مساحة من الارض تحوى  
قرى ) ليستوفى من ضرائبها ثمن الخيل فكان سببا في اتساع ثروته واتفق له أن  
مر على أحد الدراويش ( طائفة من فقراء وصلحاء المسلمين يعتقد بعض الناس  
فيهم ) صحبة صديقين له فابتدروهم الدراويش من منكم يشتري منى عرش  
دلهي بالنفى تانسكا ( عملة فضية ) فما كان من مالك بهلول الا أن أخرج



الف وثلثمائة تانسكا وهي كل ما كان معه ووضعها أمام الدرويش وقال له « هذا كل ما أملك » فقبل الدرويش العطاء وقال له « أرجو أن تسعد أمبراطورية دلهي في عهد حكمك » فسخر من ذلك صديقه ورماه بالتخريف فقال لهما بهلول « لن تحقق وعد الدوريش فاني أكون قد ربحت صفقة طيبة واذا لم يتحقق فانما يكون المبلغ الذي دفعته صدقة لا أحرم أجرها عند الله »

وكانت مكانة بهلول ترتفع شيئا فشيئا الى أن بدأ يطمح في الملك وكان يخشى من حامد خان منافسه . وفي يوم من الأيام دعا حامد كثيرا من الأشراف الى وليمة ومن بينهم بهلول ( لم يكن مسلكا وقتها ) وكان من عادته أن يستصحب معه حاشيته من الأفغان لحراسته كلما انتقل ففكر أن يباغت حامدا بهم ولكن لا يثير شكوكه وخاوفه أفهمهم أن يتصنعوا في مظهرهم ما يدل على البلاهة والبساطة فعلق بعضهم أحذيتهم في رقابهم وظهروا بمظاهر غير العقلاء فدهش حامد لذلك وحينما أدخل الشرفاء الى المحل المعد للوليمة دخل الأفغان صاخبين محتجين على منعهم وسألوا حامدا لماذا يمنعون ويدخل سيدهم مع أن حامدا سيد الجميع فابتسم حامد وخدع بظاهر بساطتهم وأمر أن لا يتعرض لهم أحد ولما دخلوا الحجرة وجدوا أبسطة ذات ألوان حمراء فرجوا حامدا أن يقسمها بينهم ليستعملوها بطاطين وليسلوا قطعاً منها لمواطنيهم كتذكار فازداد بهم سرورا وقال « اني سأعطيكم هدايا أحسن منها بكثير » واستمروا في خدائهم الى أن ارتاح اليهم كل الارتياح . وفي الوقت الذي خرج فيه المدعوون من الوليمة يصحبهم الكثير من رجال حامد خان تخلف الأفغان اتعاما لمكيدتهم فقام « قطب لودي » أحد أفراد عائلة بهلول وكان معهم وأخرج سلسلة من المعدن ووضعها في رقبة حامد وقال له : « خير لك أن تتنحي عن الخدمة العامة وبما أنتي أكلت معك ملحا فلن أتعرض لك بأذى وقبض عليه وسلمه الى حاشية بهلول فصارت الفرصة سانحة لتسلم العرش فاتهزها بهلول لودي .

## بهاول لودی خان

١٤٥١ - ١٤٨٨

كان حكمه موقفاً سعيداً ، وأجمع المؤرخون على امتداح خصاله حيث راعى العدل في أحكامه وعامل حاشيته كما لو كانوا من زملائه لا من رعاياه ، وكان يتجنب الجلوس على كرسي العرش لتواضعه وكان يكن التظاهر بالعظمة ويحب مجالسة العلماء ويكثر من منحهم الهبات والعطايا . وجعل اعتماده في الحروب على جيش من المغول يبلغ عدده عشرين ألف وكانوا موضع عنايته وحبه ، وبما يؤثر عنه شدة رعايته لإدارة الأحكام وصرف أيام حكمه في حروب كثيرة مع مملكة « جاونبور » أي المملكة الشرقية وكان الحد الفاصل تقريباً بين مملكة دلهي وجانبور هو نهر الجانجيز .

وكان من صفات بهاول العناية بالشئون الدينية والشجاعة والكرم وشدة الاهتمام بتنفيذ القوانين ، واعتاد أن يصرف وقته مع الرجال العقلاء ورؤساء الدين مع كثرة الاستفهام عن الفقراء والمحتاجين ليمدهم بأعاناته ومساعداته ، وكان لا يرد سائلاً ، ويصلي دائماً مع الجماهير ، وصرف كل ما آل إليه من مال على الجند والفقراء واعتاد أن لا يدخر شيئاً ، وكان يجلس مع رعاياه كأحدهم ولوحظ في مكاتباته شدة احترامه لمن يكاتب من الأشراف وكان يوجه لهم الاصطلاح المعروف ( مسند على ) ( وهي عبارة احترام بالفارسية ) وإذا عرف أن أحد أعوانه انحرف عنه ذهب إليه وأظهر أقصى درجات التواضع من جانبه حتى يعيد القلوب النافرة منه إلى محبته . وكان يواسي الكثير من المرضى ولم يهزم طول حياته في موقعة من مواقفه الحربية ولما مات تولى بعده ابنه .

## السلطان اسكندر لودى

وكان اسمه سابقا نظام خان وقد جاء فى تاريخ الداودى أن السلطان  
أسكندر فكر فى ذبح الهندوس الذين يكثر تجمع الآلاف الكثيرة منهم فى  
مولد تانيسوار فنصح له أحد حاشيته قبل الاقدام على ذلك أن يشاور العلماء فلما  
اخذ رأيهم نهوه عن ذلك فأنهى وجاء أيضا أنه كان متعلما وذا أخلاق هادئة  
ميالا للأحسان والسخاء ويكره التجبر والكبرياء وينفر من قريب كل واحد  
منه لم يشتهر بحسن السيرة ولم يكن يجالس إلا العلماء والفضلاء ويخشى الله كثيرا  
وكان كبير الاهتمام بتطبيق العدالة ويعمل كل ما يعود على رعيته بالسعادة والخير  
ويقطع طول الليل فى إدارة شؤون ملكه وينام فى منتصف النهار قليلا . وشيد  
عدة جوامع ومنع إقامة الموالد منعاً باتا لما كان ينتشر من الفساد بأقامتها وكذلك  
حرم على النساء زيارة المقابر والاقامة حولها . وقبل أن يموت اسكندر نجح فى  
إعادة الولايات التى كانت قد فقدتها حكومة دلهى وأعاد اليها مجدها القديم  
ولكن مما يلاحظ أن عائلة لودى عادت فى حكم الولايات الكثيرة الى ضباط من  
الأفغان وإلى بعض الأمراء من عائلة لودى والعنصر الأفغانى يتوق دائما الى الحرية  
الفردية والاستقلال ومن صفاته أنه يخضع للقوة أكثر من القانون ولذلك أدى  
الأمر الى أن يسود فى هذه الامبراطورية حكم الأفراد أكثر من حكم القانون  
العام ، بل كاد كل فرد من الولاة أن يكون مستقلا بولاياته وكانت شدة تواضع  
اسكندر هى السبب الأساسى الذى أبقى على رابطة هؤلاء الولاة وانقيادهم الى  
ملكهم ، إلا أنه مات سنة ١٥١٧



## ابراهيم لودي

ولى الحكم سنة ١٥١٧ وكانت أخلاقه مفارقة لأخلاق أبيه بالمرّة وقد جاء في تاريخ الداوودى أن حاجات المعيشة فى أيامه كانت رخيصة ووافرة وكانت الغلال والثياب وأشياء أخرى متنوعة قد بلغت مستوى رخيصة لم يحصل أن بلغته فى عهد من المهور قبل حكمه إلا اذا استثنى عهد السلطان «علاء الدين الخلجى» ومع ذلك فى عهد علاء الدين كان السعر مخفضا لا بطبيعته بل بسلطة القانون والادارة أما سبب رخص الأشياء فى عهد ابراهيم فيرجع الى أسباب طبيعية فان الأمطار فى الهند تصادف أن انتظم نزولها بالمقادير التى يصلح بها الزرع كثيرا فكان عهدا مباركا للفلاحين غير أن هذه البركة فى الأرزاق لم تقترن معها أحكام مباركة ، بل كانت أيام ابراهيم مصحوبة بالقلقل المستمرة وصدور الاحكام القاسية وكان سوء ظن ابراهيم لودى فى كثير من ولااته وحاشيته سببا فى هلاك كثير منهم فقد قتل عددا لا يستهان به خصوصا من أقاربه وكانت الملك أخ اسمه جلال خان يحكم فى ولاية اسمها جادينور ووقع بينهما الخصام واستفحل أمر جلال حتى احتل مدينة أحرأ (عليكرة) — واسكن حاكمها مالك آدم خان أصلح بينه وبين أخيه وأقنعه بالرجوع عن خطته ووعدته بأن يضيف اليه مقاطعة صغيرة بجانبه ولكن الملك رفض شروط الصلح وحرض عليه قبيلة الجوند فأوقعته فى شركها وسلمته للسلطان ابراهيم فأعدمه فى الحال وكان الملك قد حنق أيضا على وزيره ميان بهوا فاتفق على أن يدبر له مؤامرة فطبيعة فأمر بأعداد بناء جديد وأوجد تحت سرديا فى الأرض وملاءه بأكيام من البارود ثم لما أتم كل هذا أظهر رضاه عن ميان ودعاه اليه وأحاطه بكل أنواع الاحترام والتكريم ثم أوعز اليه أن يصطحب معه فريقا من الاشراف (من يضرهم الملك الكراهية) وأن يتوجهوا الى البناء الجديد وينفردوا بالنظر

في أمر اسلام خان وهو أحد قواده الذين شقوا عليه عصا الطاعة وقال لهم أن  
يماجوا مشكلة اسلام خان العاصي بما يتراءى لهم وبعد أن يجمعوا على رأى يتقدموا  
به لينفذه ونظرا لما أظهره نخوم من الاحترام توجهوا جميعا دون أن يتطرق اليهم  
الشك وجلسوا في البناء الجديد للتداول فيما أنيط بهم وأشعل البارود عقب  
دخولهم وانفجر البناء وأطار المكان ومن فيه في الهواء ولم يسلم أحد منهم بل  
طارت أجسامهم قطعاً وأشلاء وكان أكبر مستشار مؤتمن لابراهيم شاه وزيره  
أعظم همايون ولكنه قتل بمجرد الشك فيه اذ وضع في السجن وأسقوه كأس  
سم قضى عليه ولا زال السلطان ابراهيم يشك في حاشيته حتى استأصل شأفة  
معظمهم ثم تحول الى الولاية فبدأ يعيدهم واحداً واحداً وكان من أكبر ولاته دولت  
لودى خان حاكم البنجاب فاستدعاه الملك فتخلف وأرسل ولده ديلاور خان  
بدلاً عنه فلما سئل عن تخلف والده قال أن ذلك يرجع لانهما كه في إعداد هدايا  
عظيمة عزم على التشرف بتقديمها فأمر الملك بأخذ دلاور الى حجر السجن  
فوجد بعض الأعيان وقد علقت أجسامهم حيث كانت أرجلهم من الأعلى  
ورؤوسهم نحو الأرض فاستولى عليه الرعب وتحايل حتى هرب وذهب لوالده  
وحذره من الملك وقال له أنه اذا لم يتخذ الحيلة فسيكون مآله الهلاك فما كان من  
أبيه الا أن أوفده الى بابر شاه حاكم أفغان وما وراء النهر ليحضر للهند وينقذها  
من المذابح ويتولى حكمها .

## حكم المغول

بالشاه بابر يبدأ حكم المغول المشهور في الهند ولكن قبل التعرض لذكره  
يحسن أن نشير إلى حال الولايات الجنوبية كالديكان في عهد الملك فيروز الذي



الملك بابر وهمايون وأكبر ومهراجين



كان يفيض سفك الدماء وخصوصا دماء المسلمين رأى أحد المجازفين حسن جنجيو  
يطمع في الاستئثار بحكم الديكان وكان ذلك سنة ١٣٥٣ فتفاضى الملك وبذلك  
بدأ حكم العائلة البهمانية في الديكان واستمر يتداوله أفراد منها لمدة مائة وثمانين  
سنة ويبدو أن حكمهم كان قويا الى درجة جعلت جيرانهم يهابونهم هيبة كبيرة .  
ولقد حاول ملوك دلهى أن يتوسعوا في الجنوب حول الديكان فلم يصيبوا نجاحا  
يذكر وكانت مملكة الكارتك الهندوسية تقف في وجه دلهى ولا تمكنها من  
غرضها ، فلما حكم ملوك البهمانية المسلمون تغير الحال واضطروا هذه المملكة الهندوسية  
الى دفع الجزية لهم بل والرضوخ الى أحكامهم ولكن في سنة ١٣٦٦ خرج  
الراجا الهندوسى يقود ثلاثين الف خيال ومائة الف جندى من المشاة وثلاثة آلاف  
فيل وقصد قلعة مكدال لاغتصابها من المسلمين فنجح في خطته وذبح كل مسلم  
بها وكان حسن جنجيو يسكر على نهر هنك ، فلما علم أقسم أنه لن يأكل أو يذوق  
النوم حتى ينتقم للمسلمين من الراجا فاقتفى أثره فهرب تاركا وراءه سبعين الفا  
فقتلهم محمد بن حسن جنجيو ولم يكن لدى أمراء البهمانية مستودع رحمة فكثيرا  
ما كانوا يفتكون بالمجاورين لهم من الهندوس وكان من عادة البهمانية أنه كلما بلغ  
عدد القتلى من الكفار عشرين الفا أقاموا لذلك عيدا واحتفلوا بهذه المناسبة ومما  
قام به محمد بن حسن البهمانى أنه قصد الى عاصمة الكارتك وقتل نحو نصف  
مليون من الأنفس ومن الوقائع التى أثارها البهمانية موقعة قصد فيها الملك مجاهد ابن  
محمد سنة ١٣٧٨ لامتلاك « بنكابور » فاضطر الراجا الى الفرار من مكان الى مكان  
وعاد مجاهد بأسرى يبلغ عددهم ستين ألفا ولكن أثناء رجوعه تربص له عمه  
داود وقتله طمعا فى العرش ولكن هذه الحادثة لم تؤثر على مركز مسلمى الجنوب  
لاعتيادهم التضامن أمام الهندوس ويكونون كتلة واحدة ، وكان شر ما لقيته الهندوس  
فى عهد الملك فيروز بن داود وذلك حينما عاود الهندوس الكرة لامتلاك مكدال

ففيها قام أحد القضاة مع بعض أصدقائه ومثل شكل البنات اللأئي يرقصن في  
معسكر العدو واندس بينهم ومعه بعض أعوانه واستعمل الحيلة الى أن جاء أمام  
ابن الملك ورقص رقصة السيف المألوفة لديهم ثم أخرج ومن معه خلسة خناجرهم  
وغمسوها في صدره فاضطرب المعسكر الهندوسي وظن أن كميناً يحيط به فأدت  
هذه الحادثة الى هروب الراجا وحيشه وانهزموا بذلك هزيمة فظيعة ولم يعتمد  
فيروز بن داود بالصلح معهم إلا بعد أن تعهدوا بدفع جزية قدرها أربع مائة ألف  
من الجنيهات سنوياً ولكن في سنة ١٤٠٦ امتنعوا عن دفع الجزية السنوية  
فغزا فيروز مملكة الكارتك وكان من بين الأسباب التي عجلت بهذه  
الغزوة أن الراجا افتتن بفتاة في مكداال فقصدها للاستحواذ عليها فلم  
أنها فرت وعلم أيضاً أن جيش المسلمين يقتني أثره وأن فيروز احتل بنكاپور  
التي عجز أسلافه عن احتلالها ولم يعد الى بلاده قبل أن يكبد الراجا  
خسارة بلغت ستين ألف نفس وأرغم الراجا أيضاً أن يسلم إحدى بناته لتصبح  
ضمن حرم فيروز وكانت هذه معاملة نهاية في الهوان لملك هندوسي كبير ولا زالت  
تقع الحروب بين الهندوس وأسرة البهمانية في سنة ١٤١٩ وسنة ١٤٢٣ وسنة  
١٤٣٥ وسنة ١٤٤٣ وقعت عدة حروب ما زال النصر فيها للبهمانية وكانت  
كلها مقرونة بالمذابح وهدم معابد البراهمة ومبانيهم الشهيرة وكانت تنتهي  
بتقديم فروض الطاعة من الهندوس لخصومهم واستمر النصر في جانب  
البهمانية الى أن انقسموا على بعضهم وتجزأت مملكتهم الى أربعة ممالك صغيرة  
فأذهب ذلك من هيبتهم ومن بأسهم فكانهم كانوا على ميعاد مع المسلمين في  
الشمال اذ ظهر التضعف والتقهقر في هندوستان والهند الجنوبية وبهذا  
تمهد السبيل الى حكم المغول غير أنه لا بد قبل التعرض له من اثبات حادثة  
تشير الى وجود ارتباط بين الهنود ومصر وان ذكرها يعود بالفائدة اذ يعرف

المصريون والعرب قاطبة مزايا تضامن الشعوب الاسلامية أولا ، وثانيا يقفون على آية من آيات الهم لمملوك مصرى استطاع أن يوجد لمصر قوة بحرية ذات صولة كان يحسب لها حساب كبير عند الأمم الأوربية ففي أواخر القرن الخامس عشر كانت تجارة مصر واسعة النطاق مع الهند وكانت مصر منفذا للبضائع التي يصدرها الهنود الى أوروبا . ومن أجل ذلك حرصت مصر على أن يكون لها أسطول تجارى وآخر حربي لصيانة التجارة من القرصان والخصوم المنافسين كالبرتغال ، وكانت هذه الدولة البحرية قد ابتدأت هي وغيرها كجمهورية البندقية بالاعتداء على المراكب المصرية فشكا قنصوه الفورى حاكم مصر وقتئذ الى البابا ثم أحتج اليه فلم تفد الشكوى ولم ينفع الاحتجاج وكانت حكومة جوجيرات الهندية بدأت تشكو من سوء معاملة البرتغال واعتدائهم على سواحلها ومتاجرها فرأى قنصوه الفورى أن الحال تدعو لتأديب البرتغال فأعلم بهادر خان باستعداده لمساعدته ضد الخصم الأوربي وأوفد أسطولا حربيًا تحت قيادة الأميرال حسين فوصل سواحل الهند وانضم الى الأسطول الهندى رغم ما حاوله البرتغال من الحيلولة دون ذلك والتحمت المراكب المصرية مع أسطول البرتغال تحت قيادة لورنسو الميدا وحوصرت مراكب القيادة البرتغالية وقتل قائدها وغرقت بمن فيها وتشتت أسطول العدو بعد ما لحقته خسائر شديدة وكان ذلك فى سنة ١٥٠٨

وهذه الذكري تجعل كل من يعرفها يدرك أن ما يتمسّدق به الجيل الحاضر من ذكر النهضة والنهوض لهو حصّة واهية مما يجب أن يقوم به أبناء الوطن فى سبيل رفته وإن عهد كعهد ابراهيم أو الظاهر بيبرس إذا قيس بهذا العهد الحاضر لبدا لنا أن مصر لم تزل بعيدة عن الطريق الصحيح بل ما زالت سائرة على غير هدى وهيهات أن يتحقق لها . أمل أو يتم لها عمل خصوصاً إذا كان جسيماً ما لم تبرزه ارادات الجبابرة الذين يألّفون الشدائد ويخوضون غمارها ويملكون نفوسهم



بضبط شهواتهم والزهد في الترف حتى تتركز الحياة القومية على أسس صالحة وحتى  
تقوم طائفة منا تنهض بكل القوى العاملة وأن تكون أعمالنا لأنفسنا دون أعمالنا  
لوطننا وأن تقدم مصالح الجماعات على مصالح الأفراد وأن يكون العمل خالصا  
لله وللوطن وأن تتجرد النفوس عن الهوى

ذكرنا هذه العبارة المختصرة التي جاء ذكرها بسبب ما قام به الأسطول  
المصري ولما كان الموضوع الذي نحن بصددده هو تاريخ الهند الاسلامي وجب  
أن نعود الي ما كنا فيه ونبدأ بشرح تاريخ المغول

## تاريخ المغول

قد ينشأ الانسان ضعيفا ويبقى ضعيفا أو ضعيفا ثم يقوى أو قويا ثم يضعف  
وحالة رجال الحكم في الهند لا تعدو احدى هذه الحالات فلما جاء الغزو التركي  
والافغانى من الشمال ظهر قويا وازداد قوة واتسع نفوذا وكثر أعوانا وازداد  
مالا ورجالا وانتشرت سطوته وعلت كلمته وكان القائمون بالأمر من طائفة يحرصون  
على الموت في سبيل مجدهم ويقدمون عليه في ظهور عصنتهم فلما وصلوا الى ذروة  
العلا وكثرت أموالهم جنحوا الى الراحة ثم الى النعيم وانغمسوا في الشهوات فبعد  
أن كانوا أفلحوا في غزو أنفسهم فغزوا العالم عاد شيطان النفس وسلطان الهوى  
فمزاحم فنال من أخلاقهم وقوتهم وتحلوا وتفرقوا ودب بينهم ديب النزاع وانقسموا  
شيعا فانتهدت أيام عزمهم ونسكت رايات مجدهم وظهرت لهم خصوم كانوا في  
الخفاء فأبرزتهم الظروف ومهد لهم ضعف القائمين بالأمر أن يرثوا عروشهم وبرز  
نجم جديد في التاريخ الاسلامي الهندي على يد بابر شاه أول حاكم مغولى  
أقام بالهند .

## حكم بابر شاه

دخل بابر شاه الهند في سنة ١٥٢٥ وكان ذلك بناء على ترغيب دولت خان أحد ولاة السلطان ابراهيم لودي والذي كان يخشى أن يفتك به السلطان كما فعل بالكثيرين غيره وأرسل بابر شاه جيشا تحت قيادة ابنه همايون ومساعدة قائد من أخاص القواد اسمه خوجه قالان ولكن دولت خان نكث العهد الذي قطعه على نفسه الى بابر شاه وانقلب على عقبيه وعارض جيش همايون وكان دولت عاهد نفسه أن يفوز أو يموت فلما انكشفت حقيقته أسرع بابر في نجدة ابنه وحضر له على رأس جيش صغير ولكن بمجرد وصوله ذاب جيش الهند وتشتت وحداته فاستمر بابر شاه في تقدمه الى أن وصل سنة ١٥٢٦ الى سهل بينات الذي فيه كسب ثلاثة أفراد عرش دلهي على أثر مواقع قاموا بها وكان ثألهم بابر الذي مكث عدة أيام في تجهيز جيشه وإعداده للمعركة الفاصلة أمام قوات دلهي فخرج السلطان ابراهيم لودي بمئة ألف مقاتل ومئة فيل ولكن كثرة الجنود لا يستغني بها أحيانا عن حسن القيادة فان بابر استطاع سرا أن يضع قوة في مؤخرة جيش ابراهيم أزاء جناحي الجيش ولما اندفع جيش الهند في الهجوم بوغت من الخلف بحركة التفاف وبالمدفعية من الأمام فدخل الفشل صفوفه وتفرق الجند هاربين ومما ساعد بابر على الانتصار أنه استصحب معه قطعاً من المدفعية الحديثة وقتئذ كان يديرها اثنان من مهرة الأتراك وهما أستاذ على مدير المدفعية ومعاونيه مصطفى الطنجي وفي منتصف النهار سقط السلطان ابراهيم وسقط من جيشه خمسة عشر ألف جندي قتلى وقطعت رأس السلطان وتقهقر جيشه وجلب كثير من الأسرى والغنائم أمام بابر شاه وكذلك بعض الأفيال ودخلت فصيلتان من الغزاة الى مدينة دلهي ونادوا بيا بابر شاه امبراطورا على الهند في ٢٧ ابريل سنة ١٦٢٥ وخطب باسمه في المساجد ولقب بالمغول العظيم

واستحوذ في دلهي وأجرا على كنوز الملك السابق وكانت كثيرة فوزع جزءا  
كثيراً منها على ضباطه حيث خص الواحد منهم ألف وسبعمئة دينار ومن الطبقة



بابر شاه

العليا الفين وثمانئة جنيه علاوة على عشرين ألف أعطاها مكافأة الى ابنه همايون  
لما أظهره من الشجاعة النادرة وأعطى كل جنوده بسخاء وبالغ في ذلك حتى شمل  
طبقات العمال والتجار الذين يلزمون الجيش عادة كما أنه أرسل لكل رجل

ولكل امرأة ولكل عبد ولكل حرة في كابل قطعة من الفضة هدية من  
الأمبراطور الجديد الى رعاياه في كابل كتذكار للمناسبة السارة . ولما جاءه  
همايون وقدم له الجوهرة المشهورة في تاج دلهي وهي كوهي النور ( جبل النور )  
فردها له متجاوزا عنها وهي أثمن جواهر العالم وقدر ثمنها أحد الخبراء الفرنسيين  
بثمانئة وثمانين ألفا من الجنيهات وقد انتقلت هذه الجوهرة الثينة من مملكة الى  
مملكة ومن الشرق الى الغرب ومن تاج ملك الى آخر فكانت في تاج راجا  
جواليار ثم توارثها ملوك المغول في الهند ثم نادر شاه العجم وأخيراً ملك الانجليز  
وأمبراطور الهند الحالي . انتقلت هذه الجوهرة الى كل هؤلاء ولا يدري إلا الله  
ماذا يكون مآلها في المستقبل . نترك سيرة الجوهرة لنترجع الى بابر شاه الذي  
أعطى كل من حوله الجزء الأكبر من جواهر الهند التي استولى عليها بعد موافقه  
الحربية ولم يكن هذا التصرف عن سخاء فقط بل لأنه يعرف أخلاق الأفغان  
جيذا وكان يعلم أنهم فرحوا للغزو لينتصروا ثم ليحصلوا على غنائم لأنفسهم ثم  
يعودون لأوطانهم كما فعل تيمور وجنوده ولأنهم كانوا يفضلون نسيم ربي  
أفغان نستان العليل عن جو الهند المحترق في فصل الصيف ولكن هذه العودة الى  
الوطن الأصلي لم يكن قد جاء وقتها المناسب فانه وإن كانت دلهي سقطت ونودي  
ببابر أمبراطورا إلا أن هندستان لم تأت تحت لوائه بل بعض أجزاء منها وكان  
لا زال بعض أفراد عائلة لودي يحكمون عدة أقاليم وراجيوتانا كانت تحت حكم  
الراجا ( سانجا ) الهندوسي وكان هو وغيره من الحكام يضمرون للغاзи الجديد  
العداء ويتخذون الحيلة منه فاذا سافر بابر تحت ضغط جيشه كان ذلك يؤدي  
حتماً الى انهيار مشروعاته السياسية في الهند والقضاء عليها وكان جيشه وصل  
تقريباً الى درجة التمرد وكاد يقتل راجا ولكن صفات بابر وشخصيته القوية  
حالت دون انتشار روح التمرد إذ أنه بمجرد أن لاحظ علامات الخروج عليه



جمع ضباطه وقام بينهم خطيباً وذكركم بالمتاعب التي تجشموها والفيافي والقفار التي اجتازوها والجبال التي تسلقوها والضحايا التي قدموها والدماء التي اراقوها وذلك كله في سبيل تحقيق الغرض العظيم وهو احتلال بلاد الهند وقهر الحضم القوي وأبان لهم أن بعد ذلك يكون جنونا وخوراً التفكير في ترك هذه الثمرة الكبرى بعد الفوز بها ثم ناشد ضباطه قائلاً : « الآن وجب على كل من يحبني ويخلص لي أن لا يذكر هذه الفكرة . فكرة الرجوع الى الأوطان فانما يكون مثلنا كمثل الذي عاد منهزماً وليسكن اذا وجد بينكم من تسول له نفسه الرجوع فليذهب من الآن فلم يخرج أحد على رأيه بل وصل بحسن تصرفه الى تبديد روح التمرد ورد الجيش الى الطاعة واستطاع أن يقيم بين الهنود الكارهين له وعلى رأس الجيش المتذمر من البقاء وكان نجاحه ثمرة ثباته وورباطة جأشه وحزمه ولم يلبث أن تغير الحال بسبب بقائه في الهند فقد بدأ خصومه ينضمون اليه وبعد أن انتهى مع الحكام المسلمين بعضهم حرباً والبعض سلماً أخذ يحول وجهته الى قهر خصمه الأكبر الراجا « سانجا » كبير أمراء راجيوتانا الذي واجه جيش بابر بثمانين ألف مقاتل على رأسهم مئة وعشرون أميراً هندوسياً وخمسمئة فيل ودقت طبول الراجا وقام راحلاً الى « بيانا » فأرسل الإمبراطور قوة على وجه السرعة لتعرق الهندوس من احتلال القلعة الى أن يصل بجيشه الكبير وكان مقبلاً على حرب تخالف سابقاتها من كل الوجوه إذ كانت حروبه الأولى مع أمراء من المسلمين ولكن هذه الحرب تعتبر حرباً دينية وكل مسلم فيها يعتبر مجاهداً وكل مقتول يصير شهيداً وقد حضر الإمبراطور وعسكر أمام مدينة « سيكري » التي صارت فيما بعد ( فتح پور ) وقد انضم اليه قوات قلعة بيانا وكان خصم بابر لا يستهان به بل يحسب له كل حساب لشجاعته وخبرته في القتال وكانت بوادر الحرب لا تشجع المسلمين إذ أن قسماً من جيوش الإمبراطور التزم مع الخصوم ولم

يثبت أمامه بل فر هذا القسم منهزما فتقدم الأمبراطور بكل جيشه ونظمهم على سابق عادته كما فعل أمام دلهي وأحضر معهم نفس المدفعية التي كان يديرها على ومصطفى واستمر في تجهيز الجيش وجعله على تمام الاستعداد للقتال وصرف في ذلك الاستعداد مدة خمسة وعشرين يوما لأنه حفر خنادق للوقاية وقت الخطر وكان يريد من شدة استعداده واحتياطاته الزائدة إعادة الطائفة إلى الجيش الذي دخل عليه الفزع لما رآه وقع لآخوانه السابقين وكانت من عادة بابر أن يدمن على شرب الخمر ولكنه في هذه المرة أقسم أن لا يقربها وأهرق منها ما كان عنده على الأرض وكسر كل كؤسها وحطم كل زجاجاتها ودعا ضباطه وحضهم قائلا إن كل رجل يولد في هذه الدنيا لا مفر من موته في يوم من الأيام ولا يبقى حيا لا يموت غير الله ولا بد لكل حي أن يشرب كأس الموت ولا بد لكل موحود أن يبرح هذا الوجود فأما والأمر كما تعلمون فخير لنا أن نموت شرفاء من أن يعيش يحبط بنا العار وإن من فضل الله علينا أن من مات منا ذهب شهيدا وإذا انتصرنا فإن انتصارنا يكون في سبيل الله فلهوا بنا إذن نقسم باسم الله وبكتاب الله على أن لا نبرح القتال حتى نظفر أو نموت فلما رفعوا المصاحف في أيديهم وأقسموا عليها عادت إليهم البطولة ودب فيهم الحماس .

ولما تم تجهيز الجيش صار بابر يتنقل بينهم من مكان إلى مكان ويث فيهم الحراسة وأمر الجيش بالتقدم . وبدأت الموقعة بمطاردة عنيفة من الراجبوت على الجناح الأيمن لجيش المسلمين فأمدّه بجزء من الاحتياطي وبدأت طبيعته في القلب تطلق مدافعها واستمر هجوم الراجبوت كالسيل المنحدر لا ينقطع . وبلغ شدة بؤسة ، ولكنها كانت تصدم بنار المدفعية . ثم انه أعطي أمرا بالتقدم وفي الوقت ذاته أرسل جزءا من الاحتياطي وقام بحركة تطويق من الخلف وشعر الراجبوت بشدة الضغط عليهم وتحولت المعركة إلى مذبحه حيث اختلت

صفوف الهندوس من كرات النار التي كانت تقذفها المدفعية وأخيراً ضعفت روح الراجبوت وفروا متفرقين في كل الجهات وتمكن سانجا من الهرب جريحا ومات على أثر جروحه ولمدة طويلة لم تقم قائمة لأحد من عقبة وتلا هذه الموقعة هزيمة وزير الراجا في ملوا وتم بذلك سحق الراجبوت ولم يبق أمام بابر في الهند قوة يعمل لها حساب غير ولاية بهار وكانت في يد الأفغان . وفي سنة ١٥٢٨ تم اخضاعها ثم تفرغ بابر الى شؤون التجديد والتعمير وابتدأ يحفر الآبار والترع وغرس الأشجار والأزهار وجلب الى الهند كثيرا من كروم العنب وغيرها من الفاكهة وابتدأت ولايات متعددة تدفع الضرائب للامبراطور مليونين وستمئة ألف جنيه ولكن هذا المقدار ارتفع فيما بعد في مدة حفيده أكبر خان الى ثمانية عشر مليون جنيها ولكن المساحة في وقت الحفيد كانت أكثر اتساعا وفي المدة التي قضاها بابر بعد فراغه من الحروب كتب مذكرة طويلة عن الهند تقتبس منها البعض

قال بابر انه لم يكن يحب الهند وان قراها ومدنها قبيحة الشكل وتسكاد كلها تشبه بعضها بعضا وأرضها سهول يمل الانسان رؤياها اذا قاسها بنواحي كابل الجبلية أو جهات فرغانة ذات المناظر الجميلة بمحادثتها وليس بالهند خيول جيدة ولا لحوم ولا أعشاب ولا بطيخ ولا فاكهة في الصيف ولا ثلج لتبريد الماء وخبزها ليس من نوع حسن وعلى العموم فان بابر كتب وهو في حالة صحية سيئة ولم يشهد للهند شهادة طيبة إلا من حيث اتساع مساحتها وكثرة ذهبها وفضتها

ومما امتاز به قوة بنيته حتى أنه كان يستطيع أن يحمل رجلين كل رجل في ذراع ويمشي بهما مسافة طويلة . وكان يشرب الخمر بكميات كبيرة ولولا قوة بنيته الخارقة للمادة لما احتملها طويلا وكان يعبر الأنهار غامما ويتسلق الجبال العالية ويركب على ظهر حصانه ثمانين ميلا دون تعب ولما انتهى بابر شاه من الحروب

مع راجا سانجا أوفد ولده الأمير همايون ليقم مؤقتا في كابل ولكنه عرج على مدينة دلهي وأخذ قسرا منها كنوزا من والده الذي استاء كثيرا حينما علم بذلك وكتب اليه بلهجة تدل على منتهى الرقة والانسانية وكتابته مزيج من نصيح أبوى تتخلله عبارات المحبة والاشفاق وقال له فيه « دعنى أعتب عليك لانك في ثلاث السنين الأخيرة لم ترسل أحدا من قبلك الى كاوانى أرسلت اليك رسولا ولكنه للآن لم يعد بعد انقضاء سنة كاملة وفي كثير من خطاباتك لى كتبت الى تشكو من أنك حرمت من رؤيا الأهل والأصدقاء وأنتك تكاد تكون منقطعا بمنزل عن الأوساط التى ترتاح اليها ومن الخطأ أن أميراً مثلك يشكو من حالة مثل هذه فانك مقيد بحكم مركزك وما دام الانسان مقيدا وجب عليه الرضوخ لحكم الظروف أما اذا كان غير مقيد فهذا شئ آخر وله أن يتبع رأيه وميله . ولا يوجد مركز يكون صاحبه فى أسر قدر مركز الملك لشدة ما يتقيد به من الأنظمة والتقاليد فلا يليق بك اذا أن تشكو اذا تعذر عليك رؤيا بعض من تحب ولا أنسرك أنك نزولا على رغبتى بعثت ردودا على خطاباتى ولكن يبدو لى أنك حينما بعثت الرد لم تكن قرأت ما كتبت لك ولولا ذلك ما كان يكون جوابك لى مثل الذى قرأته ثم إن عباراتك متنافرة فى المعنى ولم تنزهها من أخطاء الهجاء وكما وأنتك ملأته ألفاظا لا تعبر عن الآراء التى ترمى اليها فواجب عليك فى المستقبل أن تنتقى أحسن الألفاظ وتختار أرق العبارات دون تكلف أو تصنع وأن تكون عباراتك سهلة اللفظ وفى اتباع هذه الطريقة يكون هذا أسهل للكتاب والقارىء معا واذا أرغبت أن تكون موضع رضى الناس فلا تحجب نفسك بين طائفة من الأخصاء بل يجب أن تمتزج بالجميع ومما يجب ملاحظته أن تجمع اخوتك وأشراف عشيرتك مرتين فى اليوم وأن تتشاور معهم فى كل ما يستحق المشاورة ثم تسير طبقا لما تراه أكثر صوابا .



هذه بعض كتاباته لابنه وهي تدل على رقة الطباع والانسانية وبعد النظر وقد انتهت حياة هذا الامبراطور العظيم والسياسى الكبير والمجدد الشهير اذ اليه يرجع الفضل في تحسين زراعات الهند . اذ كان كثير الاهتمام بجلب كل الأصناف الغريبة عن الهند والتي تجود بها وقبل الانتقال الى تاريخ ولده همايون الذى تولى الملك بعده لا يستطيع الانسان أن يهمل الإشارة الى شئ من تاريخ حياته مما كتبه عن نفسه ، وهذه الأهمية تأتى من ناحية الصراحة المتناهية وعدم التحيز فيها لشخصه بل كانت بمثابة اعترافات ولم يكن ما كتبه قاصرا على اذاعة حسناته وهي قدرة غريبة قل أن يستطيعها أحد ولقد قال كندى المؤرخ الانجليزى الشهير فى المسائل الشرقية أن مذكرات بابر خان تعد من أعظم الكتب المفيدة التى حفظت عن الشرق والتي لا شك أنها أصيلة ويمكن معرفة ذلك من ثنايا الكتابة وهي فى صدقها وصراحتها تشبه تماما اعترافات روسو وفيها يذكر بابر مهازله وسقطاته ولا يحاول اقتصاصها ولا ناطيفها وهو صريح فيها كصراحته حين يذكر لنفسه فعلا مجيدا أو عملا طيبا وما جاء فى مذكراته أنه قبل أن يجلس على عرش أبيه قتل يده أحد أشرف بلده لأنه اعتقد أنه تأمر عليه كما ذكر أنه بنى مرة هرما من حجاجم مئة شخص قتلهم ولا يبدو منه ما يدل على الأسف أو التخرج من ذكر هذه الأعمال البربرية .

( ولكنه فى فعله هذا كان يسلك مسلك أهل زمانه وطبقا لطباع قومه فهو من سلالة جنكيز وتيمور الذين لم يفسكروا أن قتل الأنفس من الأعمال التى تنهى عنها الشرائع وتأبأها الانسانية ولكنه اذا قيس بغيره من الملوك المعاصرين له أو بأحد من أبناء جنسه وأهل بيئته مثل الشيبانى الأربكى أو اسمعيل شاه أو السلطان ابراهيم لودى فانه يكون الرحمة نفسها أو تكون الرحمة مجسمة فيه وهو يذكر عن نفسه أنه لم يعذب أحدا الا مرة وذلك حينما حاولت طباحة بايعاز من

أم السلطان ابرهيم لودى فى دس السم بطعامه وفى هذه الحالة ترك أم ابرهيم لودى وحبس الخادمة وقد جاء فى مذكراته مالا تحيظه أصول الكتابة فى عهدنا هذا فنمر عليه . وقال عن الخمر أنه لم يكن يشربها بدء حياته ولكنه اعتادها حينما زار أقاربه أبناء ملك خراسان فصارت عادة عنده وكان أسعد شىء عنده فى الوجود شرب الخمر وكثيرا ما كان يدعو بعض أصدقائه ويشرب معهم الى درجة السكر وكان يحلوه ذلك فى الغابات أو على جسر نهر ومما قاله ان نفسه كانت تنوق كثيرا الى مجالسة امرأة والشرب معها ولكنه حين فعل ذلك وجد المرأة كثيرة الصخب جاحجة وسره أن يتخلص منها .

( ملحوظة — عادة شرب الخمر فى عهد بابر كانت فاشية شائعة بين الكثيرين حتى من المسلمين » فى أواسط آسيا وفارس والهند » حتى أن اثنين من اخوة بابر ماتا من الإفراط فى شرب الخمر ) ومن أكبر غلطاته التى سجلها على نفسه أنه فى نشأته كان كثير الاهتمام بالفلكيين وشديد الوثوق بالطوابع وكثيرا ما كان يهمل الاعتبارات الأخرى فى جانب ذلك وقد اعترف عن سخافاته فى هذا الاعتقاد وأنه كان مغرقا .

وكان بابر متزوجا عدة زوجات كثير من المسلمين فى وقته ولكنه لم يكن مغرما بهن وذكّر أنه حين تزوج الأولى منهن كان شديد الحياء منها ولم يكن يقربها وذهب عنه الميل لها وتجنبها طويلا ولكنه اضطر الى زيارتها مرة كل شهر أو أربعين يوما تحت ضغط والدته التى كانت تأتى اليه نائفة صاخبة وتستعمل معه كل شدة وتوبيخ وتقوده الى زوجته كالو كانت تقوده الى السجن وكان يردد قول السعدى : ( ان الزوجة السوء فى منزل الرجل الطيب تستطيع أن تخلق جحما فى هذا الوجود وفى الله كل رجل طيب هذا النوع من زيارة المنازل ولعل الله يمحو هذا النوع من العالم )

وكانت صراحة بابر في ذكر معاصريه واضحة إذ قال إن إحدى زوجات أبي زيد ( حاكم سمرقند في زمنه ) كانت تمكف على شرب الخمر وكان زوجها شديد الغرام بها ومن أجلها هجر باقي زوجاته بل ولم يجرأ منها على زيارة أحدهن ولكنه أدرك ما يلحقه من عارها فقتلها وكان بابر ينحصر حبه النسائي في حب الأهل منهن فكان يكتفي بحب أمه وأخواته وعماته وخالاته وجدتيه ، ومما ذكره بابر عن السلطان علي مرزا أحد أقاربه الأباعد ما يشير إلى شديد احتقاره له لجنه فانه سلم بهدوه إلى الشيباني وكان ذلك بسبب حرصه على المحافظة على جسمه الفاني فذلك مسلكا لا يسلكه إلا النساء فترك لاسمه عارا لا يمحى ومما ذكره عن أم السلطان علي مرزا رغما عن أنها كانت امرأة متقدمة في شبابها أنها أرسلت إلى الشيباني وتعهدت له باقناع ابنها أن يسلم له سمرقند إذا قبل أن يتزوجها فقبل منها الشيباني وسلمت سمرقند بناء على موعدها وتزوجها الشيباني لكنه لم يكن يحبها بل عاملها كإحدى جواريه

ومما ذكر عن نكران الجليل والكفر بالنعمة ما رواه عن خسرو وهو أحد كبار الأغنياء والمعاصرين له فقال كان هذا الرجل كريما وحسنا في معاملاته واشتهر عنه توخي الأمانة والذمة دائما في كل ما يعود عليه بالكسب ولكنه من أجل الظهور والعظمة في هذه الدنيا السكاذبة سمل عيني ولد وقتل ولدا آخر إلى من كان سببا في نعمته وكان يحميه ويعاونه حتى وصل إلى مكانه السامي فجلب على نفسه سخط الله ولعنته وبغض الناس وسيبقى غارقا في العار إلى أن يحاسبه الله وقد ارتكب كل هذا من أجل الجاه الكاذب وبعد الميت وهو في غنى عنهما بما لديه من أملاك واسعة ونعم متدفقة وخدم وحشم كثيرين يحيطون به .

وكان بابر لا يواظب على الصلاة دائما ولكن وثوقه بالله كان عظيما وكان

كثير الجنوح للاستغفار والتوبة وقد هجر الخمر في أواخر حياته وكان مغرما  
بتأليف أشعار المهجو لكنه هجر ذلك أيضا لما اعتقد من أن ذلك لا يليق بحاكم  
أو مسلم ولقد يطول بنا الأمر إذا تتبعنا هذه المذكرات فلنختم سيرته بأنه دفن في  
مدينة كابل في مكان نسقت حوله الأشجار والأزهار سنة ١٥٣٠ ، وبني حول  
قبره أحد أحفاده مسجدا حفظا لذكراه . فلنرجع الآن الى حكم همايون

---



## حكم هايون

المجزر بعمر المده

لم تكن الظروف التي تحيط بالجالس على عرش بابر سهلة بل كانت عسيرة  
معقدة وقد حكم همايون وسنه ثلاثة وعشرون سنة وكان على شيء من الخبرة فانه  
قاد الجيوش مع ابنه وحكم بعض الولايات في حياة والده وكان بابر يحب ابنه همايون  
كثيراً حتى انه أشار عن هذه العاطفة الأبوية في بعض كتاباته اذ قال إن وجود  
همايون أمامي مما يجعل قلبي يتفتح كالوردة الفامضة ومما يجعل عيني تشرقان  
كالشاعل. وكان حديثه دائماً مما يسره وذلك لأنه بلغ الكمال في صفات الرجولة  
وفي الواقع أن هذا الأمير الشاب كان شجاعاً وله جاذبية وذا ذكاء وفطنة وكان  
يبدو منه نشاط خارق للعادة في بعض المناسبات غير أنه كان متردداً في أموره  
ينتبه الضعف الأخلاقي في بعض المواقف فكان اذا انتصر في حرب تتخدر  
أعصابه بنشوة النصر وتجعله يغمس في النعيم النسائي وما يحيط به من أنواع  
الملاذ الضارة كتعاطي الأفيون وذلك في الوقت الذي يجبراً فيه خصومه على  
الاقتراب من بابه مهددين ولما كان الرفق من طباعه فانه كثيراً ما عفا عن  
المسيئين في المواقف التي تتحتم فيها العقوبة وكثيراً ما كان يجلس على المائدة في  
الوقت الذي كان يجب أن يجلس فيه على سرج حصانه ومثل أخلاق هذا الأمير  
كانت جذابة حقاً ولكنها لم تكن تصلح لأن تحكم أو تسود وفي حياته الخاصة  
كان رقيق الشاغل حسن المعاشرة ولكنه كملك لم يكن صالحاً ومعنى همايون هو  
السعود ولكنه لم يخلق ملك أتمس منه حظاً والصفات التي كان يجب أن  
يستكملها الجالس على عرش مثل عرش الهند كانت توجب عليه الالمام مع  
السيطرة التامة على المركز الحربي والقدرة على القيام بشؤونه وكانت الحالة تقتضي

نشاطا لا حد له ونبوغا عسكريا وكما شرحنا سابقا فان بابر لم يكن أخضع الهندستان بل أكبر ما كان تحت سلطانه يشمل الآن ما يسمونه البنجاب وولايات الهند الشمالية الغربية . ولم يستطع أن يضم اليه نهائيا البنغال وغيرها وانه وان كان كسر شوكة الراجبوت الا أنه لم يخضعها تماما كما وان كثيرا من الولايات الصغيرة التي كان يحكمها ضباط من الأفغان لم ينسوا أن ابراهيم لودي الذي كان جالسا على عرش دلهي كان افغانيا أيضا مثلهم لذلك لم يكن خضوعهم كلية بالأمر المحتمل لسابق ارتباط بعضهم بعائلة لودي يضاف لهذا عدم اطمئنان همايون لنفس عائلته وبالرغم من أن بابر وكل أمرأته الثلاثة الآخرين الى شفقة أخيه همايون فان التسامح الذي أظهره لهم لم يكن أضر عليه منه اذ كان اخوته الثلاثة يكيدون له وكان أخوه الذي يليه في السن واسمه قران حاكما على كابل في عهد أبيه فاستبقاها وأضاف اليها الولاية الغربية وتجنب اظهار الخروج على أخيه الأكبر ولم يمانع همايون في خطة أخيه للشفقة الاخوية التي طبع عليها ولمشاغله الأخرى في باقي أجزاء الامبراطورية . وكان هذا قصر نظر من الامبراطور الحديث لان موافقته على استقلال أخيه في هذه الولايات حال بين همايون وبين المورد الأساسي الذي كان يحيش منه الجيوش المغولية لأن بعض الولايات الاسلامية في الهند وقعت في يد ولاية من الأفغان استقلوا بها فقصت بذلك أجنحته وأصبح يواجه صعوبة في تموين نفسه بالجند واضطر أن يحارب باستمرار لاختضاع الثائرين فأوردته هذه الحالة موارد الاضمحلال وكان قران أكثر الاخوة الثلاثة خيانة وكان غير حقيق بأن يمت الى بابر بصلة البنوة . أما أخواه عسكري وهندال فكانا في حالة ضعف وتقلب ونشأ خطرهما من حيث أنهما صارا آلة في يد خصوم أخيهما وكان للامبراطور أبناء عم وهما محمد سلطان ومحمد زامان وقد حاولا محاولات غير مجدية في الحصول على عرش دلهي الذي

لم يكن فيهما من يصلح له ، وكان هايون رقيقا مع الخارجين عليه اذ لم يكن يعالج الأمور معهم إلا بأقل ماتقتضية وسائل العلاج وخطته مع مافيا من النبل من الوجهة الانسانية كانت وبالا عليه من الناحية السياسية وعجزت فطنته عن رسم الخطط التي تتناسب مع مقابلة هذه الأخطار ودرئها فينما كانت بعض الأحوال تقضى بان يتفرغ لخصم ويؤجل خصما آخر إذا به يوزع جيوشه في كثير من الجهات لذلك لم يتيسر حسن قيادتها ولا اتقان رقابتها وفي بعض الأحيان كان يذهب الى مواجهة خصم بعيد ويترك وراءه خصما قريبا منه يهدده وكانت السحب السياسية قد تجمعت في جو الهند في أوائل حكمه وأولها استئثار أخيه بالناحية الشمالية الغربية وفي الشرق قيام الافغانين عليه في ولاية بهار تحت قيادة أحد إخوة السلطان ابراهيم لودي ، وفي الجنوب تمرد بهادر شاه ملك جوجيرات وملوا وكان يتقدم مسرعا بجيشه نحو اجرا (عليكرة) وبقي هايون متحيرا في من يواجهه أولا وبعد ترو دخل ولاية بهار وتخلص من محمود لودي بنصر عظيم في موقعة تكناو ولو أنه تابع انتصاره وسحق قوى بهار حتى لا يبقى بها من يقاوم لكان أحسن صنعا لكنه لم يفعل ذلك بل تعجل الأمور وترك حصار شونار وفيها شيرخان واكتفى منه بخضوع ظاهري وبذلك ترك أكفاء خصم عنيد له وتوجه الى مقاتلة بهادر شاه وأوقف هجومه وردده ثم التحم معه أمام شيتور وهرب بهادر وترك جيشه فتبعه هايون بنشاط نادر حتى لحقه عند شاطيء المحيط أمام جزيرة (ديو) واستردت ولايتان من أكبر ولايات الهند لهايون بسهولة غريبة فجعل ذلك مناسبة عظيمة لاقامة الأعياد والاحتفالات المتوالية . وفي هذا الوقت ظهر شيرخان ثانية في البنغال وصار سيد الموقف وللمرة الثانية تكررت غلطة هايون فبدلا من ترك الأفراح والأعياد لمواجهة خطورة الموقف مكن باهماله وتقاعده عن العمل خصمه شيرخان في أن يزداد قوة ومنعة علاوة على أنه كان قائدا قديما من دوى الخبرة التامة وضيع هايون سنة كاملة بين لهوه ومرحه ثم ذهب الى البنغال لقتال

شيرخان إلا أنه أرسل اليه قبل ذلك عهدا بالصفح عنه مع إعطائه مملكة جاونبور إذا خضع له ولكن شيرخان رفض العرض وتجهز في قلعة زوهتاس التي سبق له أن احتلها بخديعة إذ أدخلها بمض عساكره في هذه القلعة الهندوسية وذلك بأن ألبسهم لبس النساء مدعين أنهم موفدات من شير الى الأمير الهندوسى ليحمين من مطاردة همايون « فجازت الحيلة على صاحب القلعة وهوجم من الداخل والخارج فاضطر للتسليم وبقي في الحصن الجديد يتحين الفرص للإيقاع بهمايون وتركه الى أن جال في كل الولايات دون احتياط على مواصلاته فاحتل شيرخان كل منافذ الطرق ونادى بنفسه سلطانا واتفق أن تارهندال وقران على أخيهما واتسع الخرق على الراقع وتكاثر ذناب الحرب عليه من كل ناحية ولما وجد همايون أن تمردا ظهر في أجرا وشيرخان ينادى بنفسه ملكا وإخوته يتحينون الفرص للإيقاع به فكر في ترك إخضاعهم وبدأ بعالج وجوه الخلاص من خطرهم ودب فيه اليأس لأن الأمراض فشت وتفكت في جيشه ولكن همايون لم يجد مخلصا ووقعت الواقعة بين الخصمين في شونار ولكن جيوش همايون صدمت بواسطة شيرخان ثم جاءت فترة وقف فيها الجيشان أمام بعضهما لا يجرأ واحد على مهاجمة الآخر وشعر الإمبراطور بالخطر الذي صار فيه اذ مات كثير من خيله ودواب حمله وقلت المؤونة لأن أجرا انقطع منها التكوين ووصول الأمدات اللازمة ففتحت المفاوضات تجنبنا للحرب وعقد محالفة من شروطها أن يحتفظ شيرخان بولاية بنغال وجزء من بهار على شروط أن يعترف علنا و رسميا بسيادة الإمبراطور همايون عليه وأوشك أن يتم الصلح وتآخى الجيشان مع بعضهما وشرعوا تقويض بعض الخيام استعدادا للرحيل ولكن عند بزوغ الفجر باعت أفغان شير الجيش الإمبراطورى الذى كان أفراده آمنين في مراقدهم وأمعنوا فيهم ذبحا وقليل منهم



من نجا ومن بينهم الامبراطور الذى لم يتمكن من الفرار إلا بمساعدة أحد  
السقائين الذى أعطاه قرية فنفعها واستعان بها هايون على عبور نهر الجانجيز  
ووصل الامبراطور الى أجرا بعد أن أيد معظم جيشه وذلك فى سنة ١٥٣٩ وفى  
خلال سنة بدأ الحصان يستعدان من جديد الى موقعة فاصلة بينهما وكانت فى  
سنة ١٥٤٠ أمام مدينة كونوج وفيها انقضت قوة المغول ودال سلطانهم  
وتشتت جيش قدره مئة ألف مقاتل بسبب اليأس وكثرة الفارين وذابت  
هذه القوى بمجرد بدء القتال وهرعوا الى الكبارى طلبا للنجاة وتزاحموا  
عليها فسقطت بهم ، ومات الكثيرون غرقا ومن هذا اليوم الذى انهزم  
فيه هايون صار ينتقل من جهة الى جهة ويجوب الصحارى والقفار ومضى عليه  
ثلاثة سنين فى محاولات فاشلة لتجنيد جيش جديد ومما صادفه أنه وقع فى حب  
ابنه أحد شيوخ الاشراف الملازمين لأخيه هندال وفى خلال هذه المدة ولد له  
ابنه أكبر خان ثم بعد ذلك هرب لا جئا الى الشاه طهماسب ( ملك العجم )  
 طالبا معونته فى المحنة التى يلاقها فأجاب الشاه سؤله وأمدّه بجيش من الفرس  
فاسترد قندهار من أخيه عسكرى فى سنة ١٥٤٥ كما أنه استرد كابل فى سنة ١٥٤٧  
وأصبح مركزه فى الحكم يعادل مركز والده قبل غزوته للهند ثم أنه مضى التسعة  
السنين التالية بين ارتفاع وانخفاض فى حظوظه الحربية ولم يتمتع بالهدوء وثمره  
الحكم فى الأفغان إلا بعد موت أخويه وقد قتل أخوه هندال فى معركة بينما مات  
عسكرى أثناء تأديته فريضة الحج . أما قمران الجاحد فبعد أن عفا عنه هايون  
مرارا ولم يفد العفو فى تغيير طباعه اضطر لسمل عينيه وارساله لمكة حيث قضى  
نحبه هناك ، وقد كان السبب الأساسى لمحنة هايون سلوك قمران الشاذ معه وأغلب  
ما قاساه من شقاء يرجع الى هذا الأخ وهكذا كانت نهاية اخوة هايون معه

## شيرشاه

بعد انهزام هايون استطاع شيرشاه أن يخضع الجزء الأكبر من هندستان  
لسلطانه وقد قابل الهنود حكمه بالترحيب وان كان أفغانيا لأنه ولد في الهند  
ولقدرته الفائقة في حسن الادارة ونبوغه في فنون الحرب ورجحان عقله، الذي قوبلت  
تصرفاته بالرضا خصوصا في سياسته المالية ، وقد حاول ارضاء كل العناصر المختلفة  
من السكان وكان يعتمد عما يعتبر اضطهادا لرعاياه الهندوس . وكان على جانب  
عظيم من النشاط وذا حزم في فض المنازعات التي كانت تقع بين طبقات السكان  
المختلفة وقد قسم ادارة ملكه الى مئات الأقسام ووضع في كل قسم منها ضابطا  
يمثله ويكون واسطة اتصال بالمركز العام وهو أول من أدخل منحكام الهند  
الأنظمة الجديدة التي تفيد العالم الهندي بكافة طبقاته لا الطبقة الممتازة (المسلمين)  
ومما امتاز به شيرشاه أنه وطد الحكم وفرض سلطته على الجميع سواء فلم يستثن  
الأفغان ولم يمكن أحدا منهم أن يناقضه فيما فرضه عليهم ضمنا وكان شديدا في  
تنفيذ ذلك وكان اذا اتفق أن ابنا أو قريبا أو احدا من بني جنسه أو رئيسا أو  
وزيرا عارض أمرا من أوامره كان يأمر باعدامه ولم يكن يحاج في الحق لأى  
اعتبار من ناحية القرابة أو العصبية ومن يوم أن توطد حكم شيرشاه لم يستطع  
أحد أن يرفع راية العصيان أو يبدى معارضة ما ولم يوجد من الجند أو اللصوص  
من كان ينظر بعينه الى ملك أو متاع أى انسان آخر . كما أنه لم تقع سرقات فعلا  
في عهده ولم يضطر أى تاجر أو عابر سبيل أن يقف في الطريق خيفة الاعتداء  
بل رفراف الأمن بجناحيه في كل مكان . وكان رجال القوافل ينامون في الليل  
دون خوف على الأنفس أو الأموال . وذلك لتنظيمه وسائل الحفظ بما يكفل  
توطيد الأمن

كان شيرشاه ، شديد الوثوق بنفسه ومما رواه مؤلف تاريخه عباس خان  
حكاية سمعها من خاله وكان يثق بصدق روايته ، قال : كنت في موقعة (شونديري)  
صحبة الامبراطور بابر المنصور وكان معنا الشيخ ابراهيم سرواني والشيخ محمد  
وبعض الأصدقاء ورأينا أن نذهب للجلوس مع شيرخان وكنا نتجاذب أطراف  
الحديث حينما نكون على انفراد فقال الشيخ ابراهيم « أظن أن هذه الامبراطورية  
( المغولية ) لن تبيد أبدا ولن تعود ترجع الى يد الافغانين » فعارضه شيرخان  
قائلا : « ان الزمن اذا وقف بجانبى وساعدنى الحظ فسيكون من السهل على  
اخراج المغول من الهندستان فبدأ على وجه الشيخ ابراهيم ما يعتبر شكاً أو  
سخرية من هذا الأمل الكاذب الذى لا يصدر الا عن عرور مغرور أو حلم حالم  
فلما لاحظ ذلك شيرخان رجع فأكد قوله وقال كن شاهدا يا شيخ محمد أن الحظ  
والزمن اذا ساعدانى فانى سأطرد المغول من الهند لأنهم لم يبرهنوا في أى موقعة  
من المواقع تفوقهم على الافغانين وغاية ما فى الأمر أن الامبراطورية أفلتت من  
أيدي الافغانين بسبب الاختلافات التى كانت قائمة بينهم وبما أنى احتللت  
بالمغول فقد درست أخلاقهم وكيفية تصرفاتهم وهم ليس لديهم تدبير أو نظام ،  
وان ملوكهم بسبب علو مركزهم أو نبيل مولدهم يترفعون عن مباشرة الأعمال العامة  
ويكونون أمورهم الى الوزراء وبعض الأعيان ويثقون بهم ثقة عمياء  
وهؤلاء الوكلاء عنهم ليس لديهم النزاهة فى تصرفاتهم ولا يؤيدون من المتظلمين  
أو ذوى الشكايات سواء أكان هؤلاء ولاية أو جنودا أو مزارعين إلا من كان  
يدفع لهم الرشوة التى ترضيهم وسيان عندهم فى ذلك المواليين للعرش أو غير المواليين  
ولا يميزون عدوا من صديق فقد أعماه حب الذهب وسيرى الشيخ قريبا أنى  
سأستطيع جمع الافغانين تحت حكمى وإن أسمح لهم أن يتفرقوا وسأحقق بهم  
هذه الغاية وقد وصلت هذه الرواية الى مسامع بابر شاه قبل موته وكاد أن يقبض

على شيرخان خصوصا وأنه بدأ يعمل حسابا لشخصيته الثينة ولكن شير علم بنية  
الامبراطور وهرب في الفرصة المناسبة فيالها من تنبؤات حققتها الأيام وأيدتها  
الهمة الجبارة بعد أن كانت أقواله في هذه المسئلة تجعل سامعيه يعتبرونه يهذى  
ويحلم وكان مما ساعده به الحظ والظروف لتحقيق أمنيته أنه احتل احدى القلاع  
القوية بصدفة وتفصيل ذلك أن تاج خان صاحب قلعة شونار كان يقتنى احدى  
الجوارى فخلق عليه ابن شرعى من ابناؤه وقتله وحصل خلاف على القاعة  
وأملأه بين هذه السيدة وابناء زوجها الراحل . وكان في يد السيدة ثروة الخان  
المتنقلة ورغبت شيرخان أن يتزوجها ثم احتكمت اليه في فض الخلاف بينها وبين  
أولاد الخان فحكم لها واستولى على القلعة ولم يطل حكم شيرشاه إذ مات قتيلا أمام  
حصن كالينجار أثناء محاصرته له ومحاولة اخضاع الراجبوت .

### سليم شاه

انقضى بموت شيرشاه عهد الهناء وخلفه على العرش ابنه سليم شاه وكان  
شديد الصولة والحول كأبيه ولكن ينقص عنه في الفطنة والحزم وقد بدأ حكمه  
بمحاولات كان يرمى من ورائها انقاص شأن الرؤساء من الافغانيين  
من يحيطون به وسلك مسلكا يشابه طريقة ابراهيم لودى من ثلاثين سنة  
مضت وكانت النتيجة في كلا الحالتين واحدة فانه لما غزته قوة أجنبية لم يستطع  
الوقوف في وجهها ولم يكن سليم شاه الابن الأكبر لوالده بل عادل شاه كان  
أكبر منه سنا وقت موت أبيه وبما أنه كان متغيبا عن الجيش في احدى الجهات  
النائية وكان اسناد العرش في الحال من الضرورات التي تقتضيها المحافظة على  
النظام وعلى مركز العائلة المالكة وعلى ذلك نادى الجيش في الحال بسليم  
حا كما عليهم . وبمجرد جلوسه على العرش كتب لأخيه الأكبر يخبره أنه



قبل هذا التعمين مضطرا تحت اصرار الجيش ولكن حقيقة نواياه متجهة الى التنازل عند حضوره وبعد ذلك كتب له ثانيا يستدعيه الى الحضور الى أجرا ولتخوف عادل اشترط أنه لا يحضر إلا بعد أن يضمن سلامته بعض أعيان من البلد ذكر أسمائهم ، ولما حضر اكتفى أخوه بأن أقطمه احدى الولايات دون العرش ! إلا أن سليم عاد ودخله الشك من ناحيته ولم يكن مضى على تعينه غير شهرين فانتدب غازي الحل وهو أحد مشاهير ضباطه وأعطاه سلسلة من الذهب ليقيد بها أخاه عادلا ويحضره اليه ولكن عادلا استنجد بقواص خان وكان أكبر مماليك والده ( ويده اليمنى ) وكان في الوقت ذاته حاكم ولاية الوار فصار الذي جاء ليأسر عادلا أسيرا في يد قواص ولهذا السبب قامت الحرب بين سليم شاه من ناحية وعادل يؤيده قواص من ناحية أخرى . فما كان من الآخرين إلا أن جمعا جيوشهما على نية مباغته أجرا وفي طريقهما مرا بسيكري (فتح بورسيكري) وقد أقيم بها مولد لأحد كبار المسلمين ، وهنا تأخرا طويلا حيث قاما بتأدية الفروض الدينية ثم شاركا المحتفلين بالمولد ولذلك لم يصلا الى أجرا الا في ثاني يوم بعد أن صارت الشمس في رابعة النهار مع أنهما حددا موعدا لبعض أعوان الامبراطور للخروج عليه والهروب اليهم ولكن ضاعت منهما الفرصة لتأخرهما وانهمزما وتحول سليم على كل من وقع عليه شكه فقتله ومما روى عنه أنه أباد عشيرة من أكبر العشائر وهي عشيرة نيازي ونسف رؤسائهم بالبارود لأن زعيمهم أعظم هيايون ثار عليه . ولقد ثار على الشاه أيضا شوقت خان صاحب ولاية ملوا لاعتقاده أن الشاه حرض عليه أحد الافغان ليقتله . وفي مرة حاول أحدهم أن يعتدي على حياة الشاه سليم فلما أحضر الجاني لاستجوابه رفض استجوابه وأمر باعدامه فورا وقد قال أنه اراد بذلك أن لا يثير الشكوك وأن لا يتهم أحدا ظلما ومات سليم سنة ١٥٥٣ ، وتنازل مجد عائلة شيرشاه ، وتولى بعد سليم ابنه ولم يكن يبلغ عمره غير اثنا عشر سنة

وضربت القوضى أطناها في عهده وقتله خاله مبارز خان وتولى العرش واتخذ لنفسه لقب عادل شاه وكان عاظم الصفات وحشى الطبع فناوأه على العرش اسكندر خان و ابراهيم خان وغيرهما وكان عادل يعتمد على وزير له هندوسى اسمه هيمو فى تسير دفة الأمور وقد نشأ من وسط لا ذكر له وكان صاحب حانوت صغير يبيع فيه بعض الحاجات وقد ارتفع بالتدريج الى أن صار رئيس وزرائه وكان قوى الشكيمة ذا عزم شديد فاستطاع أن يدافع عن عادل ويدفع خصومه ولكن شخصيته الهندوسية أثارت عليه حنق الكثيرين مما أضرب مركز عادل وانتهى الامر بأن اغتصب ابراهيم صور عرش دلهى بينما وضع اسكندر صور يده على ولاية البنجاب وكلا الثائرين كان ابن عم لشيرشاه ثم تحول اسكندر صور على ابراهيم صور وطرده من العرش وأخذ مكانه

## عودة هايون الى عرش هندستان

فى عهد ابراهيم واسكندر صور انتشرت القوضى فى كل مكان ومن يوم أن أخرج هايون عن عرش الهند تغيرت طباعه وصار يطوى الفياق والقفار ونفض عن نفسه ثوب الخمول والراحة وطلق المرح واللهو وصار يطرق وسيلة بعد أخرى لاسترداد عرش الهند المنصوب فلما جاءت الفرصة بسبب الانقسامات العائلية للذين حكموا دلهى جهز جيشا مكونا من خمسة عشرة ألف فارس وانضم اليه بعض رعاياه السابقين وسار فى طريقه قاصدا دلهى ليملكها عنوة . وابتسم له الزمن ثانيا فى سنة ١٥٥٥ حينما احتل البنجاب وفرق جيش اسكندر صور الذى هرب الى جبال الهملايا ثم دخل عاصمته دلهى وجلس على عرشها ثانية ولكن لم يطل عمره إذ لم يبق غير ستة أشهر . وكان يباشر بعض اصلاحات فى سرايه فرأت قدمه زلة كانت القاضية وبذلك سجل له زلتان — زلة أخلاقية أخرجه من العرش أول مرة ، وأخرى بدنية أخرجه من الوجود .

## أمبراطورية هندستان المتحدة

أكبر خان

١٥٥٦ - ١٦٠٥

كل مخلص لحكم المغول في الهند لم يقابل باطمئنان أو ارتياح الظروف التي كانت تحيط بعرش دلهي عقب وفاة هايون لاسيما وهو لم يكن أتم إخضاع خصومه ، ثم انه ترك جيشا من المأجورين وابنا قاصرا ليدير امبراطورية واسعة النطاق مترامية الأطراف لكن من حسن حظ الابن وهو أكبر خان ومن سوء حظ خصومه أن هايون ترك لابنه وزيرا كان على أكبر جانب من الكفاءة وأصلح من يليق في المواقف العصيبة فانه قام بتأديب العصاة والخارجين والمشاكل الداخلية ، اسمه « بيرام خان » . ومن حسن سياسة هذا الوزير أنه أخفى خبر وفاة هايون شاه عدة أيام لتغيب أكبر خان وقد نودى به أولا امبراطورا في البنجاب ولما عاد الى دلهي بعد سبعة عشر يوما من وفاة والده أجلس على العرش وتليت الخطبة باسمه يوم الجمعة ولكن قامت الفتن على أثر ذلك وزحف الوزير هيمو الهندوسي مناصرا لعدو شاه ووقف أمام أبواب دلهي ولم تسكن القوى المغولية القائمة بالعاصمة يومئذ تحت قيادة موحدة بل انقسم الرؤساء وقد أشار « تاردي بيج » وهو حاكم المدينة السابق باخلاء دلهي حيث لا تجدى المقاومة ولكن فريقا آخر رفض هذا الرأي ووقعت الحرب بين هيمو والمغول جنوب مدينة دلهي ثم انسحب الجيش المغولي منهزما ووصل الى أكبر خان في البنجاب منهوك القوى ولكن بيرام خان كان خصما عنيدا فأعاد تنظيم الجيش وأعدم تاردي بيج ليأمن معارضة غيره له في خطته . ثم عاد فصادم جيش هيمو

في بانيات وذلك بعد أن خطب بين جنده محرضا وقال لهم « ان هيمو هذا الكافر سبق له أن هزم جيوش امبراطوركم وقد عاود الكرة يريد بذلك أن يتحكم فيكم فاذا صدقتم في القتال وكنتم قلبا واحدا وروحا واحدة فستكون هندستان لكم وأنا أضع ثقتي في الله واذا قدر وفشلتم في هذا الموقف مع العلم أن بيوتكم تبعد عنه نحو خمسة كيلو فلن تجدوا لأنفسكم بعدئذ ملجأ . ثم انه أثر حماسهم للقتال ورغبتهم فيه بما وعدهم به من حسن الجزاء والمكافأة ، وبالرغم من النصائح والترغيبات التي أبداهها ييرام خان لجنده فان هيمو كان متفوقا وقابل لجيش المغول راكبا فيلا الا أن سهما طائشا أصاب منه مقتلا فلما حاول الفرار بعيدا أدركه خصومه وأحضره أمام ييرام فقدمه للملك أكبر ليقتله بيده ولكن ما جيل عنيه أكبر من رقة الطبع جعله يحجم وقال لوزيره « كيف يجوز لي أن أقتل شخصا يكاد يكون على أبواب الأبدية » فقتله ييرام بيده وبما أن هيمو كان أكبر شخصية تؤيد مطامع الأفغانيين فان موته قطع كل أمل في سبيل إعادة حكمهم للهند وبعد ذلك تفرغ ييرام الى باقي خصوم سيده وهزمهم وشتت قواهم وقتل اسكندر صور وابراهيم وخلي الجو باتقراض عائلة صور وصفا الحكم للمغول . وكان سن الملك أكبر وقتئذ ثلاثة عشر عاما . ولم تكن سلطته أول الأمر ممتدة الا الى أقسام صغيرة من الامبراطورية العظيمة التي تركها فيما بعد حيث بسط سلطانه من الهملايا شمالا الى سلسلة جبال قندهيا جنوبا ومن أفغان غربا الى البنغال شرقا ولم تكن سلطته بالاسم كما كان هو الحال مع كثيرين ممن جلسوا على عرش دلهي قبله بل توطدت أحكامه وانتشر سلطانه وخصم الجميع له ولا شك أن هذه النتيجة ترجع الى عوامل جديدة وقد يعتبر في مقدمتها وجود وزيره الأكبر ييرام ذلك الرجل الحديدي ، الذي وقف ضد كل من ثار في وحه الأكبر خان وقضى على أكبر خصومه وأدب من حدثه



نفسه أن يشور على سيده حتى صيرهم مثلاً يخاف منه المتدمرون والمتأمرون فأعيد الهدوء الى الهند ودانت جميع الولايات لسلطة الملك أكبر ومما ساعد على الوصول الى هذه النتيجة أنه في أول الأمر لم يثر على أكبر غير المغول ولكن ثورتهم انتهت بموت الذين خلقوا الخلاف والانقسام ثم آل الأمر الى أن توحدت القوى المغولية وصارت تحت يد أكبر جيش من نفس المغول كان يجعل اعتماده عليه في مواجهة أى طارئ ويعززه في ذلك جيوش أخرى تتألف من المسلمين الأفغانيين الذى انقضى معظم رؤسائهم ومن المسلمين الهنود وقد كثر عددهم في الهند ثم ان طريقة الحكم الجديدة التى اتبعها أكبر كان من مقتضاها أن تزيل عداوة الكثيرين من الهندوس بل وتجذب اليه حب بعضهم فانه حين ولى الأمر بنفسه لم تكن سياسته أن يصير حاكماً مسلماً يحكم بقوة المسلمين بل كان يرمى الى أن يصير حاكماً هندياً يحكم لمصلحة الهند فهو بذلك يحكم الكل . ويعمل لمصلحة الكل فلا تميز بين هندوسى ومسلم ولا امتياز لمغولى على أفغانى بل الكل سواء ولا شك أن هذه الطريقة الجديدة لها مزاياها فان الهند كانت ولا زالت أكثرية سكانها من الهندوس ولم تكن وسائل حكم المسلمين السابقين تلائمهم لما كان فيها من النزعة الدينية التى كانت تدفع الكثيرين من الحكام الى التعرض لحرية العبادة وهدم المعابد وتحطيم الأصنام . مما كان كفيلاً بإثارة الضغائن في نفوس الهندوس ، ومن أجل ذلك كثرت ثوراتهم في العهود السابقة وزادت الهندوس ارتباطاً بعدما كانوا متفرقين

أما عهد أكبر فاختلفت فيه سياسة الحكم وانتظمت وسائل الضرائب وتزهت كثيراً عن عيوبها السابقة ولا يوجد شئ يجعل الجماهير راضية مثل اعتدال المعاملات المالية وبعدها من المظالم التى تحمل الناس فوق طاقتهم ، ثم أنه من الوسائل التى استطاع بها أكبر أن يقرب الطوائف غير المسلمة منه ويزيل

نفورهم القديم أنه عقد مؤتمراً من رجال الأديان واختار له مكاناً وسماه بيت الحكمة ثم أبدى لهم رغبته في إيجاد دين جديد يجمع كل الطوائف وسماه دين الله وأستمد تعاليم هذا الدين الجديد من كل الأديان ومنها الديانات الهندوسية والاسلامية والمسيحية وأراد من وراء هذه الفكرة ازالة الفوارق الدينية وما يترتب عليها من أسباب الشقاق بين الطوائف والطبقات ، ولكن هذه الفكرة لم تنجح النجاح الذي قدره لها وان كانت أحدثت شيئاً من حسن الأثر لأن اقتباس شيء من تعاليم دين يعد بمثابة احترام واعتراف بصلاحيه ما يقتبس من هذا الدين إلا أنها في الوقت نفسه لم ترق في نظر فريق من المسلمين الذين لا يريدون النزول عن معتقداتهم ولا سيادتهم والواقع أن محاولة أكبر هذه بصرف جوازها أو عدم جوازها شرعاً ربما كانت الوسيلة الوحيدة لجعل الهند أمة واحدة فإنها كانت طبعاً ستؤدي الى توحيد الدين ثم اللغة ثم ازالة الفوارق الكثيرة مما كان يمكن به جعل الهند وحدة غير منقسمة ولكنها كانت تجربة جريئة لم تنجح غير أنه كاد يصل الى غايته بسلوكه طريق العدل في الأحكام مما حبيه الى كثير من الهندوس وجعلهم يقبلون حكمه بالرضى فانه ألغى الجزية في سنة ١٥٦٢ عن الهندوس (وهي ضريبة يفرضها المسلم على غير المسلم) ، فأزال بذلك سبباً كبيراً من أسباب استياء العناصر غير المسلمة وزاد في ذلك فأمر بإلغاء الضريبة عن الحجاج الهندوس بحجة أن التعرض لتقييده من الوجهة الدينية أي انسان خطأ واجحاف ولكن هذا لم يمنعه من أن يقف في سبيل بعض عاداتهم القبيحة فحرم ارتكابها لمنافاتها لمبدأ الانسانية الصحيحة فمنع مثلاً .

حرق الأرملة اذا توفي زوجها الهندوسي .

ومنع زواج الأطفال « عادة شائعة في الهند أن تزوج بنت في سن الثامنة

مثلاً الى رجل في العشرين »

وأباح تزوج الأرمال بعد أن كان محرماً عند بعض الطوائف .  
وحتم في صحة الزواج ضرورة الرضى والقبول من الزوج والزوجة واجازته  
من الوالدين

وحرم التحقيق بواسطة التعذيب

هذه بعض اصلاحات أكبر التشريعية بدأها عقب انتهاء عهد الوصاية وذلك  
في سنة ١٥٦٠ ثم انه أراد أن لا يستمر اسناد الحكم الى بيرام خان وأن يتولى  
الأمر بنفسه وقد دفعه الى ذلك ما طبع عليه من نشاط وميل الى العمل والسلطة  
وثانيهما أنه لا حظ أن بيرام كان شديد القسوة في الأحكام مما جعله مكروهاً ومما  
ساعد على ذلك أيضاً أن أكبر كان واقفاً تحت تأثير النساء وفي مقدمتهن أمه  
في الرضاع « مهام أنجاه » فانها ساعدت على ابعاد بيرام خان ولكن أكبر صرفه  
عن الحكم بطريقة رقيقة اذ قال له إني صرفت كثيراً من وقتي في اللهو والصيد  
وتركتك تحمل أعباء الحكم والآن أريد أن أحمل نفسي هذا العبأ وأن أتيح  
لك الفرصة التي تمكنك من أن تعيش عيشة هادئة تتناسب مع سنك كما أريد أن  
أتيح لك فرصة أداء فريضة الحج الى مكة »

وعلى ذلك انقضى عهد الوصاية وترك بيرام الوزارة وفي طريقه أثناء سفره  
قابله أفغانى من الموتورين منه وقتله وأبتدأ عهد جديد في ادارة الأحكام وكانت  
فيه الشخصية البارزة هي السيدة مهام أنجاه مرضعته فانها أدارت دفة الأمور  
باخلاص وكفاءة نادرة . ولكن من سوء حظها أن كان لها ابن سىء الخلق اسمه  
أدهم خان زوجته في مركز رفيع ما كان يليق له فامتلاً عروراً وكان ذا غلظة في  
طبائع قتمادى في غيه الى أن اعتدى على شمس الدين رئيس وزراء أكبر وقتله  
ثم التجأ الى باب الحرم وكان أكبر في هذه اللحظة قد رأى بعينه ما وقع فاشتد  
غيطه من أدهم فتناول سيفه وضربه به ثم أمر أن يحمل وأن يرمى بجسمه من أعلا  
البناء فمات لغوره

ومما دفع أ كبر الى قتل هذا الشرير أنه سبق أن تكررت على يديه المآسي  
إذ أنه اغتصب إحدى نساء « بازبهادر » فلكيلا تسلم نفسها لمقتصبها انتحرت  
ثم سبق له أن ذهب الى محاربة بعض العصاة فلما استحوذ على بعض النساء  
كأرقاء اختص نفسه ببعضهن وبعض الأشياء الثمينة مما لم يكن أخذ به أمرا من  
الملك . ولما علم الملك بأمر الجارين اللتين سلبيهما استحضرهما وسألهما الى أم أدهم  
ليبقيا عندها الى أن يحين الوقت الذي فيه يحقق بنفسه مسألتها فسمتهما لتحول  
دون إثبات فضائح ابنها . كل ذلك أقنع الملك أ كبر بالتخلص أولا من أدهم  
وثانية من الحكم النسائي الذي ظهرت مساوئه وصار وصية لحكمه .

ولما أن قضى على أدهم ماتت أمه حزنا عليه بعد انقضاء أربعين يوما من  
تاريخ وفاته . وبدأ عهد جديد استخدم فيه أ كبر كثيرا من الوزراء ولكنه  
كان سيد الكل يتولى تصريف الأمور الهامة بنفسه . وحينما حكم الملك أ كبر  
كان حديث السن ولكن يستدل من ثنايا أعماله أنه وصل الى درجة عالية من  
النضوج الأخلاقي وسمو الفكر فانه حينما ثار عليه وصيه بيرام خان قبل أن يقتل أثناء  
سيره في طريقه الى الحجاز هزمه الملك ثم عفا عنه وأظهر له عطفًا ونبلا ولما أحضر  
له هيمو الثائر وطلب منه أن يقتله ليصبح غازيا أبت نفسه أن يقتل أسيرا وترفع  
أن يعتدى على جريح طريق فدل على طبع طيب إذ سمت نفسه عن أن ينال  
من خصمه بعد أن صار في قبضة يده ثم انه مع تقديره العظيم لأمه في الرضاع  
ولابنها أدهم خان من أجلها والذي كان مخلصا لأ كبر كل الاخلاص رغما عن  
صفاته السيئة فانه حينما قتل شمس الدين لم يتردد في توقيع أشد عقوبة عليه وهي  
القتل فدل بهذا العمل على بعده عن التحيز للمقربين اليه اذا أساءوا صنعا ثم إن  
اجتماعه كانت كلها من أجل ابتغاء العلم والحكمة حتى صار شخصه منبعا للفضائل  
ومن صفاته البارزة الاعتماد على نفسه ومما جاء في وصف ابنه جهانجير له



في منتصف حياته أنه كان متوسط الحجم طويل الذراعين قوى الجسم أسمر اللون مع اصفرار ، أسود العينين والحاجبين وعريض الجبهة وقال أن صوته كان عاليا ورغما عن أن تعلمه كان سطحيا إلا أن حديثه كان ممتعا وكانت صفاته وطباعه تختلف كثيراً عن صفات غيره من الخلق وكان يعلم هيئته هيئة الهية وكان مواظبا على عمله معتدلا في شهواته ويصرف وقته في الانكباب على تصريف الأمور الهامة وإذا نام نام قليلا حتى يحيل لمن يراه أنه كالتيقظ وكان لا يأكل إلا مرة واحدة في اليوم ويراعى في ذلك الاعتدال حتى لا يصل لدرجة الشبع ، وكان ماء نهر الجانجيز شرابه وكان يبرده بملح البارود وكان يوضع في أوان ويختم عليه خوفا من السم ، ومن عاداته أنه كان لا يذوق اللحم الا مرتين في الأسبوع ويكون لذلك كارها ، لأنه كما كان يقول « لا يحب أن يجعل جسمه مقبرة للحيوانات غير أنه لم يجد مفرا من التغذى بها لتموض جسمه من التعب وكان دائم النشاط شديد الجهد طويله ومفرما برياضة الفروسية كالصيد والسباحة وكان يقوى مطاردة الوحوش كالفيل والتمر وكانت منظما لسلاحه ويعطى المدافع أسماء معينة وترك لها تاريخا حفظ فيه ما أدته هذه الأسلحة من الخدمات وكان نابغا في الميكانيكا وله عدة اختراعات ، وهو الذي اخترع ماسورة للبندقية من الحديد لا تنفجر ، واخترع جهازا لتنظيف ستة عشر مدفعا دفعة واحدة واخترع طريقة يطلق بها سبعة عشر مدفعا بكبسونة واحدة وأدخل كثيراً من التحسينات على أشياء متعددة ، وكان (أكبر) أعجوبة من حيث جلده على احتمال المشاق إذ قيل عنه أنه قطع المسافة بين أجمير وأجرا وقدرها مئتان وأربعون ميلا في يوم وليلة واحدة على ظهور الخيل وكان يسرع العدو لدرجة زائدة حتى أن كثيرا ما سقطت خيله ميتة من شدة الإرهاق ، وكان مقرما برؤيا المعارك ، حتى أنه أثناء مروره بمدينة « تانسوار » رأى طائفتين من الهندوس دب الخلاف بينهما تسابقا على استحواذ الصدقات التي تعطى في مولدهم الديني الذي يقام على بحيرة هناك فاستأذناه في أن يقتلا طبقا

لعاداتهم المتبعة فصرح لها بذلك وأوعز الى بعض جنوده في تقليد الطائفة الضعيفة منهما والاندماج بينها لمساعدتها ودار القتال وقتل الكثير من الطرفين فسر بهذا النظر سروراً كبيراً ، وكان في مواقفه الحربية لا يثنى عن قصده مهما بلغ خطره فقد ثار عليه ضابط أذربكي كبير اسمه « على كولى خان زمان » من أعوان أخيه حاكم خان وسبق أن عفا عنه الملك أكبر وكان من شيعته أن يعفو كثيراً ولكن لتكرر تمرد انقض عليه هذه المرة حتى أنه لم يستطع الاستمرار في سرعة الهجوم مع الملك غير قوة لاتعدو خمسة فارس ومع ذلك لم ينتظر حتى تتجمع القوى بل اندفع في طريقه مقتحماً صفوف الخصوم ولما اشتد القتال نزل الملك عن فيله وركب حصاناً وأعطى أمراً للفيلة بالطاردة وكان بها فيل شهير اسمه هرناند فأطلق عليه الخصوم فيلاً اسمه ديانا ولكن فيل الملك أصاب منه مقتلاً . وأصيب على كولى بسهم محاول اخراجه وأصيب حصانه أيضاً بسهم فجمح به فأدركه فيل اسمه نارسنج ودهسه عندما أسقطه الحصان ثم أحضرت الأسرى في نهاية الموقعة فأمر أكبر بأن تدهسها الفيلة . وكانت هذه عادة متبعة في الهند لم يتورع عنها حتى الملك أكبر المشهور برقته . وكانت تناب الملك أكبر بوبات غضب فيتركب فيها أفسى الأعمال وكان أحياناً وقت غضبه ربما أمر أن يرمى خدام من أعلا البناء إذا هفا هفوة وربما قتل ألفاً أو ألفين من الأسرى وأقام من جماجمها أهراماً وربما كان يعاوده هذا الطبع ورائة عن جدوده جينكيز وتيمور ولكن على وجه العموم فإن الرافة والرفقة كانت غالبية على طباعه في أغلب الأحيان ومما يروى عن شجاعته أن أبناء عمه ثاروا عليه في سورات سنة ١٥٧٢ ولأنه كان دائماً يهاجم خصومه بسرعة البرق فإنه وجد نفسه فجأة على ضفة نهر ماهندرى أمام خصومه ولم يستطع متابعتهم في السير غير أربعين من رجاله وأدركهم بعد قليل ستون آخرون وبهذه القوة الضئيلة هجم على المدينة بعد ما سبج النهر وكان يقف ازاء كل جندي من رجاله عشرة من جنود خصومه فاعتصم في مكان ضيق يحيط به شوك ووقف في المقدمة وبجانبه الراجا بجوان داس

فطاردها ثلاثة من فرسان العدو ( لضيق المر ) فاصاب الراجا أحدهم وطارده  
الملك الاثنين الآخرين ففرا من وجهه واندفع متتبعا للخصوم وتحملت  
قوته الصغيرة لما رأت الخطر الذي استهدف له ملكهم ففرت قوى الخصوم  
وعاد الأبطال المنصورون إلى مدينة بارودا ، وفي حروبه من سنة ١٥٧٢ الى سنة  
١٥٧٣ عاد فاحتل أحمد آباد وكبای وبارودا وليس ذلك فقط بل احتل قلعة سورات  
الشهيرة بمنعتها وكانت معدة لمقاومة البرتغاليين وحينما دخلها الملك اكبر وجد بها  
مدافع كبيرة عليها اسم السلطان سليمان ملك تركيا العظيم ثم إنه لما احتل قلعة  
« جوناجار » سنة ١٥٩١ وجد بها مدفعا من مدافع السلطان سليمان اذ حاول  
استطوله اقتحام هذا الشاطئ وترك هذا المدفع هناك عند عجزه . وكان وجود  
الراجا بجوان في الحروب بجانب الملك اكبر ذا مغزى سياسى عظيم فانه وان كان  
الملك فقد عطف كثير من المسلمين بل قاسى مناوآتهم له إلا أنه استعاض عن  
ذلك بما كسبه من ولاء كثير من الهندوس له . لما أظهره من الاعتدال في معاملاتهم  
وقد علل بعض المؤرخين ارفعاء اكبر في أحضان الهندوس انه كان نتيجة تألب  
الكثير من ضباطه الاتراك عليه وقد تزوج بأمرتين من بنات أعمامه وهما رقية  
وسليمة ولكن تزوج بجانبهما الأميرة الهندوسية ابنة الراجا « بهارى مال » وقد أنعم  
الملك على أبيها بأعلى رتبة تعطى لأشراف الدولة وجعله رئيسا على خمسة آلاف فارس وأباح  
لمروسه وهى ابنة الراجا بأداء فروضها الدينية وقد شجعت على معاملة الهندوس بروح  
الاعتدال فيما يختص بشرائعهم وقد أكثر الملك من الزواج حتى كان لديه من الزوجات  
الهندوسية والفارسية والمغولية والأرمينية وحتى حوت سرايه عصابة أم نسائية .  
ومما رواه أبو الفضل وهو أحد العلماء الملازمين لأكبر أن سرايه كانت تحوى  
خمسة آلاف امرأة وكان من آثار زواجه بالأميرة الهندوسية أنه النى الجزية  
المفروضة على الهندوس والضريبة التى كانت تجبى من حجاجهم وكان لالغائهما  
أحسن الأثر لدى الهندوس الأمر الذى جعل أغلبهم يخلدون الى السكون فى  
عهده إذا استثنين بعض حوادث كدورت الملائق بين أكبر والهندوس ومنها

التجاء الباز بهادر إلى أوداي سنج ابن راجا سانجا الشهير في عهد بابر فلما أعطاه ملجأً وتحدى أكبر قصده الملك بجيش ولكنه اعتصم في قلعة شيتور الشهيرة التي يكاد يكون اقتحامها عسيراً لموقعها الطبيعي حيث تقع على مرتفع صخري يكاد يكون قائم الجوانب . مما يجعل تسلقه في غاية الخطورة ولكن رغمًا عن كل هذه الاعتبارات فإن ذلك لم يكن مؤثراً لا أكبر بل إنه بجملده وفنه الحربي استطاع التغلب على هذه العوائق . هذا بالرغم من أن حرس القلعة قدره ثمانية آلاف جندي وكانوا يهزأون من القوة التي جلبها الملك وقدرها أربعة آلاف مقاتل بينما كان محيط القلعة يبلغ اثني عشر ميلاً ، فجاء أكبر ببطاريات من المدافع وشرع في إعداد سبتين ( والسبت عبارة عن اختراع خاص بالهنود يستعمل كوقاء للجنود الذين يقتحمون حصناً كحصن شيتور وهو عبارة عن عدة قوائم من الحديد ترتكز على قضبان مستطيلة فوق عجلات أعلاها سقف يقي الجنود من نار الحصون وبذلك يستطيعون الاقتراب من الحصن وفتح ثغرة فيه يدخلون منها دون استهداف للكثير من نار المدافعين أو يمكنهم من لغم بعض الأماكن في الحصن ولما أتم الملك صنع السبتين بدأ بالهجوم وجلس على سقف أحدها وصار يشجع جنده على التقدم وكان لا يعادله أحد في إصابة الهدف فلما رأى جايمال قائد الحصن صوب إليه طلقاً نارياً فقتله واختل على أثر ذلك نظام حامية القلعة ولكنها لم تسلم القلعة أو المدينة إلا بعد قتال على كل شبر أرض منها . غير أن اليوم انتهى بهزيمة الراجبوت وقتل منهم ثمانية آلاف رجل ووقع باقي سكان المدينة في الأسر ومما يؤثر عن الملك أكبر أنه أقام تماثيل للأخوين الذين دافعا عن القلعة ووضعها على فيلين من البناء أمام باب دلهي اعترافاً منه بشجاعة خصومه . وتلا سقوط قلعة شيتور تسليم حصن رانامبور وكانجاز وبذلك انتهت فتنة الراجبوت بعد ما أخذوا درساً عليهم أن الخضوع لمثل أكبر أسلم عاقبة لهم وأنه لا فائدة من معاداته وإن أكبر لم يفتر بما أحرزه من النصر بل استعمل حسن السياسة فصاهر أحد أمراءهم راجايكانير إذ تزوج ابنته فربط برباط المصاهرة أكبر قوة في الهند



وضمن ولائها له وصارت قوى أكبر ليست مستمدة من المسلمين فقط بل دخل فيها العنصر الهندوسى ومن بينهم أكبر الشخصيات كراجا ييجوان وتودارمال (الشهير بتنظيم الضرائب) ومان سنج . ولقد بلغت ثقة أكبر بهم أن عهد إلى الأول والثالث محاربة راجا أودايبور فجعل الراجبوت يحاربون الراجبوت وقد حققا ثقته فيهما وتغلبا على خصمه وقهراه حيث فر منهما .

## اصلاحات أكبر

أن اندماج رؤساء الهندوس ضمن الهيئة الحاكمة في الهند كان ظاهرة كبيرة في عهد أكبر . ولم يكن الملك ممتازاً في حروبه ولا شجاعته بل كان من هذه الناحية . مثل بعض من سبقه في الحكم لا يختلف عنهم في شيء وإنما الذى جعل له ميزة على أسلافه في الحروب التى وسع بها فتوحاته حتى جاوزت فتوحات علاء الدين ، أنه استفاد من تعصيد الكثيرين من الهندوس دون إرغام منه لهم بل بمحض إرادتهم . ثم مما جعل لفتوحاته وسعة أملاكه قيمة اهتمامه بشؤونها الادارية والمالية وحرصه كل الحرص على استئصال شأفة الحكام الظالمين وكان لا يدع أحداً يستمر في ظلمه متى علم به حتى أن كثيراً من حملاته العسكرية دفعه اليها إهتمامه بتأديب الحكام الذين استباحوا مصلحة المحكومين وحقوقهم وضحوها في سبيل مصالحهم الشخصية ، وكان استخدامه لبعض الهندوس سبباً في رفع مستوى قدرة موظفيه على العمل إذ كان الفريق الهندوسى أكثر خبرة وكفاءة وتعليم من العساكر الأجورين من المغول وغيرهم حتى أنه برزت من الهندوس بعض شخصيات مثل راجا تودارمال الراجبوتى الذى سبق أن خدم في حداثة سنه الملك شيرشاه واكتسب منه وفي أيامه خبرة نادرة في تنظيم شؤون ضرائب الأراضى وموارد الدخل الأخرى ، وكان أكبر معضد لمظفرخان وزير مالية أكبر واشترك معه في وضع الأنظمة التى اتبعت بعد في فرض الضرائب وتحصيلها في أملاك أكبر التى فتحها حديثاً كما أنه ساهم في الأعمال الحربية التى

أشير إليها سابقاً في محاربة على كولي خان ، وخاض معارك كثيرة في البنغال وغيرها ، وظهرت فيها كفاءته ورقى الى رتبة وزير مكافأة له ثم إرتقى مرة أخرى حتى صار المدير لبيت مال الدولة . وهو الذي أعاد تقدير الايجارات العقارية ليتيسر فرض الضرائب بموجبها رفعاً للظلم ومنعاً للمحاباة وسار في كل الوظائف التي تقلدها ورائده المصلحة العامة فوق كل شيء . ناسياً في ذلك مصلحته الخاصة ، تلك هي الشهادة الطيبة التي سجلها له الشيخ أبو الفضل جليس أكبر وكاتب تاريخ الأكبر نانا الخالص بحياة الملك ، واسم تودار أشهر علم يعرف في تاريخ الهند في القرون الوسطى بسبب سياسته المالية الحكيمة ، التي كان لها دخل في رفع الشقاء عن الهنود بسبب فوضى الأنظمة السابقة وقد جعل ضريبة الأراضي هي الضريبة الأساسية خصوصاً بعد ما ألتى أكبر الجزية وضريبة الحجاج ونحو خمسين نوعاً من أنواع الضرائب الصغرى ، وقد سار في سياسته على التوفيق بين مصلحتي الفلاح والحكومة بحيث ترك للمالك ما يكفيه دون إرهاق له ، وقد يرجع الفضل الى شيرشاه إذ كان أول من أعطى التفاتاً وعناية لمسائل المزارعين ومن خبرته استفاد تودار هذه الشهرة المداومة ، وقد ارتفع دخل ضرائب الأطيان من أيام بار إلى عهد أكبر من مليونين وستمئة الى ثمانية عشر مليوناً وستمئة ألف من الجنيهات ، وقد نشأت هذه الزيادة الكبيرة لا من فداحة الضرائب بل من اتساع الملكة ومنع المحاباة وضبط العمل .

ومن إصلاحاته أنه ثبت ملكية المزارعين للأرض بعد أن كانت متزعزعة إذ اعترف لهم بالملكية ، وفي عهد أكبر ، أزيلت الفوارق بين الهندوس والمسلمين في رفع الضرائب ولقد سهل أكبر على الفلاحين وسائل الشكاية بعد أن كانت صعبة ممقدة ، كما انه كان يعاقب الجائرين أشد العقاب وأنقص نصف عدد الجباة توفيراً لأبواب الصرف وكان يمد الفلاحين بالتقاوى والسلف الزراعية لمن يحتاجها وتجاوز عن المتأخرات التي كانت على الفلاحين إستنهاضاً لهممهم وإحياء لأمهم في نتائج العمل ، وكان يطالب رؤساء المحصلين بتقديم تقارير وافية عن صفار

محصل الضرائب وكيفية سلوكهم وكان يطالب رجال الادارة بموافاته بكل حادث يقع في دائرة نفوذهم خاصة بما يصيب الاراضي من الفرق والشرق . والآفات الأخرى ليعالج أثرها .

ومما يذكر لأ كبر بالفخر أن النظام الذي يسير عليه الانجليز الآن في الهند لا يختلف عن نظام أ كبر إلا ببعض تعديلات طفيفة وكان مما أمر به أ كبر أن جميع بيانات الحكومة الخاصة بالمعاملات والضرائب يجب أن تكون مكتوبة باللغة الفارسية ( أي لغة الحاكم ) لا اللغة الهندية وكان ذلك من أ كبر العوامل التي بسببها انتشرت لغة فارس في الهند .

وقد جرى الانجليز حديثا على نفس هذه الطريقة فعملوا لغة الحكومة في الهند هي الانجليزية . ومن أجل هذا أصبح كل المعلمين في الهند يعرفون هذه اللغة لأن القائمين بالأمر حتموا أن تكون كل المكاتب الحكومية بلغة الحاكم الأجنبي .

وكان من أظهر إصلاحات الملك أ كبر تقسيمه الامبراطورية الى أقسام صغيرة عين لكل قسم منها مباشرا وجعل من واجبه أن يعمل على تحويل كل الأراضي البائرة في دائرته الى مزرعة في مدة لا تتجاوز ثلاث سنين وبذلك أحيا كثيرا من الأرض الموات وزاد في أرزاق الهند وفي موارد الدولة معا ، ثم إنه وزع مساحات كبيرة من الأراضي على بعض العائلات دون ثمن وفرض عليها أن تقدم جنودا وخيولا وأفيالا للجيش بمقادير عينها تبعا للمساحة .

وأ كبر من الشخصيات التي قدرها حق قدرها كتاب أوروبا الذين درسوا المسائل الشرقية واعتبروه مصلحا من أ كبر المصلحين وسياسيا في مقدمة الساسيين ومما جاء تأييدا له قول أحدهم . « نرى في التاريخ عدة أمثلة لأشخاص استطاعوا غزو امبراطوريات بحمد السيف إلا أن تكوين الامبراطورية بالقوة شيء والقدرة في المحافظة عليها شيء آخر . ولكن أ كبر كان من القليلين الذين استطاعوا تكوين امبراطورية واستطاعوا حكمها .



### الديوان الخاص للملك أكبر بمدينة فتح بور سكرى

أما رأى المؤرخين الشرقيين إذا استثنينا أبا الفضل كاتب الشاه نانا وكان يعتبر أكبر المثل الأعلى في كل شيء . فانا لم نجد منهم إلا انكارهم عليه أشياء كثيرة عدوها من أكبر غلطاته ومن أشدهم لوماله واستياء منه البدوانى المؤرخ إذ كان يعتبره منحرفاً عن الدين غير مقدر لمواقب سياسته وخصوصاً بعد أن أنشأ ما سماه بيت العبادات ( أو الديوان الخاص ) إذ كان يجمع فيه الملك رجال الديانات المختلفة من علماء سنيين وشيعة وقسس وبراهمة وغيرهم وكان على رأسهم العالم الشهير والفيلسوف الكبير أبو الفصل وأخوه فيظى شاعر أكبر ، وكلفهم بانتقاء دين بحيث يكون خليطاً من كل الأديان وأن يختاروا من كل دين أصلح ما فيه . وغلى أكبر في هذا المشروع حتى اشتهر عنه أنه كان يغالى في احترام كل الأما كن المقدسة التابعة لغير دينه ويشاطر أتباعها في عباداتهم المختلفة مما أثار عليه ضغينة العناصر الاسلامية وإن كان أغلبهم لم يظهر امتعاضه إلا في



أواخر حكمه حيث كان الاستياء قد اشتد منه من الطوائف الاسلامية . والواقع أن سياسة أكبر التي أراد بها كسب إخلاص الهندوس وذلك برفع المظالم عنهم ووضعهم في مستوى واحد مع المسلمين أمر من الوجهة الاخلاقية لا غبار عليه بل يستحق كل تقدير وثناء أما إذا تعرضنا لفحص هذه الخطة من الناحية السياسية فقد تكون نظرية أكبر من أخطر المسائل التي أضرت بقضية المسلمين خصوصاً وإن أكبر لم يكن عالماً أخلاقياً بل حاكماً سياسياً قوضه الهندوس مع المسلمين في مستوى واحد كان عملاً سابقاً لأوانه إن لم يكن خطراً . ومبنيًا على أسباب لم يحسن فهمها فمسئلة الجزية حينما يدفعها الهندوسى بعد ما يفرضها المسلم كان القصد منها تقوية العنصر الحربى وكان وقتئذ المسلمون هم الذين يقومون دون غيرهم بالحروب وحماية الثغور من الغزات كما حصل في عهد تيمور ، ثم إن وضع الهندوس على قدم المساواة مع المسلمين لم يكن ليجعلهم يحبون المسلمين ويخلصون لهم بل لو أن أكبر أعطى الهندوس امتيازات على المسلمين فقد يحبه الهندوس وحده كما لم رفع الظلم عنهم وحاباهم ولكنهم بأى حال من الأحوال لن يحبوا المسلمين فهم لن ينسوا أنهم كانوا غزاة لبلادهم ودخلاء عليهم وبما أن الهندوس كانوا أكثرية كبرى إذ كانت نسبتهم وقتئذ ثمانية إلى واحد من المسلمين فتقويتهم لو استمرت لكانت نتيجةها الطبيعية تمكينهم من التغلب على العنصر الاسلامى ، وليس ذلك فقط بل إخراج هذا العنصر من الهند والقضاء على الديانة الاسلامية وكل أثر إسلامى فى هندستان ، خصوصاً وأن الدعوة للدين لم تقم بالحجة والمنطق إلا فى حالات قليلة وكانت فيما عدا ذلك بالسيف والرمح ولم يوجد بيت أو عائلة من الهندوس لم تكن ممتلئة في عضو في أعضائها فلو أن الفرصة سنحت لهم وطال العهد بأ أكبر حتى يستحوذوا على أكثر وظائف الدولة وتصبح أغلبية الجيش منهم — لو أن هذا تم — لما بقى مسلم واحد فى الهند وما وقع من التخريب للهياكل والأصنام الهندوسية لوقع أشد منه على المساجد والمخلفات الاسلامية ولما بقى جامع فى دلهى أو أجرا أو أى مدينة أخرى

ولو طالقت الفرصة للهندوس حتى يتمكنوا من رقاب المسلمين لما بقي لأكبر أو قوم أكبر أثر على العرش أو خارج العرش ولكانت هزيمة أبدية ، أما الآن وإن يكن خرج الحكم من يد المغول فإن المسلمين لم يخسروا معه أملا كههم ولا فقدوا تقاليدهم . والانكليز الذين طردوا المغول من الهند وامتلكوها سيأتى عليهم الظرف السياسى - حتم - الذى بموجبه سيخرجون من الهند كما خرج منها الاسكندر وتيمور وعندئذ تكون الفرص تنتظر المسلمين إذا أمكنهم استفلاها فى المستقبل ، خصوصا وإن الحكومات الاسلامية المتاخمة للهند من الشمال والغرب آخذة بأسباب التقدم والقوة وتكاد الطروف تهى لها الفرصة فيما بعد اذا استيقظت فيها الهمة والأمل بمقدار كاف وذكرت مجد حكامها السابقين كمحمود غزنوى والغورى وبار ونادر شاه وهاهى انجلترا اليوم غيرها بالأمس فانها فيما مضى كانت دولة لا تقاربها فى اقوة أو تنازعها فى الصولة أمة أخرى . أما الآن فإن الشمس المشرقة شمس اليابان الساطعة التى بدأت تحقق بروجرامها السياسى العظيم وهو تحرير آسيا من النفوذ الأوروبى صارت عاملا كبيرا فى إضعاف انجلترا عن صيانة مركزها فى الشرق . يضاف اليها أسباب أوروبية وهى ظهور دول الفاشست بمظهر القوة التى لا عهد لانجلترا به سابقا مما جعلها لا تطمئن الى مركزها فى أفريقيا ، فسواء أرادت أن تحتفظ بمجدها أو لم ترد فقد صارت مأموريتها فوق طاقتها والتى وقع فعلا فى أيامنا هذه من الحوادث السياسية العظيمة كامتلاك إيطاليا للحبشة وألمانيا للنمسا وتغوق الحليفين فى مركزها الحالى باسبانيا ثم ظهور الدولة اليابانية بمظهرها الأخير واحتلال منشوريا بعد كوريا ثم احتلال ولايات الصين الشمالية وفيها من ثروة الصين المعدنية ما يقدر بثمانين فى المئة من مجموعها ثم الاستمرار فى غزو الصين واحتلال شواطئها ووقوف انجلترا موقف المتردد مع أن لها من المصالح والثروة التجارية بما يقدر بثلاثمئة مليون من الجنيهات فى شنفهاى وحدها - كل هذا من علامات الضعف المؤذن بزوال مجد انجلترا - فأين نحن الآن من العهد السابق الذى كان فيه الأمر

للا انجليز ولم تكن أى دولة فى العالم تستطيع أن تحدث تغييرا فى سياستها الخارجية دون رضى منهم وأين نحن من الزمن الذى كان فيه الجنرال الفرنسى مرشال يدخل فاشودا قبل الانجليز ويرفع راية فرنسا عليها فىأتى انجليزى ويأمر بازال هذه الراية وتحضع فرنسا ، ثم نجىء روسيا بما لها من قوة وجيوش تحارب تركيا وتهزمها وتكاد تحصل على حلها القديم وهو منفذ على البحر الأبيض المتوسط فتأتى انجلترا وتضطرها للرجوع خائبة وتحرمها من ثمرة غزوها ، ثم يجيىء موسولوى فى أوائل أمره ويقع فى خلاف مع دولة اليونان الصغيرة ويفرض عليها غرامة ويحتل بعض جزرها فى مدخل الادرياتيك فيصه انذار من الانجليز بأن يعدل عن خطته وكل ذلك فى أربع وعشرين ساعة — يرضخ ويسلم بالأمر دون أى اعتراض ثم تدور الأيام دورتها ويشرع الدوتشى فى القيام بأعمال جريئة تهدد مصالح انجلترا مالياً وسياسياً وذلك بامتلاكه بلاد الحبشة فتؤلب عليه انجلترا عصبه أمم وتهدد ثم لا تفلح فى سياستها ولا يجوز تهديدها ثم تدخل الحبشة ضمن امبراطورية الرومان الجديدة فلا تصادق انجلترا ثم ترجع وتصادق تحت ضغط ايطاليا التى زجت بنفسها أخيراً فى اسبانيا وقطعت لانجلترا عهداً ولأن لم تبد اكثر انا لانجاز ما وعدت ثم يجيىء هتلر ويضم النمسا فى أربع وعشرين ساعة وقبلها كانت انجلترا وحليفتها فرنسا لا تسلمان بهذا العمل ولكن سرعان ما خضع الانجليز للأمر الواقع وتنازلوا عن عهودهم للنمسا ولقد نشأ قديماً عند انجلترا حب إملاء إرادتهم على الغير حتى أصبح طبيعة لازمة فى كل مكان من أجل هذه العادة الغريبة وقع لولاية فلسطين الجرداء ما هى فيه من محنة الآن فان هذه الدولة التى غوت فرض ارادتها لما عجزت عن تحقيقها وفشلت شرقاً وغرباً ، شمالاً وجنوباً اختارت هذه البقعة الضعيفة لكي تجرد بأسها المقهور فى الصين والحبشة واسبانيا والنمسا ومازالت مستمرة فى غيابها فى خدمة اليهود واتحدت معهم لمحاربة هذه الفئة القليلة من العرب وسارت فى طريقها تهدم منازل الساكنين وتروع القوم الآمنين وتجرد المالكين وتقتل نفوسا حرم الله قتلها الا بالحق وهذا من أوضح العلامات

الدالة على انحلال هذه الدولة وتشمبرلن ذلك الذي يدعى أن استسلامه انما جاء حبا وتأيداً للسلم لم يظهر منه هذا الحب ولا هذه الرغبة الشريفة في مسألة فلسطين فدل بذلك على أن المسألة لم تكن منه حبا للسلم بل عجزاً واضحاً وجبنا فاضحا إذ لو كان السلم عابته الشريفة فلماذا احترمه أمام الأقوياء وبهذه أمام الضعفاء ولكن فلسطين هذه الضعيفة التي رويت أرضها بالدماء لها أمم اسلامية تعطف عليها والمسلم أخو المسلم وستكون مسائلها الباعث الأكبر على الانتفاض على إنجلترا في ظرف قريب ولن تفلت اليابان الانتفاع بهذه الفرصة إذ ستستغل هذه الضعيفة المتقدمة ضد إنجلترا من سواحل البحر الأبيض إلى جبال الهملايا ومتى اشتبكت إنجلترا في حرب أوروبية أو غير أوروبية فستظهر حركة عدائية للانكليز في شمال الهند خصوصاً وإن مركز الانجليز في الهند يعادل تماماً مركز المغول الذين سقطوا في الهند لأنهم لم يعتمدوا في حكمها على جيوش مغولية وكذلك الانجليز الآن يعتمدون في حكم الهند على جيش من الهنود الذين تتأجج في قلوبهم الضغائن الكامنة فهي واقعة في نفس الفلطة التي جلبت على الحكم المغولي أسباب انقراضه .

بعد هذا التعليق الذي لم أجد منه مفرأ لأن أسباب خروج الانجليز متوفر فيها الأسباب عينها التي قضت على المغول يضاف إليها العوامل الخارجية التي سبق ذكرها وشرحها ونعود الآن إلى باقي سيرة الملك أكبر

في الثلث الأخير من حياة أكبر ثارت عليه موجة استياء مع انتفاض في أماكن كثيرة سببت له سلسلة حروب وأغلبها مع الأمراء المسلمين ومنها اعتداء مرزا محمد حاكم والى أفغانستان إذ غزا شمال الهند واستمر في زحفه إلى مدينة لاهور سنة ١٥٨١ لكن حينما قابله جيش الامبراطور تحت قيادة الأمير مراد الاسمية ( ابن أكبر ) ارتد إلى كابل ولكن الجيش الامبراطوري استمر متعقباً أثر المعتدين حتى كابل في سنة ١٥٨٢ وكانت هذه أول مرة زار فيها هذا الأمير هذه العاصمة من أيام طفولته ، وفي خلال مدة المعركة بنى أكبر حصن آتوك على نهر السند وبذلك استطاع الاشراف على الجزء الأعلى من النهر وفي سنة ١٥٨٤



مات مرزا محمد أكبر ويقال ان الذي عجل بوفاته اعتياده على كثرة شرب الخمر  
الشديدة ككثير من أمراء عائلة تيمور وعند موته أوفد الملك راجا ييجوان  
ومان سنج وقد عين الأخير والياً عليها وهذه أول مرة في تاريخ المغول عين فيها  
والى هندوسى على ولاية إسلامية وجلس في كابل وفي سنة ١٥٩١ أخضع خان  
الخانقات مرزا عبد الرحيم بن ييرام خان ( الذى عين مكان أبيه ) ولايات السند  
الجنوبية التى كانت ثائرة تحت زعامة جاني بج وكان في حلال هذه الثورة وقبل  
أن يتم اتحادها قد اندلع لهيب ثورة أخرى في شمال الهند في المقاطعات والأماكن  
الجبلية على أثر دعوة دينية قام بها أحد رجال الدين اسمه الشيخ « بايزيد » وبثها  
بين القبائل وكان الغرض منها الجهاد في سبيل الله ضد الكفار أولاً ونشر التعاليم  
الشيوعية وقد ادعى الشيخ بايزيد المهدوية فزاد ذلك الثورة لهيباً وتولى الدعاية بعده  
ابنه جلال الدين وكان لا يزال ولداً حديث السن وفي عهده اتحدت أغلب قبائل  
الشمال وأيدته في دعوته وصاروا بذلك خصوصاً أقوى لاسباً وإن جميع القبائل  
دخلت ضمن الاتحاد فيما بعد سواء كانت شيعية أو سنية وتوحد المجهود ضد  
قوى المغول فأوفد الملك زين خان كوكو « وأمه بالقائد أبي الفتح والراجا « يربول »  
فما كان مركز جيش المغول في السهل كان بئساً إلا أنه حينما حاول اقتحام  
الجبال العالية عاد ذلك بالوبال على الجيش فقد وقع في كمين وانهاك عليه المقاتلون  
بالسهام والأحجار من الأماكن العالية فحسر الجيش ثمانية آلاف جندي وذبح  
يربول ولم يستطع زين خان وأبو الفتح الرجوع إلى حصن أتوك إلا بعد فناء  
الجيش وقد أزعجت هذه الأخبار الملك أكبر فأوفد راجا تودار مال ومان سنج  
فلم يفلح ولكن الأمبراطور تولى الأمر بنفسه وكان كلما تقدم مسافة قصيرة بنى  
استحكامات بها للاعتصام فيها والمحافظة على ما يكون استرده وبذلك استطاع أن  
يميد كابل ولم يقض على هذه الحركة الدينية إلا في سنة ١٦٠١ حيث قتل زعيمها  
في مدينة غزنة وكانت جيوش أكبر خلال هذه الحروب موزعة في عدة أماكن  
فاحتلت ولاية كشمير وصار مولماً فيها بعد بالاقامة فيها والتردد كثير أعليها لكثرة

الأشجار وجمال الطبيعة هناك ثم إن كشمير سارت محلا مألوفا لمن جاء بعد أكبر  
من الملوك ومن بين من أغرم بها جهانبجير ابنه . والانجليز فيما بعد إذ اتخذوها  
مضيفا لهم .



مقبرة الملك أكبر

## الديكان

في جنوب الهند ساهمت ولايات الديكان في الثورة والخروج على أكبر فكتانما كان شمال الهند وجنوبها على ميعاد إذ اضطر أن يبذل مجهوداً كبيراً في جنوب الهند أيضاً ويرجع السبب إلى اعتداء بعض أمراء الجنوب على مملكة برهان نظام شاه الثاني الذي طرده خصومه فالتجأ إلى الملك أكبر فأحسن مقابلته وساعده حتى استرد ملكه في سنة ١٥٩٠ وفي السنة التي تلتها أرسل الامبراطور أكبر سفراء من قبله إلى ملوك الجنوب في الديكان يطلب منهم الاعتراف له بالسلطة والسيادة عليهم ولكن عاد له السفراء برفض طلباته ما عدا السفير الذي توجه إلى ولاية كندس الذي كان واليها الراجا على خان وعلى أثر فشل مهمة السفراء أرسل أكبر الأمير مراد ابنه صحبة جيش تحت قيادة خان الخانات ابن بيرام فحاصر الاثنان مدينة أحمد ناجور ولكن قام بأمور الدفاع عن هذا المكان الأميرة المسلمة « شاندی بيبي » إحدى أميرات بيجابور والتي أثبتت بما أبدته من الشجاعة والمهارة أن المرأة المسلمة ليست أقل شأناً من المرأة الراجبوتية وقد ذكر أحد المؤرخين المسلمين وصف الموقعة التي جرت فقال إن الأمير مراد يؤيده صادق محمد خان كان يغار من خان الخانات فأمر الأول بالهجوم دون أن يخبر الأخير ليكون له فضل احتلال المكان بمفرده فأشعل خط الألفام الذي كان وضعه لنسف الحصن فانفجر من هذه الألفام ثلاثة فقط وأحدث انفجارها ثغرة في سور المدينة اتساعها ثمانين قدماً وانتظر المغول حتى تنفجر الألفام الباقية لكي تحدث أثراً كافياً ولكن من في المدينة من الحامية تمكنوا من إفسادها قبل اشتغالها وتكاثروا حول الثغرة واستماتوا في الدفاع عنها وخرجت الأميرة « شاندی بيبي » ويفطى وجهها النقاب وأمرت بإطلاق المدافع وقذف الأحجار على رؤوس المهاجمين فصدهم في عدة كرات هجموا فيها وفي أثناء الليل وقفت بجانب المال ولم تبرح مكانها حتى سدت الثغرة بالبناء والأخشاب والأحجار وجثث القتلى والتراب إلى أن صار ارتفاعها تسعة أقدام وبعد ارتداد جيش الأمير

فتحت المفاوضات للصلح وانتهت بأن يستبق الأمير مقاطعة بيدار الصغيرة التي سبق له اجتياحها على أن تستبق الأميرة « شاندى يبي » أحمد ناجور وعلى أثر ذلك أعفت الأميرة نفسها من الحكم وتنازلت لأخيها الصغير الأمير بهادر نظام شاه حفيد برهان نظام شاه الذي مات قبل وقوع هذه الحرب ولكن السلطة الحقيقية كانت في يد كبير وزرائه الذي سلك مسلكاً أثار الحرب من جديد وانتقضت بذلك أسباب الصلح واضطر عبد الرحيم خان الخانات أن يواجه جيشين في دفعة واحدة : أولهما من أحمد ناجور والثاني من بيجابور وخاض موقعة « أشنى » في سنة ١٥٩٧ وكانت من أشد الوقائع هولاً فإن سهيل خان الذي كان يقود جيوش بيجابور أرغم الجيش الذي يواجهه تحت قيادة راجا على خان أمير كندس إلى الفرار وكاد القائد يقع قتيلاً ولما أرخى الليل سدوله أوقد سهيل نورا فرأى خان الخانات جيش خصمه قاصراً بإطلاق المدفعية فاضطرب جيش سهيل من هذه المباغته وأدرك سهيل السر في ذلك قاصراً فوراً بإطفاء الأنوار وغير موقعة ليتفادى طلقات مدفعية الخصوم وشرع الجيشان المتقابلان يستعدان للقتال عند الفجر وافتتح سهيل الموقعة وخاضها باثني عشر ألف خيال وكانت موقعة على جانب عظيم من الشدة وقد أظهر فيها سهيل آيات الجلد والشجاعة ولما طال الأمد وكان قد أصيب بجروح متعددة انتابه ضعف شديد من نزيف الدماء فسقط من حصانه على الأرض وأدركه بعض أعوانه وحمله بعيداً وكما هي المادة تشتت جيشه بسبب انقطاعه عن الموقعة لاصابته فاستفاد خان الخانات وصار سيداً للموقف ولكنه لما كان في حالة لا تسمح له بمتابعة الفارين فقد عاد بجيشه إلى شاه بور وتجدد القتال ثانية حينما حاصر المغول بهادر خان في قلعة عسير وهي ذات منعة شديدة وقد قاومت الخصوم سنة كاملة فلما امتد زمن حصارها جاء أكبر ليستنهضهم المقاتلين ولأنه ظن في بعض قواده تعمد التراخي ولم تسلم هذه القلعة إلا لما تجمعت فيها عوامل الخيانة وانتشرت بين حاميتها الأمراض الفتاكة ووقعت المجاعة بسبب نفاذ القوات وأخذ بهادر أسيراً في سنة ١٦٠٠



وأرسل الى سجن «جوالبور» وفي خلال هذه المدة عادت الأميرة المسلحة الشهيرة شاندى ييبى إلى الحكم في أحمد ناجور ولكن بكل أسف اتهمت بأنها على اتفاق سرى وأنها تواطأت مع المغول فقتلت ، ولما علم المغول بذلك عادوا الى محاصرة احمد ناجور فلم تثبت على الدفاع إلا قليلا وسلمت في سنة ١٦٠١ . ومن هذا العهد فقدت هذه المدينة كل ظل في الاستقلال ولكن الولاية ثارت وبقيت في ثورات متقطعة لمدة أربعين سنة وعين الملك ولديه مراد ودنيال على ولاية جوجيرات وولاية الديكان ولكنهما ماتا بعد مدة قصيرة من تعيينهما بعد أن فقد كل احترام يليق بمركزيهما ويعزى سبب وفاتهما الى افراطهما الزائد في تماطى المسكرات ولم يبق للملك غير ولد واحد اسمه سالم والأسباب التى دعت إلى تسميته بهذا الاسم ترجع الى أن أكبر قضي نحو أربعة عشر عاما لم يرزق فيها بولى عهد وكان قلقه شديدا من هذه الناحية وكانت جل أمانيه أن تسوق له العناية ولذا فأن الأطفال الذين رزقهم ماتوا جميعا ومن أجل هذا كان يكثر الزيارات للاولياء والصالحين (توسلا وتبركا) واتفق أنه زار عند مدينة «سيكرى» شيخا اسمه سالم الشيشتى اشتهر بالتقى والورع ، وعاش عيشة التاسك يقيم هناك في إحدى المغارات بمفرده فلما مر عليه الملك ورآه الشيخ بشره بسلام سيممر طويلا ، فولدت له الأميرة الهندوسية غلاما سماه سالما وصار هذا الغلام امبراطورا للهند على أثر وفاة أبيه وهو المعروف ببجهانجير ، وكانت ولادته سببا في تعمير مدينة سيكرى وسميت «فتح بورسيكري» وقد اعتاد الامبراطور أن يتردد عليها كثيرا وبني بها العطاء بيوتا وكانت أحسن مدن الهند بناء وحسن روتق وكانت بالنسبة للهند ما كانت عليه «يومى» أيام امبراطورية الرومان وما زالت هذه المدينة أن تنطق بأن هذا العالم كطيف خيال . ومحيط بتأسيسها يبلغ سبعة أميال ولها سبع بوابات كبار وبها قصور على أكبر درجة من الدوق والتنميق في حسن زخارفها وزينتها وبها مسجد عظيم بنى كله من الرخام النقى الناصع البياض وبجانبه معبد للشيخ سالم من نفس هذا الرخام ، وقد زارها سائح انجليزى بعد موت

مؤسسها بسنين قلائل فوجدها خراباً وأن من الخطر أن يمر بها انسان ليلاً  
وما زالت مهجورة إلى وقتنا هذا وصارت تعتبر آثاراً ومع أنها في بهائها كانت  
كقصور فرساي ( بفرنسا ) إلا أنه لم يحاول حاكم أن يسكنها بعده وكذلك لم  
يخلق بعده من كان من طبقته من حيث عظمته وذوقه غير أن الزمن تنكر لهذا  
الملك العظيم وجعل آخر عهده بالحياة أياماً سوداً حالكة حتى صار ينطبق عليه  
قول الشاعر .

المرؤ يأمل أن يعيش	وطول عيش قد يضره
تفنى بشاشته ويبقى	بعد حلو العيش مره
وتخونه الأيام حتى	لا يرى شيئاً يسره

وكيف لا تكون أيامه الأخيرة جهداً وشقاء وقد رأى فيها انتفاض عليه لم يره  
في بدء حياته ثم أنه مات له ولدان وهما مراد ودينال ولم يعيش له غير ابنه الذي كان  
دائم النفور منه وهو سالم وقد كان أكبر مغرماً جداً ببعض الشخصيات من  
حاشيته وكان لا يرى العيش يطيب إلا بهم غير أنه فجع في أغلبهم وعاش بعدم  
ليحزن عليهم وعلى ولديه وفي مقدمة من رزى فيهم الملك الشيخ أبو الفضل  
صاحب كتابي الأكبر ناما وعين الأخبار ونظر الغرابه قصة قتله وما يستخلص  
منها من الممانى التي تفيد في شرح الأثر الذي تركته أعمال أكبر الدينيه  
فسندكرها وهي كما يأتى :

كان الأمير سالم بن أكبر موضع سخط أبيه وكان يعتقد كل الاعتقاد أن  
الكراهية والبغضاء التي يحملها والده له هي نتيجة تحريض الشيخ أبي الفضل  
لدى والده وقد خشى سالم المواقب إن استمر الحال على ما هو عليه ففكر في قتله  
خوفاً من أن ينجح لدى والده في إقناعه باسناد العرش إلى حفيده خسرو متعدياً  
لسالم فقرر أن يقتله ليكون بئامن من دسائسه فاتفق أن الملك أكبر أوفد الشيخ  
أبا الفضل في مأمورية إلى ولايات الديكان ففى أثناء عودته كان الأمير سالم اتفق  
مع أحد الأمراء الهندوسيين على أن يقتله فقام هذا الهندوسى بمأموريته دون تردد

وكان يجدر بمثله أن لا يطيع هوى الأمير ولا ينقاد له في هذه الأغراض الشيطانية خصوصاً إذا كان الذي سيقوم بقتله هو الشيخ أبو الفضل لأنه كان حر التفكير إلى درجة متطرفة جلبت عليه سخط كل مسلم تقي . علاوة على أنه كان أول المؤيدين بل ربما أول المحرضين لأكبر على انتهاج سياسة حسن التفاهم وحسن المعاملة للهندوس فكان قتله رداً مقنعاً على فساد نظرية أكبر لأنها إن دلت على شيء فإنما تدل على شيء فإنما تدل على أن كوا من الحقد في قلوب الهندوس لا يطفئوها حسن المعاملات ولا إسناد الوظائف اليهم ولا مساواتهم بالمسلمين ولولا ذلك ما قدم الهندوسي على قتل الشخصية التي كانت تعمل على انصافهم ووضعهم في مستوى أرفع في حياتهم .

## الهند للهنود

قبل أن نختم حياة هذا الرجل العظيم يجب الاعتراف له بأنه كان أول شخصية في الهند شعارها الهند للهنود .

نعم أخفقت غايته الشريفة ولكن لم يكن الذنب ذنبه بل ذنب الهنود أنفسهم فالهندوس أساءوا استغلال ديمقراطيته والمسلمون أعمتهم عصبيتهم ومنهم من تعصبهم عن أن ينتهجوا طريقاً يوفقون فيه بين مركزهم الديني والطائفي وواجبهم الوطني كهنود ، وكفى أكبر نبلا وشرفاً أنه أول من جمل شعاره «الهند للهنود» حتى وإن لم يكن حقيقه وكفاه نغراً أنه كان سباقاً للخير عاملاً له جهده حتى كتب التاريخ عنه أن مغولياً قام وجلس على عرش الهند وصار هندي النزعة وشعاره «الهند للهنود»

## جهانجير

١٦٠٥ - ١٦٢٧

في نهاية القرن السادس عشر ابتدأت السير والروايات تنتشر في أوروبا وغيرها عن ملك استطاع أن يخضع جميع أقطار الهند إلى سلطانه وأنه يسلك طريق العدل والحكمة في إدارته وأحكامه وأنه أظهر من الاعتدال والمساواة ما يسجل له بالديح ولو أن حاكما آخر قيس به لكان دونه وقد أكد الذين رويوا هذه الاخبار في أوروبا لسامعها أن المسيحيين إذا توجهوا اليه فانما يلاقون إكرامه وترحيبه وقد بلغ من حبه لهم أنه تزوج زوجة مسيحية . بمثل هذا وصف حكم الجالس على عرش الهند فنشأت في الكثيرين الرغبة في السفر الى تلك الأقطار النائية بعضهم بقصد التجارة وبمضهم للزيارة ونشر الدعاية للدين المسيحي وكان ضمن من ذهبوا فريق من الأنجليز وكان ماعرف عن الهند وقتئذ يكاد لا يذكر وكل ماعرف كان قاصراً على بعض معلومات خاصة ييمض الثغور يضاف اليها ماعرفه بعض المرسلين البرتغاليين في أوقات دعابتهم وكانت سيرة الملك الحذابة سببا في جلب الأوروبيين ونشطت حركتهم شيئا فشيئا حتى تكالبوا على هذه البلاد وتطورت غلباتهم من تجارية الى سياسية ترمي الى التهام هذه المناطق الواسعة الوفيرة الخيرات والأثمار ومشاركة أهلها في أرزاقهم فكانت فاتحة عهد جديد عهد غزو واعتداء ، عهد نهب واستنزاف ثروة وكانت أول بعثة أوفدت من إنجلترا في عهد أكبر يرأسها البحار المشهور هوكنز ولكنه وصل بعد موت الملك الموفد اليه بسنتين وكان يقود مركبا اسمها « هكتور » تابعة لشركة الهند الشرقية (البريطانية) ووجهتها سورات وكان القبطان يحمل خطابات من جيمس الأول ملك إنجلترا الى ملك كباي الهندي فوجد أن ملك كباي انتهى أمره وصارت ولايته تابعة للمغول جهانجير فلما رأى أن الرحلة ستأخذ وقتا طويلا ذهب بسفينة الى ميناء آخر يعمد المتاجر فقابلها أسطول برتغالي وأسرها



فلما تكلم القبطان الانجليزى باسم ملكه محتجا قوبل بالاحتقار والسخرية وقال له الضابط البرتغالى « ان صاحب الجلالة ملككم لم يكن إلا حاكما لبعض صائدى السمك فى جزيرة صغيرة لأهمية لها » ثم أعطى انذارا للانجليز بأن لا يعودوا للتجار فى هذه المنطقة من البحار ما لم يكن لديهم رخصة من ملك البرتغال لأنها تابعة له . وهذه كانت أولى مقابلات هوكنز ولما دخل الهند لاداء رسالته الى امبراطورها قابله عدة مواطنين هنود من ذوى الاطباع فلم يستطع تنفيذ غرضه إلا بعد أن استعان بالهدايا الثمينة التى أعطاها الى الوالى الذى تقام معه بالتركية وكان يجيدها هوكنز ، وبعد سفر كله مشاق وأخطار وصل الى أجرا وقابل جهانبجير وكانت المقابلة ودية وحصل على الاذن للانجليز باقامة «فاوريقة» فى سورات وبالاتجار ولكن سرعان ما استطاع البرتغاليون التأثير على حاشية جهانبجير فجعلوه يلغى الاذن ولكن هوكنز بدوره وبوساطة الهدايا استطاع اكتساب مركز ممتاز لدى ملك الهند حتى أنه أبقاه عنده ومنحه لقب الخان الانجليزى وأعطاه قيادة أربعمئة فارس وجعل له مرتبا سنويا قدره ثلاثة آلاف ومئتان من الجنيهات ، ولم تكن هذه الزيارة ميمونة بل كانت فاشحة شرعى الحكم المغولى فيها بعد فانه لم يمض إلا قرنان ونصف إلا وتغلب الانجليز على المغول وسلبوا عرشهم وقد كتب هوكنز مذكرات ربما كانت من أصدق ما كتب عن جهانبجير فقال إن ايراده يبلغ خمسين مليوناً من الجنيهات وجيشه ثلاثمئة ألف مقاتل يصرف عليهم طبقة من الأشراف عينهم لقيادة جيشه وجعل لهم مرتبات واورادات يتناولونها للصرف منها على الجند وما يتبهم من دواب وسلاح ومؤونة وكان فى بيت المال كثير من التحف الغالية ومن بينها خمسمئة قذح صنعت من حجر الباقوت وكان لديه من الخدم و « السياس » والبستانيين ما يقدر بستة وثلاثين ألف شخص ويقتنى اثنى عشر ألف فيل ومنها ثلاثمئة لركوبه الخاص وبلغت نفقات سراياته فى اليوم الواحد خمسين ألف روية للرجال وثلاثين ألف روية للحريم وبلغ مقدار ذلك فى السنة مليوناً وسبعمئة وخمسين ألفاً من الجنيهات .

ومما ذكر هو كثر أن الملك لم يكن محبوبا بين رعاياه لقسوته الشديدة عليهم  
وكان الهندوس يهتمونه بأنه يؤثر مصالح المسلمين على مصالحهم على عكس ابنه فيما  
يتعلق بالوظائف والمعاملة . وكان مما يسر له جهانجير أن يرى تنفيذ حكم الاعدام  
ورؤيا الافيال حينما تقطع من حكم عليهم إربا وكان مغرما بمنظر قتال الأميال مع  
بعضها ويخصص أحيانا خمسة أيام في الأسبوع لذلك ويقال عنه أنه قتل  
سكرتيره لمجرد شك في إخلاصه دون تحقيق وأنه قتل خادما لأنه كسر آنية ،  
ومما كان يدخل السرور على قلبه إحضار بعض الرجال ثم يطلق عليهم في مكان  
محصور بعض الوحوش كالسبع ولا يريح السكان حتى يظفر برؤية الرجل مقطعا  
إربا ويضاف الى قسوته طمعه الزائد وشدة أحكامه فجنى بذلك ثمرة استيائهم منه  
إذ انتشر في أيامه اللصوص وقطاع الطرق واشتد الهياج في البلاد وكان يظهر في  
الصباح إلى رعاياه لكي يسلموا عليه ثم ينام مدة ساعتين ويطلب بعدها الفداء ثم  
يمود الى الحرم ويمكث الى الساعة الثالثة ثم يخرج ليرى قتال الافيال وبعض  
الالعب الاخرى ، ثم يحيط به أشراف أجرا ويؤدون له فروض الاحترام  
ويسمع شكابة الشاكين ثم يصلي ويتناول عشاء من خمسة أصناف لا يأكل منها  
إلا قليلا ويفرط في الشراب السكر ثم يدخل « سالونا » لا يصحبه اليه إلا من  
يعين اسمه وفي هذا الوقت يشرب خمسة كؤوس من الخمر وهو المقدار المصرح  
به من الطبيب . وكان هو كثر ممن يلازمونه ورآه فريسة للافيون إذ يتعاطى  
منه الى درجة التخدير الشديد فيتركه من معه فينام وينبه بعد انقضاء ساعتين  
فيعود ثانية لتناول قليل من الطعام ولا يكون لديه وقتئذ القدرة على  
تناوله فيتولى ذلك أحد خاصته كالمو كان طفلا ( فما أشد أثر المخدرات  
وما أشد عبثها ) ويعود بعد ذلك فينام ثانية الى الصباح وهكذا كانت  
حياة ابن أكبر ووارث عرشه وقد كان في مديته يقاسى مستخدموا  
شركة الهند كل إهانة ولم ترع لهم كرامة وفي كثير من الاحوال كان يطرد  
البوابون دون أن تنظر شكواهم إذا رفعوها للملك وكثيرا ما كانت تسرق بضائعهم

وأمتعتهم بل وكان بعضهم يسجن ويجلد ولما رأت الشركة سوء الحال انتدبت عنها السير توماس رو للدفاع عن حقوقها وجاءه تصديق ملك الأنجليز على تعيينه وكان على جانب عظيم من العلم والكفاءة وحسن التربية وذا شخصية بارزة تفرض احترامها في أشد المواقف فلما توجه الى سراى المغول لأول مرة أثار شكايي الشركة بلهجة ا كتسبت احترام سامعها وقال إنه جاء يمثل ملك أنجلترا وهو ملك قوى وحر لا يقبل لأحد من رعاياه هضما ولا ظلما وسمع كلامه من الوزير بشيء من الاحترام والاصفاء . وهذه أول مرة استعملت فيها لغة شديدة من أوروي وقبلتها حكومة الهند . واتفق له مرة أخرى أن نزل بمدينة سورات ومعه حاشيته وأمتعته فأوعز الحاكم لرجال الجمر ك تفتيش هذه الأشياء فقامت قيامته واعتراض أشد الاعتراض على تفتيشه لكونه ممثلا للملك ولهذا يجب أن يكون معفيا من التفتيش عملا بالتقاليد ولما كانت هذه إهانة فانه لا يقبلها ولو أدى الأمر للموت واستطاع أن يخيف الهنود لأنه أخرج صندوقا به مسدسات وقال إنه لا يتردد في استعمالها إذا اضطر لذلك مما جعل رجال الجمر ك يتساهلون معه وتلك أمور لو صح وقوعها في ذاك الوقت مع ما كانت عليه حكومة الهند من القوة التي تستطيع بها دفع مثل هؤلاء الأجانب بسهولة فانها تكون قد مهدت السبيل لهم في ا كتساب مراكز ومعاملات ممتازة مما ساعدهم فيما بعد على التغفل في الهند وا كتساب السيادة فيها . ومما كان يحاوله السير توماس رو سعيه لدى حكومة الهند في كسب امتيازات مثل التي أعطتها تركيا للأجانب الذين تزحوا بلبلادها للتجارة . فكانت كالغل في عنق الأتراك بعد عهد سليمان القانوني ونشأ عنها ضرر شديد حينما ابتدأ الضعف بنتاج تركيا . وقد امتدت مضار هذه الامتيازات إلى مصر ولا زالت ترزح تحت أثرها السيئ وإن كانت ألغيت بمعامدة منترو التي عقدت بين مصر والدول الأجنبية بواسطة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا في عهد صاحب الجلالة الملك فاروق .

لم ينجح السير توماس رغما عن سعيه في كسب هذه الامتيازات لأن الهنود

كانوا وقتها قليلي الاختلاط بالأجانب ولذا اتقوا التورط معهم في مثل هذه المعاهدات الضارة لكنه عرف أن يستعيز عن ذلك بوسائل أخرى فأوجد بينه وبين حكام الهند مودة ومجاملات قامت مقام المعاهدات التي كانوا يخشونها كثيرا ولهذا كان يلجأ الى استصدار أوامر مؤقتة ومحدودة المدة في مسائل التجارة .

ومما نصح فيه أنه صار يعامل معاملة البرتغاليين الذين كانوا يتمتعون بشيء من الرعاية الخاصة وفي مذكرات للسير توماس رو مديح كثير لجهاجير لما طبع عليه من الرقة وحسن المعاملة رغما عن بعض المحاقات التي كانت تصدر من بعض الموظفين عن جهل أو طمع . ومما أشار اليه أيضاً أن والي سورات حافظ دائماً على عودته مع الانجليز وشهد أن معاملة الأجانب كانت حسنة على العموم ولم تكن تقسو معاملة الهنود لهم إلا في بعض الحالات التي كانوا يتوسمون فيها استخراج الهدايا بالخشونة . ومما لفت اليه السير توماس رجال الشركة ملاحظته أن البحارة الانجليز وبعض عمال الفاوريقات كانوا يكثرون الشجار والصخب وانتقد مثل هذا السلوك وقال عنه إن التجارة بوسائل المراك والعنف لا تسود ولا تخطو إلى الأمام كثيراً وهي خطة تتناقض مع حسن السعي والنجاح ، ومما دلل به على صدق ملاحظاته سوء العلاقة الواقعة بين الهنود والبرتغاليين والهولنديين لمحاولتهم ممارسة التجارة والزراعة بالسيف وقال انهم وان كانت مكاسبهم كثيرة إلا أنه في النهاية تستنزف وسائل العنف هذه المكاسب ومما نصح به السير توماس الاعتماد على الاتجار في البحار والسواحل وبطريق مسالم هادئ ، هذا اذا أريد الكسب والريح الصحيح وان من الفلظ التورط في داخلية البلاد والاحتياج الى جيش من الحرس ، وللسير توماس مذكرات لم تتعرض لذكر داخلية البلاد بل كان أغلبها يتعلق بالملك وحاشيته ومما جاء فيها أن جهاجير لم يكن يعرف جيداً الفرق بين سفير دولة وبين قرصان المراكب وكان كثير المرح مع تطرف في المزاج يكاد لا يحتمل وكان السير توماس يضطر أن يشرب من مشروباته الروحية الشديدة ولم يكن اعتادها ولا ألفها فيضطر



لشربها احتراماً فيسكر ويسقط ناعماً فيضحك الملك ومن معه مما حصل ويطفئون الأنوار ويخرجون ويتركونه بمفرده فلما يستيقظ يضطر أن يتلمس طريقه في الظلام ومما رواه أيضاً أنه كان مغرماً بالفنون والصور والتماثيل وكان يقتنى منها الكثير وكان مما زين به حجراته صورة الملكة ماري والأميرة اليصابات وكثيراً من أشراف الإنجليز وصورة لدير شركة الهند الشرقية ، وقد أحضر فنانا من الهنود وجعله يقلد صورة كان أبرزها السير توماس له فجاء التقليد كالأصل تماماً ومن عادته كثرة الأسئلة والاستمرار فيها فيقول ، كم كأساً تشرب ؟ ثم كم ساعة تنام ؟ وما نوع ما تشرب ؟ وكم ؟ وكم ؟ . وقد دعاني من نومي مرة فتوجهت إلى السراي فوجدته جالساً ضاماً رجليه على عرش مكلل كله بالأماس والجواهر وأمامه مائدة من الذهب عليها نحو خمسين آنية مرصعة بالأحجار الكريمة وحوله الأشراف على أحسن هندام فيأمرهم جميعاً بالشرب ويشرب معهم واستمروا على ذلك مما مر السير توماس أكثر من أي شيء آخر مضحك رآه في حياته وكان جهانجير يترك شهواته قليلاً ويقلب مجلسه إلى مباحث نافعة ويناقش في قوانين الشرائع المختلفة ، وفي مرة أثناء شربه التفت إلى السير توماس وقال له يجب أن تعتبر نفسك منا فان عندى المسيحي والمسلم والهندي والعربي سواء وأنا أحب الجميع ولا أبغض أحداً وفي بعض حالات شربه كان يتقلب مرحة إلى بكاء طويل فنضطر إلى البقاء معه حتى يبارحه الدور وفي مرة رآه السير توماس يأتي برجل فقير ويشركه معه في طعامه حتى إذا ما فرغ احتضنه وقبله ثلاث مرات ووضع يده على قلبه احتراماً وخاطبه بلفظه « يا والدي » ( الفقراء طبقة من صلحاء الهنود يعتقد البعض فيهم الولاية ) واعتبر السيد توماس هذا نوعاً من التخريف ومن أعظم وأعجب الحفلات التي رآها عند جهانجير ( الاحتفال بميزان الفول ) يوم عيد ميلاده وهي عادة خاصة بالهنود نحو ملكهم فادخلت في حديقة يجرى فيها الماء وتكثر فيها الزهور والرياحين والأشجار ورأيت ميزاناً منصوباً وكانت نفس الميزان مكللة بالجواهر ويحيط بها الأعيان

والأشراف من كل نواحيها انتظاراً للملك وكان كأنه قد من أحجار كريمة لكثرة ما أزين به منها وعلى بفته جلس القرفصاء في إحدى كفتي الميزان ووضع في الكفة المقابلة ، بعض الموازين لمعرفة ميزانه وكان في جانبها أكياس مملوءة بالذهب والفضة وأشياء أخرى ثمينة كالحرير ثم يليها الجيوب والزبد ، فبعد ميزانه يزنون من كل الأصناف مقدار وزن الملك ثم تقدم له كهديّة في هذا العيد ، ومما أشار إليه السير توماس الكاسب الباهظة التي جناها الولاة وضرب مثلاً بوالى بتنا فقال « إنه كان ضابطاً لقيادة خمسة آلاف خيال ويتناول من خزينة الحكومة مليوناً من الروبيات ولكن لا يتحتم عليه فعلاً إلا إيجاد ألف وخمسمئة خيال نفقها ثلثمائة ألف روبية فيكون صافي ربحه من الخزينة سبعمائة ألف روبية هذا بجانب ما كان يناله من ربح في عملية تحصيل الضرائب وبالأجمال فإن صافي ربحه لم يكن يقل عن ثمن ثمانين ألف جنيه وهو ما يقول عنه مؤرخ انجليزى حديث أنه يعادل أربعة أضعاف مرتب والى الهند البريطانى .

## نور جهان

« وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسور الحراب ، إذ دخلوا على داود ففرع منهم قالوا لا تخف خصمان بنى بمضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط وأهدنا إلى سواء السراط ، إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال ا كفلناها وعزنى فى الخطاب قل لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيراً من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود دائماً فتنة فاستغفر ربه وخر راكعاً وأتاب فففرنا له ذلك وإن له عندنا لزاني وحسن مآب . . . » ( قرآن كريم ) .

لما أتت النبي داود الشكوى القائمة بين الخصمين وقال أحدهما إن أحاه له تسع وتسعون نعجة وله واحدة يريد أخوه أن يقتصبها منه أدرك أنه المقصود تعريضاً بذلك لأنه طمع في زوجة أورياه ( فشر بخطيئته وخر ساجداً وأتاب ولكن

جهانجير لم يجد على نفسه حرجا من أن يطمع في زوجات غيره رغما عما عنده من زوجات شرعيات وغير شرعيات فطمع في زوجة أحد من رعاياه إذ أعجبه شكلها أثناء سيره في طريق واستفهم من بعض من حوله فدل عليه وأتضح له أنها ابنة رجل فارسي هاجر من بلاده وأقام بالهند ، ثم التحق بخدمة أكبر خان وكان مديراً لخدمة السراي وتزوجت ابنته بضابط اسمه على كولي بج الملقب بأسد الأفغان وكان ملتحقا بجيش المغول وفي وقت جلوس جهانجير على العرش أرسل الى البنغال وشاءت إرادة الملك أن تحقق شهوات نفسه فكلف واليه في البنغال أن يحاول إنجاز هذه الرغبة ، وذلك باقناع زوجها أن يطلقها فلما فوَّض في هذا الأمر ثار ورفض ولما أعاد حاكم البنغال الكلام معه طعنه الضابط فتكاثر عليه حرس الوالي وقتلوه وهكذا في سبيل شهوة الملك يحرم رجل شهم من زوجته ويضطر أن يقتل وأن يقتل فيألت جهانجير أخذ بآداب القرآن وانتهى بنواحيه ووعى تعاليمه فيكون بذلك قد تجنب الوقوع في شرك الشيطان وتجنب شقاء العائلات وإيلام كل من سمع هذه القصة أو سمع عنها قصة هذه الزوجة التي ساقها بعض حشمه الى مدينة أجرا لتدخل ضمن الحرم ولكن وفاء لزوجها السابق رفضت رغبة الملك واعتبرته قاتلا لشير أفغان ولكن بعد استعمال كثير من التأثيرات رضخت لحكم القضاء وانحنت إرادتها أمام زخارف الحياة البائدة ونسيت عهد شير وتزوجت بجهانجير فكانت المرأة الوحيدة التي صار لها السلطان الأكبر عليه وسماها أولا « نور المحل » ثم أشرکہا في الملك وأباح لها التصرف حيث شاءت وسماها نور جهان ( أي نور العالم ) وأصبحت لها ولأهلها الكلمة العليا في تصريف أمور الدولة وامتلات بهم الوظائف السامية ، وفي بعض الأحوال كانت تجلس الملكة نور جهان في شرفة السراي وتطل منها ويقدم لها الأعيان والأشراف فروض الاحترام ويتلقون عنها الأوامر التي كانت تملها عليهم وضربت العملة باسمها ولقبها وكان كل فرمان لا يصدر إلا إذا أمضاء الملك والملكة معا ، وانتهى الحال بسبب ممارستها لكل الشؤون أن صارت هي الملك الحقيقي بينما كان جهانجير ملكا

بالاسم وكان شديد الإعجاب بها حتى أنه كان يقول إن من المستحيل استطاعة وصف جمال نورجهان وحكمتها وفي الواقع أنها كانت تفك المعقد من الأمور وتحل المضلات وما التجأ إليها مستجير إلا ظللته بحمايتها من كل ظلم أو ضغط وكثيرا ما عنيت بشأن البنات الأيتام الذين لا عائل لهم فاحضرتهم لديها وزوجتهم من مالها الخاص وكفلت لهم وسائل العيش وقد أسدت هذا المعروف لثلاث منهن ونال والدها لقب اعتماد الدولة وصار رئيسا للوزراء ونال أخوها أصاف لقب اعتماد خان وصار رئيسا لتشريفات الامبراطور وبالرغم عما نالته هذه الملكة من الثقة وما كيل لها من المدح إلا أن أقربها تعدد منهم أمور مخلة بمدالة الأحكام ووضع الأشياء في نصابها ولهذا صار نفوذها سيئا وضاراً وصارت الأمور توزن بميزان الغرض وفشت الرشوة مما أدى الى استياء كثير من النبلاء وعاد الزمن وتكرر لهم حتى انه في هذه الظروف انتشر الوباء بشدة وصار يتنقل من مكان الى مكان ويفتك بالناس ، ومن لطف الله على الهند في هذا الحين أن وسائل النقل السريع لم تكن وجدت ولذا قل انتشار العدوى وظهرت في جانب الأمراض ثورات وفتن في جهات متعددة ومنها ما وقع في البنغال وخروج بعض العائلات الافغانية وتكرر ذلك منهم ولكن الذي أخذ دوراً خطراً حروب رانا أوداي بور التي استمرت عدة سنين ولم تنته الا بعد جهد طويل ولم يتم النصر قبل تحملهم صدمات متعددة ومنها أن الأمير ابروز ابن الملك الأكبر كاد يقع هو وجيشه في أسر الخصوم لولا فراره واسراع أخيه كرام بالحضور لنجده وتخليص الجيش وقد نجح في مهمته ومما جاء في مذكرات جهانبجير عن ابنه الثاني :

وصلتنا أخبار سارة تفيد أن الثائر العنيد رانا سنج عزم على التوبة والخضوع وتحقق هذا بوساطة ابنا السعيد كرام وقد وطد سلطتنا وأوجد قوى كافية لحراسة الاستحكامات الموجودة بمملكة رانا سنج والتي ظننا في أول الأمر أن من العسير احتلالها بسبب قلة الماء والأقوات وجذب أرضها ووعودة مسالكها



ولكن جلد كرام وثباته على المكاره وتحميل الخصوم ( وخصوصا الأمراء منهم ) الخسائر في أموالهم وأولادهم ونسائهم اضطروهم الى الرضوخ ثم إن رانا سنج أرسل لابنه كرام يؤكد له أنه مقابل العفو عنه سيكون مستعدا لتقديم فروض الطاعة وإرسال ابنه ( كرهينة ) في خدمة الإمبراطور غير إن رانا طلب راجيا أن يعفى من الحضور شخصيا لضعفه بسبب تقدمه في الشيخوخة ولقد أشار الملك الى شدة فرحه من هذه الأخبار خصوصا وأن خضوع الراجيوت لم يسبق أن كان تاما إلا في عهد حكمه — وانتهى الأمر بالصلح وجاء كران حفيد رانا وزار الإمبراطور ممثلا لجده ووالده وقد قوبل وعومل بكل احترام وبهذه المناسبة قدم جزية من أفيال وخيل وجواهر ولكن الإمبراطور رد له هدية تعاد لها ولم تعد تقم للراجيوت بعد ذلك قاعة وكان قبل هذه الحرب بمدة طويلة مات مان سنج وخلف ألف وخمسة زوجة وكان من أعظم الراجيوتين الذين حاربوا نفس الراجيوت محبة خان الذي ترك دينه واعتنق الدين الاسلامي وقد أظهر أعظم كفاءة في حروبه بجيش المغول في الديكان ولما انتهى البرنس كرام من حروب الراجيوت توجه الى إحدى جهات الديكان لقيام ثورة بها وأصر على أن يأخذ معه ابنيه أكبر ولكنه عند وصوله الى كرام لم يعش إلا قليلا إذ أصيب بحمى ومات على أثرها وقد أشيع أن كرام تخلص منه ليصفوا له الجوف في مسألة العرش ولكن لم يوجد دليل يؤيد هذه الاشاعة .

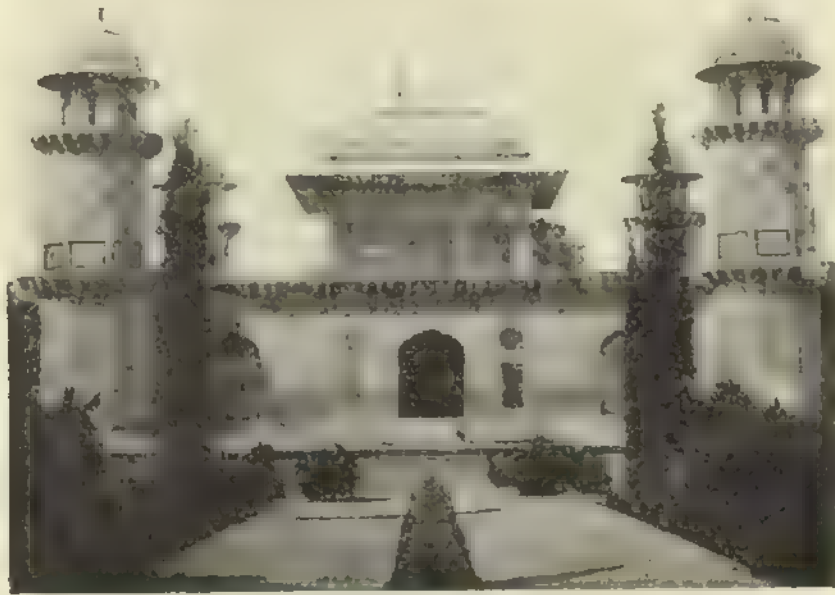
وقامت فتنة في مدينة قندهار في سنة ١٦٢٢ واحتلها شاه العجم في نفس هذه السنة غير أنها لم تمكث طويلا في حكم الفرس بل رجعت الى ملك شاه جهان امبراطور الهند ووارث عرش جهانبجير وكان استيلاؤه على المدينة المشار اليها في سنة ١٦٣٧

وقد بدأ مركز الأمير كرام يأخذ أهمية كبرى وكان يطمع الى العرش إذ صار أكبر قائد في الامبراطورية بحكم غزواته وأكبر ابن فقد انتصر على الراجيوت في أودات بور وعلى كثير من الرؤساء المشهورين بالديكان وقد كتب عنه السير

توماس » أنه لم ير شخصية أثبت ولا أشد رزانة من شخصية الأمير كرام وكان دائماً عابس الوجه ولم يشاهد مرة مبتسماً ولم يكن من المستطاع قراءة وجهه وقد صارت العلاقات بينه وبين نور جهان في المدة الأخيرة سيئة وقد صارحها العداء خصوصاً بعد أن تزوج ابنة شقيقها أضاف السماة بتاج ويرجع سبب سوء العلاقة الى رغبة نور جهان في أن يختار زوجها جهانجير لولاية العهد ابنه الأصغر من زوجة أخرى المسمى بشريار الذي كان متزوجاً من ابنة نور جهان من زوجها الأول شير أفغان وكانت أيضاً ترمى الى ابعاد كرام ( فيما بعد شاء جهان ) من تولى العرش لأنها كانت تخاف بأسه ولكنها لم تنجح في معاها إذ كانت رغبة جهانجير تولية ابنه الثالث الذي كان على طبع أبيه في كثرة الشرب فأدى الأمر الى قيام الحروب الداخلية في الهند وثار كرام على أبيه وبعد عدة محاولات لاستقلاله بولايتي بيهار والبنغال انهزم في سنة ١٦٢٤ ولجأ الى خصمه السابق مالك عنبر الحبشي ليحميه ثم توجه أخيراً وقدم خضوعه لوالده وسلمه ما بقى تحت يده من قلاع وحصون وسلمه ولديه دارا وأورنك ذائب ( أورانج زيب ) « كما ينطقها الانجليز » كرهائن في أجرا واضطربت الأمور لكثرة الدسائس حول الملك حتى أصبح لا حول له فعلى أثر ذلك حاولت الملكة نور كسب ولاء الجيش لناحيتها إلا أن محبت خان لم يقبل أن ينحاز اليها لأنه رأى أن مركزه في القيادة بل وحياته ستكون في خطر منها وفي الحال لجأ الى أجرا طريق بأن أسر الملك جهانجير بينما كان يسير بمفرده على مسافة من حرسه الخاص وذلك عند ما كان يعبر كوبريا على نهر أثناء سيره الى كابل لاختضاع ثورة بها سنة ١٦٢٦ ولكن زوجته نور جهان لم يستول عليها أى جزع أو ارتباك من هذه المفاجأة غير المنتظرة ولم تفقد شيئاً من ذكائها ولا من شجاعته بل ذهبت سرّاً الى حرس الملك وتوجهت

على رأسهم لمصادمة الفيلق الذي كان تحت قيادة أمره وركبت أثناء سيرها على  
فيلها وتسلمت بالقوس والنشاب ولافساد خطتها بادر الراجبوت الذين تحت قيادة  
محبب خان الى احراق الكوبرى غير أنها أمرت وعبرت في مقدمة الذين  
استطاعوا العبور لمقاتلة محبب خان وكان المنظر مرعبا يسوده الاضطراب العظيم  
لكثرة الخيل والأفيال التي وقعت في الماء والتي دبت بالأقدام من شدة  
الازدحام وكانت موقعة تشبه موقعة الجمل من وجوه متعددة إذ مات كثير من  
حرسها حول فيلها في سبيل تفانيهم في الدفاع عنها وكثر تساقط انكرات النارية  
والسهام حول هودجها حتى أن سهما أصاب ابنة طفلة من بنات شهريار كانت  
معهما وأخيرا قتل سائق فيلها ثم ان نفس الفيل الذي تركبه أصيب فجرح بها ونزل  
في النهر وغاص ثم خرج الى الشاطئ فأحيطت الملكة بكثيرات من النساء  
اللاتى هرعن اليها صارخات يعلو وجوههن الحزن فوجدنها ملطخة بالدماء وتخلص  
السهم من الطفلة وتربط جرحها وفي نهاية الأمر شعرت الملكة بنحيبتها في التجأ  
الى الحرب المكشوفة فلجأت الى الحيلة وفي الخفاء اتصلت بزوجها الأسير  
وأقامت معه واستطاعت أن تؤثر خلال ذلك على كبار ضباط الجيش فأنحازوا الى  
فاحتيتها ولما شعر بذلك محبب خان وأن وحدات الجيش تخاذلت عنه تركه وفر  
الى الأمير كرام . ووجد جهانبجير نفسه طليقا مرة أخرى فتوجه الى كابل وأخضعها  
وعاد الى مدينة كشمير التي كان مغرما بها والتي كان يصرف فيها فصل الصيف  
فأصيب هناك بمرض قاتل ومات قبل أن يدرك الستين من عمره في نهاية  
سنة ١٦٢٧ ولم تكن هناك فائدة للذين يحاولون اغتصاب الملك من يد كرام  
الذي انضم اليه أقوى قائد وهو محبب خان والجيش بأمله وقد أيد أيضاً أضاف  
خان رئيس الوزراء الأمير كرام وهزم الأمير شهريار ثم قتله وطلعت الملكة

نور جهان الحياة العامة ولجأت الى عيشة خاصة هادئة وليست الثوب الأبيض  
حزناً على زوجها المحبوب وعوملت معاملة ممتازة وأعطيت معاشاً كبيراً  
ولكنها لازمت عزلتها وماتت في سنة ١٦٤٦ ودفنت بجانب زوجها في  
مدينة لاهور



مقبرة الملكة نور جهان



## شاه جهان

العظيم

١٦٢٨ — ١٦٥٨

كانت أم جهانجيز والد شاه جهان ( كرام سابقا ) هندوسية وكذلك أم شاه جهان فانها كانت هندوسية من قبائل الراجبوت ابنة رانا مروار وعلى ذلك فان أكثر الدم الذي كان يجري في عروق شاه جهان هندية أكثر منه مغوليا وكان رأى السير توماس فيه أنه كان رجلا متحفظا عانى الطبع مغمورا في الدسائس السياسية ولاتهمه العقائد الدينية غير أنه كان يحابي جنس والدته — كان هذا الرأى الذى قاله السير توماس فيه أيام أن كان أميرا ولم يكن جلس على العرش بعد ولكن يظهر أن تنبؤات كل من كتبوا عنه كذبها المستقبل إذ أنه بعد أن ولى العرش وأمن شر خصومه بالقضاء عليهم اختفت منه طباعه السيئة وظهرت طباع جديدة على جانب كبير من الرقة والتواضع وهو أول مغولى ألغى عادة ركوع الناس وسجودهم له في أوقات المقابلات وأسدى معروفات كثيرة للمحتاجين وحافظ على مظاهر الملك الخلافة التى كان يهتم بها ويميل إليها الهنود وكان أحب مغولى لديهم وإن لم يكن المثل الأعلى لدى الهندوس وكان فيه نزعة لعدم مساواة الهندوس بالمسلمين ، وأول من زكى هذه الروح عنده زوجته ممتاز محل ( أى المصطفاة فى المحل ) وقد ولدت له زوجته هذه أربعة عشر من البنين والبنات والبناء الذى دفنت فيه بأجرا يشهد بمقدار تفانيه وحبها لها فانه ليس بالهند بناء أحسن منه وليس فى الهند بل ربما كان أحسن بناء فى الوجود ومع اهتمامه بشؤون دينه فانه كان دائما يتحاشى جهد الطاقة أن يركب الدين السياسة فيتسلطن عليها



شاه بهار

وكان كثير من قواده هندوسا وكان سعد الله رئيس وراثته هندوسيا مولدا غير  
أنه اعتنق الدين الاسلامي وكان يحسن معاملة المسيحيين من كل الأمم إلا أن  
حسن معاملته هذه لم تمتد إلى البرتغاليين بسبب ما طبعوا عليه وقتلوا من قرصنة  
في البحار الهندية كرهته فيهم وقد هدم الجاهير في غضبة دينية لهم كنيسة  
برتغالية وكان عهده أسعد عهد رآه الهنود وكتب عنه أحد الفرنسيين الذين

زاروا الهند أن موقف الملك بين رعيته كموقف والد بين أولاده وكان يشهد له بالعدالة في الأحكام وانتشار الأمن والطأينة في وقته ، أما ما سجله عنه بعض المعاصرين له من مؤرخي الهندوس فقد فاق كل مديح من مؤرخين أورو بين كانوا أو مسلمين ومما قاله الهندوس عنه أن عدالته وحسن عنايته بالفلاحين وعقله الراجح الذي استخدمه في تحسين حال رعاياه وكرمه واعتدال الحياة في زمنه قد توج الهند بالسعادة ولقد كانت فخامة المظهر الذي يحيط بالعرش وسخاء الملك مما جذب اليه القلوب وكان دائما يبدى شفقتة ما لم يضر ذلك بالصالح العام أو يسبب له تعبا شخصيا غير أن الملك بعد زمن تغيرت أطواره فاندفع في كثرة الصرف على فخامة العرش وعلى من حوله وزادت فيه هذه الصفة ونشأ معها عادة أخرى استنزفت أموالا كثيرة فانه بنى في الهند ما لم يبن مثله أحد وغالى في ذلك كثيرا حتى رفع درجة المباني العامة الى أعلى مقياس في الفخامة وحسن الرونق ، ومن أشهر مبانيه مسجد ومقبرة تاج محل الشهيرة بأجرا وبنى سرايات تطأطيء لها رؤوس الفنيين في فن المباني احتراما من حيث علو ذوقه في البناء ، وكل هذه المشروعات كلفت الخزينة العامة فوق طاقتها ولكن مما يقتفر له ذلك أن مدة حكمه خلت من الحروب الكثيرة التي كانت تقضى على الحرث والنسل ، ولم تسكن أخلاق هذا الملك ثابتة فبعد ما أبداه من سخاء انقلب هذا السخاء شحا وجشعا حتى كاد يحنطن أكياس الذهب والجواهر التي كدسها طول حكمه من شدة تعلقه بالمال وانقبضت يده عن المعطاء .

وما يذكر له بالمديح مطارده البرتغاليين من الهند مطاردة عنيفة هدمت آمالهم وقضت على أحلامهم التي كانوا يريدون من ورائها انشاء امبراطورية برتغالية هناك وحسنا فعل وليت سياسته من ناحية الاستغلال الأوروبي كانت



سراية شاه جهان بمدينة اجمرا

شاملة لجميع الأجانب لأن غرض القوم لم يكن محض الاتجار بل جاءوا يأترون  
على امتلاك البلاد واستعباد ما كتبها .

وجاء في مذكرات كتبها مندليس وهو سائح أوروبي وصفا عن بعض  
الحالات والجهات في الهند قال « ان السفر في جوجيرات لم يكن مأمون العاقبة  
والسير بين الراجبوت ويجعل الانسان دائما أمام قطاع الطرق فلم يكن الانسان  
يستطيع أن يسافر إلا اذا كان مع قافلة كبيرة ومع ذلك فانه كثيرا ما كانت  
تضطره الظروف للدفاع عن حياته . » وما رواه عن والي أحمد آباد أنه كان  
يتوخى العدل في القضايا التي يفصل فيها وكان حسن الفهم إلا أنه من ناحية  
أخرى كان متسرعاً قاسياً فانه استدعى بعض بنات من الراقصات ليرقصن في  
حفلة كان معه فيها رئيسان لفاوريقتين أجنبيتين فلما لم تمتثل الراقصات للحضور



أحضرهن قسرا وقطع رؤوسهن أمام ضيوفه وقال لزواره إني أؤكد لكم أنى اذا لم أعامل القوم بمثل هذه المعاملة فلن أستطيع أن أبقي حاكما (مع أن أمثال هذه المعاملة الجائرة كانت من أسباب ضياع الهند فعاقة الظلم وخيمة) . ووصف مندليس أجرا بأنها أحسن مدن هندستان (لم تكن دلهى الحديثة بنيت) وأشار الى اتساع شوارعها وأن بعضها كان مغطى وفيه كثير من محال التجارة وكان لكل صنف من المتاجر شارع خاص به وكانت توجد خانات لأجل إقامة ثمانين قافلة أجنبية وأغلبها ذى ثلاثة أدوار يتبعها مخازن وخزائن واصطبلات ولقد أحصى هناك سبعين جامعا كبيرا وثمانمئة حمام عام بها الماء البارد والساخن ورأى داخل البلد وفي خارجها سرايات للراجات والأعيان وأعظمها السرايات الامبراطورية التى كانت محصنة ويحيط بها خندق عليه كوبرى متحرك وكان بها ثلثمائة مليون من الجنيهات وكانت الثروة يوميا تزايد لأن الضرائب كانت تجبى من كل المالك ويتوفر منها الكثير سنويا . ومعظم الألقاب تأتي من طريق الكفاءة لا المولد وكانت أجرا مأهولة بكثير من السكان حتى كان من الممكن تجديد مئتى ألف مقاتل منها وكان أعلية سكانها مسلمين وكانت ضرائبهم تبلغ عشرين البضاعة وكان جيش شاه جهان الراكب يتكون من مئة وأربع وأربعين ألف حصان خلاف الجبال والأفيال وسلاحهم القوس والسهم والخطاف والخنجر والذى والدروع للوقاية وبعضهم كان يحمل البنادقات ويجيد اطلاقها وكان من أحسن وسائلهم فى الحروب الأفيال ، إلا أن استعمال النار والبارود كان يخفيها فتحدث الكثير من الفوضى والأذى وكان لديهم قوة مدفعية كبيرة ويصنعون نوعا من البارود ولكنه كان أقل جودة من بارود أورما وكان يعين الملك فى مهام الدولة من ذوى الكفاءة أصاف خان . ولقد شيد الملك دلهى الجديدة أو شاه جهان أباد وأوجد بها أحسن سراى فى الشرق حيث استمر فيها البناء



### تاج الملوك بمدينة امرا

عشر سنوات وهى فى وسط بناء قلعة يحيطها ميل ونصف ويرتفع حائطها ستين قدما عن جسر النهر وبه برجان ارتفاعهما مئة وعشرة من الأقدام ويشرفان على المدخل الأسمى ، وتوجد بوابتان كبيرتان تطلان على نهر جمنا . وفى الداخل عدة مباني ومنافع متعددة كحمامات ومخازن وغيرها . ويشق القلعة مجرى ماء مصنوع من الرخام يصب فيه ماء النهر النقى وتاريخ تشييد الجامع سنة ١٦٥٨ أى فى السنة التى صار فيها خلع شاه جهان . وهو مشيد على ربوة صخرية تعلوه ثلاث قباب وبرجان عاليان إرتفاعهما مئة وثلاثون قدما ومساحة فناء الجامع الخارجى تبلغ ألفا وأربعمئة ياردة مربعة والبناء الداخلى مبلط بالرخام الأبيض والأسود ويسع تسعمئة من المصلين وفى هذا البناء الفخم صرف الملك آخر أيامه المفعمة بالرفاهية وكانت حفلاته العامة وعيشته على جانب عظيم من الأبهة والبذخ ولقد انغمس الملك وحاشيته فى رفاهة زائدة فقل فيهم النشاط وألفوا الراحة ، مع أن

شاه جهان كان في شبابه جنديا شجاعا وقائدا ماهرا ومستشارا حازما وحاكما قديرا ولكنه كما تقدم في عمره تنازل عن صفات رجولته وابتعد عنها شيئا فشيئا وجنح الى الشهوات حتى نالت منه أكثر مما نال منها وصار العوبة في يد أولاده وقد صارت أعباء الملك حملا ثقيلا عليه يعطل عليه بعض ملاذنه وحظوظه فلما يوفى على نفسه عناء العمل بدأ في توزيع أعمال المملكة على أولاده الأربعة فأعطى لكل منهم إقليما من الأقاليم البعيدة لإدارة شؤونه وكانت هذه طريقة جوفاء أراد بها الراحة فحرت عليه المتاعب واكتسحته وذهبت بعرشه فيما بعد .

## ثورة الأبناء على الآباء

كان أول من ثار على شاه جهان عقب اسناد حكم بعض الولايات لأولاده - ابنه شوجاه الذي غزا في طريقه الى أن وصل الى مدينة بنارس ولكن صدمه هناك سليمان شيكوه الابن الأكبر لدارا شيكوه وكان معه جيش راجبوتي يرأسه الراجا جاي سنج فأخذ شوجاه بغتة وتشدت جيشه واضطر الى التقهقر نحو البنغال وكان في وسع الراجا القبض على هذا الأمير إلا أنه خشي تقلبات الأيام فحفظ لنفسه خط الرجعة ولقد كال له العذر في ذلك لأنه إذا سلمه لدارا قتله ومن أجل هذا لا يأمن غضب الأب ولقد سلك كل القواد الذين ساهموا في هذه الحركة بحفظ الى أن تنجلي الحالة الغامضة التي كانوا فيها .

وجاء دور الأمير مراد وكان معه جيش من جوجيرات فحاصر به مدينة سورات و بعد طويل احتلها ووجد فيها مقادير من الأموال كافية للصرف على جيشه ووقعت عبارة من المضحكات فقد كان « مير جملا » الذي يلازم الأمير أورنگ زائب وترجمتها زينة العرش ( وهو الذي صار فيما بعد معروفا بالامبراطور

عالم جبر — سيد العالم ) فقد كان الأول أغنى أهل زمانه وكان الجيش الذي يقوده يمتاز على غيره بحسن النظام وكان تضامنه مع أورنك مسألة حيوية لهذا الأمير اذ لم يكن يأمن أنه اذا ترك مير وتقدم ضد أخيه دارا فربما طارده مير جملا من الخلف خصوصا وعائلته كانت متروكة عند الملك كرهائن فاقترح عليه أورنك أن يتظاهر بالمصيان وأنه يقبض عليه في هذه الحالة لكيلا تلتهمهم حكومة شاه جهان بمآلاته للأمير وكذلك دارا لا يشك فيه فلما وافق وأدخل السجن ثار جند مير جملا انتقاما لقائدهم وتمردوا أمام السجن شروعا في اخراجه ولما رأى أورنك أنه لا يمكنه اخضاعهم دخل السجن وأطلع مير على حقيقة المسئلة وكلعه استدعاء ضباطه وافهامهم حقيقة الأمر المتفق عليه سرا لصالح الطرفين فلما سمع ضباطه منه ذلك أقنعوا جنودهم بترك التمرد فوراً وفي الوقت نفسه اتصل الأمير أورنك بأخيه مراد وكتب له قائلاً « ليس لدى أقل ميل أو أى رغبة في أن أسام أو أعمل بأى حكومة في هذا العالم الضال المززع وكل مطمع لى في الوجود الحج الى بيت الله ولكن كل اجراء تتخذة أنت لمقاومة دارا الملطخ بالعار والذي لا يصلح لشيء . اعتبرنى لك عوناً فيه وحليفاً وبما أن والدنا مازال على قيد الحياة فيجب أن يبقى كلانا في خدمته ويجب أن نعاقب دارا على غروره وجبروته فاذا تحقق غرضنا وصار من الامكان مقابلة والدنا فيمكننا أن نرجو منه طلب العفو عن دارا الذي تورط في موقفه هذا وبعد ما نعيد الحكم الى نصابه ونعاقب خصوم العرش فسنعود الى اصلاح عوج أخينا ونأخذة الى زيارة الكعبة المقدسة ومن المهم أن لا نضيع لحظة بل يجب أن نقوم فوراً الى مهاجمة « حزوانت سنج » الكافر ويجب أن تعتبرنى واقفاً جنبك على نهر ( نربدا ) ويجب أن تعتبر جيشى الكبير ومدفيعتى القوية ضمن الوسائل التى تضمن انتصارك واعلم أننى أجعل كلمة الله عهداً بينى وبينك لتنفى وتخرج كل شك نحوى من رأسك »



وهذه الرسالة التي أرسلها أورنك لأخيه كان كافية لانضمامهما وتضامنها واتصلا  
معا في برهان بور وزحفا شمالا ولم يصادفهما أحد لمدة شهر ولكن بعد ذلك تقابلا  
مع جيش دارا و كان يقوده قاسم خان وراجا جزونت سنج ولم يكن القائد الأول  
يحب دارا وقد فتح أورنك مفاوضة سرية بواسطة أحد البراهمة وأخبره أنه يكره  
الحرب وأن غرضه زيارة والده والمطلوب إما أن تحضر لمصاحبتى أو تتجنب  
التعرض لى حقنا للدماء ومنعاً للشر ولكنه لم يفلح فى مفاوضته واستعد الطرفان  
للحرب ولا شك أن قاسم خان سلك مسلكا رديئا بينما حارب الراجا وجيشه  
بمتهى الشدة والحماسة الا أن الجيش تحطم ولم ينج منه غير خمسمئة أو ستمئة  
مقاتل وكان من بينهم الراجا الذى حينما وصل الى بيته رفضت زوجته قبوله  
عندها ورفضت أن تصدق أنه بذل كل ما فى وسعه وقالت أن الراجا بوى خصوصا  
من كان ينتسب الى عائلة كعائلة زوجها يجب أن ينتصر أو يموت وقامت بجزاة  
ومرت بها فى المدينة وفرضت أن زوجها قد مات فعلا ومضت أيام طويلة قبل  
أن تغفر له غلطته ووقعت معركة الاخوه فى أوجين سنة ١٥٥٨ ورغما عن شدة  
الحرارة التى كانت فى الجهات المجاورة لأجرا استمرت جيوش الأخوين فى السير  
الى أن وصلت الى شمال وهناك تقابلت مع جزء من جيوش الامبراطورية تحت  
قيادة خليل الله خان ولم يكن وصل باقى جيش دارا الذى كان مشتبكا مع الأمير  
شوجاه وتوجه دارا الى شاه جهان وتسكلم معه فى شأن قمع حركة أخويه مع  
إظهار الاصرار على هذه النية فدعا له والده بالبركة والتوفيق وقال له « مادمت  
مصمما على السير طبقا لارادتك فتذكر جيدا هذه الكلمات القليلة : وهى أنك  
إذا خسرت للوقعة فضع فى ذهنك أن لا تحضر أمامى مرة ثانية »

وعاد دارا وبدأ القتال بينه وبين أورنك وامتازت هذه المعركة بوجود  
عناصر أوروبية مختلفة فى الجيشين خصوصا فى قسم الطوبجية . وهجم رستم خان

من ضباط الديكان القدماء المدربين على مدفعية أورنك ولكن رد بعد قتال عنيف . وهجم جيش من الراجبوت على الجناح الذى كان فيه الأمير مراد ولكن الأمير مراد أصاب قائدهم الراجا رام منحه بسهم فى جبهته فقتله فقرر أغلب الراجبوت الذين كانوا معه وأما فيما يتعلق بالهجوم على قسم أورنك فان دارا هاجمه بشدة واستمر فى تقدمه حتى ظن أنه هزم أخاه وتراجعت عساكر أورنك خطوة بعد خطوة وهجم الراجبوت هجوما عنيفا لم يبد بعده أمل لنجاة أورنك ولا زال النصر فى جانب دارا خصوصا وان الأمير مراد فر من الموقعة فلما رأى أورنك الخطر داعما أمر أن تربط الأفيال ببعضها فى السلاسل وذلك تصميما منه على الانتصار أو الموت وقرب نهاية الموقعة اقترب منه ضابط متملق أو خائن ونصح له بالنزول عن الفيل وأن يركب حصانا حيث يعتبر أنه كسب الموقعة وذلك استعدادا لمطاردة المنهزمين ولكيلا يصير هدفا نزل أورنك عن الفيل وارتفعت أصوات عالية بان دارا قتل فاستولى الذعر على جيشه وتفرق يمينا وشمالا وفى وقت قصير تحول الجيش المنصور الى شرادم من الهاربين وعلى أثر ذلك كسب أورنك الموقعة وهرب دارا الى أجرا وبعد اقامته بها بضعة ساعات قليلة فر الى دلهى وترك شاه جهان بمحضر أجرا وطلب الامبراطور الى ابنه أورنك ذائب أن يحضر اليه فى قسم الحريم ولكن الابن لم يأمن على نفسه من الأب وقد منعه عن الحضور إيمانا من إحدى شقيقاته تحذره من الحضور فلن يخرج حيا فاحتل أورنك البلد أولا وصار مركزه فيها آمنا وأرسل ابنه محمد ليحتل الحصن الذى يقيم به جده بقوة من الجند ففعل ما أمر به . ولما توثقت له الأمور وهدأت حالة الاضطراب أعلن أنه سيتخلى عن العرش الى أخيه مراد الا أنه طلب منه أولا أن يصحبه فى اقتفاء أثر دارا وكثيرا ما نصح عباس الأغا باشا كبير أغوات مراد له بان يكون على حذر من الأمير أورنك لأنه ينوى القدر به ولكن مراد الطائش لم يصغ لنصائحه

وفي مدينة مترا أقيم احتفال كبير في خيام أورنك ودعى اليه الأمير مراد وبمجرد  
حضوره اذ كانوا في انتظاره رتب أورنك كل شئ مع ميرخان وأربعة من أخلص  
ضباطه الذين حينما أقبل الأمير مراد عليهم تسابقوا الى تقديم تحياتهم له مع اظهار  
علامات الخضوع والعبودية وتغالوا في ذلك حتى صاروا يمسحون عرق وجه  
الأمير بمناديهم ويقولون تنظيف ثيابه بأيديهم مما علق بها من غبار ويخاطبونه  
بلغة الملوك ويقولون له « يا صاحب الجلالة ». وفي خلال ذلك جرى بطعام العشاء  
فجلس الأميران وحاشيتهما المعينتين وبدأوا حديثهم الودي وصاروا يتبادلون  
التكلم في مسائل متعددة كسابق اعتيادهم وفي النهاية أحضرت زجاجة ضخمة  
من نبيذ شيراز وبعض زجاجات من أصناف أخرى جيدة وفي هذه اللحظة  
انسحب أكثر المدعوين ليتاح للضيف حرية وكان ضمن من انسحبوا الأمير  
أورنك وخرج مبتسما بعد أن قال لهم سأترككم الى شرابكم لتناولوا منه حظكم  
حيث لا شأن لي به وكرر على الأمير مراد أن يفتنم فرصة اللذة بالشراب كما يشاء  
هو ومير والضباط ومع أن مراد كان مغرما بالشراب فإنه صمم أن لا يتعاطى منه  
بافراط غير أنه بعد تناول اليسير منه غلب عليه النعاس فنام وكان ذلك ما يفي  
المتأملون وفي هذه الحالة تخلى كل الخدم ليتاح للأمير أن يأخذ سنة من النوم  
وأمرؤا بالذهاب بعيدا لكيلا يحدث أحد ضوضاء تقلق راحة الأمير أثناء رقاذه  
ولم يغب الأمير أورنك طويلا بل عاد حيث يوجد الأمير مراد وركله برجله  
بشدة فاستيقظ ووبخه على ذلك واستفهم منه مراد عن معنى هذه المعاملة الشدة  
فقال له أورنك « يا للعار والحطة وأي ملك يكون مثلك اذ كيف تنحط أخلاقك  
لدرجة أن تبيع لنفسك أن تكون سكيراً؟ وماذا يقوله الناس عنك دعني اذا  
رأوا مثل ذلك؟ » وأمر بعض رجاله بصوت عال قائلا « خذوا هذا السكير  
العرييد وقيدوه في يديه ورجليه وأطرحوه في حجرة حتى يفيق من سكره ورغما

عن رجاء مراد وتضرعه أن لا يعامل مثل ذلك فإن الذين تلقوا الأمر نفذوه فيه  
خورا وفي خلال الليل كله انبت دعاة أورنك لنشر الدعاية لصالحه بين ضباط  
مراد وعند طلوع الصباح كان كل الجيش بصوت واحد ودون أن يدخل عليه  
أى اضطراب يهتف وينادى بأورنك ملكا . وأرسلت فصيلة من الأفيال عليها  
هواج مغطاة ووزعت في جهات مختلفة لتضليل الباحثين عن مراد فيما لو قام  
فريق من أتباعه للبحث عنه وتحليصه بينما كان هو مأخوذا الى دلهى وأودع في  
السجن حيث نفذ فيه الاعدام دون محاكمة وقيل في رواية أخرى أن تهمة من  
بعض أبناء الأشراف وجهت اليه في قتل والدهم حينما كان في جوجيرات وربما  
كانت التهمة صحيحة ، ولكن لم يكن أحد يستطيع توجيهها أو محاكمته  
من أجلها لو لم يوعز أورنك بذلك وقد ثبتت التهمة بعد محاكمة  
صحيحة وحكم عليه بالاعدام فجاءوا له بحية ولدغته وهذه من احدى وسائل  
التنفيذ لدى المغول وتقدم بعد ذلك أورنك بجيش نحو دلهى وعسكر في حديقة  
خارج سور المدينة ، وفي اليوم السادس عشر من يوليو سنة ١٦٥٨ جلس على  
العرش دون ضوضاء أو احتفال حسب التقاليد التي كانت تتبع حين جلوس ملك على  
عرشه ولا زالت الخطبة تتلى باسم والده وكذلك بقيت عملة النقود على حالها باسم  
شاه جهان ولم يبق دارا بدلهى بل حينما دخلها أخوه كان هو في مدينة لاهور ولم  
يرق له البقاء فيها لأن أورنك أوفد جيشا الى لاهور وكانت قوة دارا منهوكة غير  
منظمة فلما علم بقدوم الجيش أسرع وأخلى المدينة وجعل وجهته ملتان في نفس  
الطريق الذى سلكه همايون من مئة عام مضت وكان ذلك سببا في فشله النهائى  
اذ أنه لو ترك هذا الطريق لكثرة ما يعترضه فيه من المشاق وقصد كابل عاصمة  
الأفغان وتوجه اليها مباشرة لكانت النتيجة خيرا له اذ كان سيجد هناك محبت  
خان وهو من خيرة قواد أبيه ولا شك أنه كان يؤيده من أجله وكان اخلاص



محبب خان للملك مشهورا من يوم نشأته ولو أن دارا كان من حظه مقابلة محبت خان لوجد عنده أموالا بالخرينة ووجد من يجهز له من الأفغانيين جيشا أصح للقتال وأشجع في النزال من جيوش الهند الضعيفة ولكن أيام دارا أقبل شرها وأدبر خيرها فاذا كان الخير في اليمن اتجه دارا نحو الشمال لسوء حظه ولو لم يكن سيء الحظ لذهب لغوره الى كابل حيث كان والده أرسل خطابا الى محبت خان يوصيه بمعاونة دارا ولكن دارا الذي شعر بمتابعة أخيه له التجأ الى قلعة ثاتا التي كان احتلها سابقا وعين فيها أحد أغواته حاكما وأودع فيها أمواله ثم انه ترك هذه القلعة وعبر الحصراء واحتل احمد آباد وكان واليها صهر الأورنگ لكنه وجد من الحزم التسليم وفي ظرف شهر كان دارا جعل وجهته الشمال لأنه اخذ وعدا وثيقا من راجا جزونت سنج بانضمه اليه ضد أورنگ الذي كان يعتبره متمصبا ولكن كان دارا من هذه الناحية غير موفق أيضا لأن جزونت الذي كان قلقا من ناحية اورنگ صدر له منه عفو حصل عليه بمساعي الراجا جاي سنج ومقابل ذلك تعهد بمقاطعة دارا ونسى وعده السابق له وبذلك شذ عن تقاليد جنسه المشهور بفيل الطباع والرجولة التي تأتي الاخلال بالعهد ولقد وصفت أخبار انتفاض هذا الراجا الهندوسي لدارا في اجميروا به نكث عهده وانقلب عليه فصار في احر ج المواقف والآن ماذا يعمل دارا المسكين وقد اصبح مهجور وخابت آماله لاسيما وانه وجد ان رجوعه الى الله امد يكاد يكون مستحيلا لأن طول الطريق يحتاج الى خمسة وثلاثين يوما وكان ذلك في منتصف فصل الصيف حيث الحر كالسحير والحصول على الماء عسير واجتيازه يكون وسط عشائر موالية لأخيه مما يجعل مطاردته بواسطة اورنگ امرا سهلا خصوصا وان جيشه تتمتع بالراحة زمنا طويلا ولذلك صمم دارا على ان يبقى مكانه ويخوض المعركة وإن كان فيها هلاكه وقد ذكر كافي خان المؤرخ ان هذه الموقعة استمرت ثلاثة ايام حاول فيها اورنگ عبثا

أن يفتح خطوط استحكامات أخيه ولكن في اليوم الرابع وصلت إليه إمدادات كبيرة من الراجبوت فهجم بها وتراجع دارا عن أجير ثم فر مع قليل من أتباعه ونسائه نحو مدينة أحمد آباد ولما وصل إليها وجد بواباتها مغلقة في وجهه فتوجه إلى قلعة ثاتا فوجد حاميته هناك على آخر رفق من الحياة فبدلاً من أن يقيم بها أو يفر إلى بلاد فارس حيث كان ذلك مستطاعاً صمم تحت تأثير زوجه وإلحاحها أن يستمر في السكفاح في سبيل المطالبة بالتاج وجعل يقول « إما إلى التخت أو التختة » ( التخت لفظة أعجمية معناها العرش والتختة يقصد بها النعش الحشبي ) واستمر في سيره شمالاً إلى أن وصل إلى مقاطعة يقيم بها مالك جيوان الزمندانوفى هذا المكان ماتت زوجه وبذلك انهالت جبال من الحزن على قلب دارا وتجمعت جبل فوق جبال ، واختلط الحزن بالأسف والأسف بالحزن حتى أصبح عقله فاقداً لتوازنه ومن غير تفكير في العاقبة أرسل غول محمد و كان أكبر مخلص له في أيامه السوداء ليدفن جثة زوجه بمدينة لاهور ولم يبق مع دارا غير بعض الأغوات و قليل من الخدم فانهز هذه الفرصة مالك جيوان الذي خان قانون الضيافة ووضع وحفيده في الأغلال وأركبهما على فيل ومر بهما على قلعة ثاتا التي سلمت بعد ذلك ثم توجه بهما إلى مدينة دلهى وكان من رأى أورنك ومستشاريه أن يطاف بهما على الجماهير فأدخل دارا وحفيده فلم يتقدم أحد من أعوانه السابقين الكثيرين لنجدته ولكن الطواف بهما في الشارع وهما في الأغلال أثار سخط الجماهير وسمع الكثير من عباراب الأسف وبدأ الحزن على وجوه الناظرين حيث كان الأمير محبوباً جداً ودخل على أمته مالك جيوان الذي صار فيما بعد بها درخان فتألبت عليه الجموع وانهالت على رأسه الأشجار والقاذورات وصار مركزه حرجاً حتى كادت تقتله الجماهير لولا اسراع حاكم المدينة العسكري لنجدته ورفعت الدروع فوق رأسه حماية له من القذوفات وقتل في أثناء

ذلك بعض الأفراد وكادت المظاهرة العدائية التي قوبل بهما تأخذ شكل ثورة لولا اقترابه من السراى الملكية التي دخلها بمد مجهود شديد ، واجتمع العلماء في سراى الملك وأفتوا بكفر دارا لخروجه على أخيه الحاكم الشرعى وحكم باعدامه وقطعت رأسه وحملت فوراً الى أورنك ووضعت أمامه في طبق فأمر ففسات بالماء وأعيدت له فلما تأكد أنها رأس دارا انحدرت الدموع من عينيه وقال « ما أتعسك أيها المسكين . خذوا الرأس وادفنوه في مدفن همارن » ووقع ذلك في سنة ١٦٥٩ ، واستمرت الحروب بين الأخوين ستة عشر شهراً ، أما ابن دارا فقد أسره والى سير نجار وأرسله الى عمه أورنك الذى اعتقله في سبعن جواليور ولم يمش هناك بطبيعة الحال طويلاً اذ كان يرغم على تعاطى كميات كبيرة من الأفيون قبل الطعام كل صباح مما عاد على صحته بالوبال وأورده موارد اللنون في وقت قصير وبقي من اخوة أورنك على قيد الحياة الأمير شوجاه الذى سبق أن هزمه سليمان بن دارا فلما علم بانقضاء أمر أخيه الأكبر عاد ثانية واحتل مدينتى الله آباد وبنارس مما اضطر أورنك الى أن يعود الى ملتان وقابل شوجاه في موقعة بمدينة كورا ولعب جزوت سنج دوره في الخيانة كسابق عهده مع دارا الا أنه في هذه المرة اقلب على أورنك وانكب على معسكره ينهب كل ما فيه من متاع وسلاح ولما قام بما ظن أن فيه الكفاية قصد نحو أجرا دون أن يتخذ أى احتياطات ولما وصل اليها أشاع هناك أن أورنك هزم وعلى ذلك قامت الاضطرابات هناك بناء على اشاعته ولكن حقيقة الأمر وصلت لأجرا فهدأ كل شىء وكانت الموقعة التي جرت بين الأخوين على جانب عظيم من الشدة غير أن شوجاه اضطر الى التراجع نحو البنغال فلم يتعقبه أورنك بل تركه وذهب الى أجرا وأرسل ابنه محمد سلطان ومعه ميرخان لطرده شوجاه من البنغال ولكنهما قاسياً الأهوال على أثر الفيضانات التي وقعت هناك ثم ان محمد سلطان انضم

الى عمه شوجاه وتزوج ابنته ولم يحصل وفاق وعاد واستغفر لأبيه عن ذنبه بعد ما ترك عمه ولكن والده لم يستثنه من نوع المعاملة التي عامل بها الخوارج عليه بل أرسل الى سجن جواليور حيث مات هناك . وأما شوجاه فقد انهزم جيشه نهائيا وفر من البنغال لاجئا الى أمير أراكان الهندوسي واستطاع أن ينال عطفه ولكن نشأ بعد قليل بينهما خلاف لأن الأمير الهندوسي أراد الزواج من إحدى بنات شوجاه المسلم وهي اهانة لا تغتفر خصوصا عند شخص في مركز شوجاه وفكر أعوانه في التآمر على قتل هذا الراجا الهندوسي واحتلال مملكته ولكن النتيجة أدت الى فشل أعوانه وذبح أعاليهم واضطر شوجاه أن يفر في وسط الأحرار والغابات وانقطع كل خبر عنه واختفى كلية ويقلب أنه مات اما من الحشرات أو الوحوش الضارية ولم يظهر عنه خبر الى سنة ١٦٦٠ وبذلك تم تحرير أورنگ من خصومه ولقد توج لثاني مرة في سنة ١٦٥٩ والمدة التي قضاه والده شاهجهان المخلوع امتدت الى سنة ١٦٦٦ وكان فيها موضع عناية ابنه فانه لم يترك شيئا في نفس أبيه الشهواني الا وقدمه له ولقد أحاطه بكل أنواع السرور والطرب وهيا له جوا يلائمه في ما كله ولبسه ولم يكن ينقصه شيء مما كانت تنوق اليه نفسه وكل الذي رفض الابن هو اطلاق حريره في الخروج وهذا هو الشيء الوحيد الذي لم يكن يسمح به وقد عفا الوالد عن ابنه وغفر له غلطاته ودعاه بالتوفيق وكثيرا ما كان يستشير الأب الابن في مهام الدولة



## عالم جير

أورنج ذيب - اسم عند الافرنج

ولد هذا الملك العظيم سنة ١٦١٨ واعتلى عرش الهند سنة ١٦٥٩ بعد أن عزل والده شاه جهان ولم يكن الذي حمله على ذلك مناهضة أبيه أو الرغبة في الملك والمطالبة بالتاج بل كان عالم جير شخصية نادرة من حيث الأخلاق فلم يكن في موقفه مع أبيه أو اخوته مدفوعا بدنيا يطلبها انما حمله على المطالبة بالعرش ملاحظه على والده من التهلك والاستهتار بالدين الذي كانت غيرته عليه إن لم تزد فلا تقل عن غيره صلاح الدين الأيوبي أو نور الدين الشهيد وكانت نيته دائما منصرفة الى نشر الروح الاسلامية . لذلك كانت نار حماسه دائمة الاشتعال ولم يكن إبعاده لوالده ومحاربة اخوته والقضاء عليهم إلا لاعتقاده في عدم صلاحيتهم لادارة شؤون الحكم لاعتكافهم على شرب الخمر والمجاهرة بارتكاب المعاصي والذي يعرف أخلاق هذا الملك وأنه هو الذي أحبط عهد عمر في عدله وزهده وكان لا يأخذ في الحق لومة لائم بل لم تعرف لهذا الملك شهوة من أى نوع تحول بينه وبين واجبه الديني أو تجعله يتحرف قيد شعرة عن تعاليم الاسلام الذي أوقف جل همته على نشرها ومحاربة الهندوس ، ولم يكن الباعث على ذلك تعصب في طبعه فحاشا أن يتسرب اليه هذا التعصب الذي يحى من طريق الكره والبغضاء فهو أعلا طبعاً وأسمى نفساً من ذلك . وكل ما في الأمر أنه كان يعتقد في الدين الاسلامي أنه الدين الحق الذي يضمن للهندوسى اذا اعتنقه وعمل بتعاليمه سعادة في الدارين ويطهره من اعتقادات تقيده بعبادة الأحجار وتقديس الأبقار وتضحى بالمرأة اذا مات زوجها وتلقيها في نار مضطربة وهي حية ، وتجهز زواج الأطفال الى غير ذلك من العادات والمعتقدات الفاسدة التي تنزه عن مثلها الاسلام



### الشاہ عالم حیر

علاوة على ما فيه من سمو التعاليم التي تربط الرجل بأخيه بروابط وواجبات كلها  
خير ورحمة ، فهو دين مساواة بين الناس ، دين بر باليتيم والسائل والمحروم  
والمریض ، دين ينهى عن الفحشاء والمنكر فهو يحرم الخمر والميسر ، وينذر  
المرايين بحرب من الله ورسوله وهو دين الاخاء والشورى والمساواة فاذا كانت

الطريقة التي اتبعها هذا الملك العظيم لا تروق في عين بعض المؤرخين من الأفرنج فليس لديهم حجة يبررون بها رميهم إياه بالتعصب الديني ولم يكن هذا التعصب هو الذي حمله على كثرة حروبه مع الهندوس ، ولم تكن هذه الحروب عن بغض لهم بل عن شدة رغبة في تخليصهم من براثن الوثنية ، ومن نظر الى الحكم الانجليزي في حالته الحاضرة اليوم في الهند وقد تعرض للهندوس في بعض معتقداتهم فلان ينسب ذلك الى التعصب ولم يقل أحد نصرانيا كان أو مسلماً أنهم « يثيرون حملة دينية على معتقدات الهندوس بل رأوا أن الاستمرار على العمل بمقتضى هذه المعتقدات فيه منافاة للعقل وخروج على الرحمة فعملوا على ازالتها ، كذلك كان أورنك ( عالم جير ) . وكانت خطته التي سلكها مع الهندوس يلبسها شيء من القسوة ولكنها كانت غلطة القرن السادس عشر اذ كانت معاملة الحكام لرعاياهم مقرونة بالشدة ومن نظر الى الطريقة الانجليزية ورآها الآن في ظاهرها أقل عنفا فسبب ذلك أن الدنيا بأجمعها تتطور والمعاملات تهذب وتجرى بخطوات واسعة نحو الرقة في المعاملة أما الذي يتعمق في البحث و يقارن عهد عالم جير بالحكم الانجليزي في يومنا هذا يجد العهد الأول رحمة وإخاء والثاني قسوة وشتاء ، وهندوس اليوم مهما انقادوا الى الانجائز في كل شيء حتى يصبحوا انجائزا سمرا أو انجائزا أسويين فلن يكسبوا من وراء ذلك شيئا بل يبقون هنودا منبوذين من الانجائز مستعبدين بجنودهم مستغلين بحكامهم ينقلون أرزاقهم من بلادهم ويشاطرونهم فيها ويحتمون على الهنود أن يقاتلوا من أجلهم وأن يقتلوا في سبيل مجدهم ويصير الهنود من بعد هذا قاتلين لأبناء جنسهم ، فالراجبوت يقاتل في الهملايا والسيك تحارب في الهند والهندوسى يقاتل المسلم وفي بعض الأحوال يساق الجميع الى أوروبا يقاتلون من أجل انجائزا وفي سبيلها وبعد أن يقتل منهم مئات الآلاف يعود الأحياء للهند عبيدا وهم غزاة ، كل هذا لأنهم يحاربون عن الانجائز اذا شاء الانجائز أما مركزهم في

الهند فقد فرض عليهم قبول الحال الذي به يرضون أن يعمتوا دون أن يقاتلوا عن عزتهم وبلادهم، تلك هي طريقة انجلترا المتمدينة وأما طريقة «عالم جير» فكانت عكس ذلك بالمرّة إذ كان الهندوسى الذى يتخلى عن دينه بسبب دعاية أو حرب يصبح مسلماً والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ويصير له ما المسلمين وعليه ما عليهم فإذا كان يدفع جزية رفعت عنه هذه الجزية وجاز له تولى أى عمل عام متى كان صالحاً له وما هي الخلافة وقد كانت أكبر مركز في الاسلام نشأت عربية ثم انتقلت فصارت تركية ومغربية والاسلام وهو دين المساواة لا يحول دون جعل الملوك ملوكاً ، وكيف يكون عالم جير متمصباً وروح كتاباته للولاء والملوك الآخرين تنطق بالصالح والتقوى والترفع عما يسىء الى العدالة والمساواة وتدل أن وجهته لا تحترم الا الحق ولا تحابي فيه حتى الأبناء وقد افتتح عهده بأمر واجراءات تدل على أنه سيتبع سياسة تناقض كل المناقضة لسياسة جده الملك أكبر وهو الذى أراد أن يقوى مركزه بأن يكسب مودة الهندوس فلفى الجزية المفروضة عليهم ولفى الضرائب التى كانت تنجى منهم في أيام أعيادهم ومواسمهم الخاصة فجذبت هذه السياسة كثيراً منهم اليه وغالى في ذلك حتى أدخل في خدمته كثيراً من أمراء وغير أمراء هندوسيين وتقبلوا في أسمى الوظائف أيام حكمه ولم يكن يرمى إلا الى تقوية مركزه الخاص إذ رأى أن أغلبية الامبراطورية الهندية ليست من المسلمين فإذا بقيت هذه الأغلبية على عداوتها للجالس على عرش دلهى يجعله كالقائم على فوهة بركان فاذا قذف حممه طار ما عليه ولم يدخر وسعاً في الوصول الى أمنيته هذه حتى أنه عقد مؤتمراً دينياً أفرد له مكاناً خاصاً سماه دار العبادات وجمع فيها فريقاً اختارهم من قساوسة المسيحيين وكهنة الهندوس وعلماء المسلمين وباقي الأديان وأراد منهم اقتباس دين من مجموعة أديانهم يسميه دين الله ليوحد به العبادات في الهند وهذه الطريقة مع ما فيها من المضار المستقبلية



أفادته شخصيا وأبعدت عنه عداوة الطوائف غير الإسلامية بل زد على ذلك أنه استفاد من تحسين العلاقة فوق اطمئنانه على العرش استخدامه لهم في الجيش كما لو كانوا مسلمين وبذلك استقرت الأحوال حينما طويلا وقلت الاضطرابات أيام حكمه أما حفيده عالم جير فكان يرى الخطر على مركز المسلمين كبيرا لعظم الفرق بينهم وبين الهندوس في العدد اذ كانوا في وقته بنسبة ثمانية من الهندوس لكل مسلم واحد وبما أنه لم يكن بين الطائفتين ائتلاف أو مودة بل ضغائن وأحقاد بسبب أن الفريق الأكبر كان يعتبر أغلب المسلمين أجانب جاءوا الى الهند فاعتصبوها وفرضوا عليها سلطتهم وتحكموا فيها لذلك لم يكن من المحقق أن تمتزج طائفتان بينهما كربة أكبر وتطرحان الأحقاد المشتعلة بينهما بسبب من قتل من الهندوس خصوصا في الحروب الأولى التي كانت دينية حتى كان كل بيت من عائلات الهندوس يعتبر نفسه موتورا فالاطمئنان على مركز المسلمين دون السعي لزيادتهم قوة ومنعة وهو الأمر الذي لا يمكن تحقيقه الا بزيادة نسبتهم العددية اذ أن طريقة أكبر مع ما كان فيها من الانصاف والانسانية تمهد للاكثرية السبيل الى الازدياد في القوة والجاه وهذا يهدد المسلمين بالابادة خصوصا وأن أكبر أسند الى الهندوس وظائف كثيرة في الجيش والحكومة فلو أنهم قاموا بثورة اذا جاءت لهم فرصة مناسبة لقضوا بها على كل شيء اسلامي وأزالوه من الهند فعالم جير كان متيقظا لهذه الأخطار لذلك فانه لما اعتلى العرش صار يعيد للحكم رونقه الاسلامي وفرض الجزية على الهندوس وجعل حساب التوقيت طبقا للطريقة الهجرية بعد أن كانت الطريقة السابقة هي الشمسية وكانت هذه علامة على أنه سيسلك خطة تغاير خطة أكبر لذلك ابتداء عداوه مع الهندوس وصار يهدم معابدهم وألقى ضريبة المواسم والأعياد الهندوسية مع عدم السماح باقامة الحفلات الدينية مما سبب عجزا كبيرا لخزينته فلم يبال بهذه الحال لأن وجهته لم

تكن للمال بل لتأييد الدين وتفضيله على الدنيا وما كان يهمه أى تضحية مادية في سبيله ولقد توسع في سياسته الدينية فلم يكتف بعداء الهندوس بل عادى فريق الشيعة من المسلمين اذ كان يريد أن يكون المسلم سنى المذهب فقام بعدة حروب في الديكان حيث يكثر فيها العنصر الشيعى ، ولقد كان سلطان الدين مستحوذا على كل مشاعر هذا الملك حتى طلق ملاذ الحياة كما لو كان زاهدا أو فقيرا وقد شاء مرة أن يكون فقيرا ( هنديا ) ، ومن شدة تقشفه ما كان يذوق اللحم حتى على شفتيه ولا يشرب غير الماء ويطيل الصوم مما أضعف بنيته وفي شهر رمضان كان طعامه قاصرا على خبز الذرة والماء وكان لا ينام الا على الأرض وعمل بما حض عليه الرسول أتباعه من تعلم حرفة ، ولما كانت صنعة في اليد أمان من الفقر فقد تعلم صنع الطواقي وكان يتسابق على شرائها الكثيرون كما تسابق نساء روسيا على مشتري الجزم التى صنعها الفيلسوف تولستوى وكان يعرف اللفة العربية ويجيد حفظ القرآن وكتب بخطه الجيد نسختين وأهدى احدهما لمكة والأخرى للمدينة .

ولا شك أن عالم جبر كانت وجهته سبيل الله ولم يكن ممن غرته الدنيا بنعيمها وزخارفها اذ لو شاء ما كانت هيئة عليه اذ كان في وسعه أن يطرح مسائل الدين ظهريا ويسلك كما سلك أكبر فيجنى ثمرة الراحة والهدوء ويميش مع الهندوس وغيرهم على صفاء فلا يحاربهم ولا يحاربونه كما كان شأن جهانجير وشاه جهان اذ عاشوا في راحة باظهار عدم الاهتمام بشؤون الدين الاسلامي وكثير من سلك طريق الدنيا ففاتها ولم يمنعه شيء من التمتع بالمال والخمر والنساء وكافة الملاذ غير ضميره الثائر وما كانت فلسفة أكبر الطبيعية ولا رفاهية جهانجير ولا الابهة ولا الفخامة التى أحاطت بشخص شاه جهان لتصرفه عن نزعة الدينية الخالصة للحق وكان الهندوس يفضلون كل نوع من الحكام على الحاكم الذى

يتعرض لدينهم وهذه أول مرة جلس امبراطور مغولى امتاز بروحه الدينية وقيد نفسه كاقيد الهندوس غير أنه لم يكن يجهل أن التساهل والترضية هما أساس الحكم الأسهل والأسلم عاقبة في بلاد جمعت عناصر مختلفة من الأديان والاجناس ولم يكن بالشاب الطائش حين اعتلى العرش ولكن كان ناضجاً في سن الأربعين وعلى جانب عظيم من الخبرة السياسية والملم تام بموائد وخصال الشعوب المختلفة التى تقطن الهند ولم يكن يغيب عن باله الأخطار التى كانت تكتنفه بسبب الخطة التى سار عليها . بل كان على بينة من وعورة الطريق الذى يسير فيه وهياج الشعور الهندى الذى صدمه وابعاد عطف رعاياه الفرس المعتنقين لمذاهب الشيعة وكانت منهم زهرة حاشيته بعمده مصادمة عقائدهم . كما أن خطة الزهد والتقشف التى اتصف بها ضايق طليقة الأعيان والأشراف الذين لم يأنفوا هذه الحالة بل كانوا منغمسين فى الترف والملاذ وكل هذه الأسباب تجمعت فثارت عليه الثورات الا أنه ربح بالطريق الوعر ولم ينثن عن وجهته فى مدة الحنين عاما التى حكمها وكان لهيب الايمان دائماً الاشتعال فى قلبه وروحه الى آخر لحظة كان يحضر فيها ويسلم نفسه لخالقها فى وقت لم يطاق فيه العمل بحكم الشيخوخة وهى من النسك والراحة بل بقيت روحه فتية وشيخوخته قوية كما كان أيام شبابه حينما حارب فى الديكان وقد طرح ملابس العرش البهية المزركشية ولبس بردة الفقراء المعزقة ولم تكن خطته هذه خدعة يحاول أن ينال بها من خصومه بل كان طبعاً صريحاً فيه نتيجة تشبع بالعقيدة الحققة وما كان لنا أن نقول شيئاً عن شجاعته فليس ذلك بغريب على أمير من سلالة المغول انما كان يعتبر فى المقدمة لأشجع شجعانهم فقد حارب مرة فى مدينة بلخ فلما أحاط به العدو من كل ناحية كالجراد والخل وضغط عليه فى كل نقطة وصار لا يسمع الا قعقة الحديد وصنيل السيوف والدماء تجرى بين المتقاتلين وعربت على هذا المنظر شمس النهار

فلم يثنه هذا الخطر الدائم من أن ينزل عن حصانه ويقف أمام خالفه ليؤدي صلاة الغروب ويسجد لله في عجاج الموقعة وهو في غاية الثبات مما جعل ملك الأزبك حين رآه على هذه الحال يقول ان محاربة رجل كهذا هي الهلاك بعينه ، ويمكن لمن يقرأ بعض كتبه للولاة أن يستخلص منها شروط الملكية الصحيحة الحالية من الشوائب فقد أرسل لوال من ولاته العبارة الآتية :

« انى بعثت بواسطة العناية الالهية لأعيش وأعمل لالنفسي بل لغيرى وليس من واجبي التفكير في سعادتي الشخصية الا بقدر ما يكون ذلك متصلا غير منفصل عن سعادة قومي ولما كانت راحتهم وسعادتهم هي التي أنشد فلا يمكن تضحية شيء منها الا بقدر ما تقضى العدالة ويتطلبه تثبيت سلطة الحكم وتوطيد السلام في الامبراطورية ولم يخطيء فيلسوفنا السعدي حينما قال « تنحوا عن الحكم والا فاعقدوا العزم على أن لا يحكم ملككم غير أنفسكم »

وبنفس هذه الروح كتب الى شاه جهان خان : — « ان الله القادر يضع أمانته فيمن يتولى شؤون عباده ويحمي خلقه ومن الواضح الجلي للعاقل أن الذئب لا يصلح راعيا ، لا ، ولا الرجل الضعيف يصلح حاكما ، والملكية هي ولاية أمر العباد لا الانهماك في اللذات والشهوات »

لم تكن عبارات هذا الملك كلمات ينمقها بل قواعد ينفذها ويحكم بها ولم يعرف عنه طول حكمه الطويل أنه خالف مرة واحدة أمرا من أوامر دينه ولم يثبت عليه أنه اقترف أمرا جائرا يناقض تعاليم الاسلام ، ومما شهد به الانجليز المقيمون في أيامه بسورات وبومباي أن هذا الامبراطور كان محيط العدالة ومنبعها فهو يتصرف بالعدل والمساواة التامة وكان يتساوى عنده الأمراء والسوقة وكان يصفى الى الصغير في شكايته كما لو كان يصفى إلى أكبر الأمراء مما جعل الأشراف والأعيان يحكمون أنفسهم فلا يخرجون على نظام أو قانون خشية عقابه



ومما رواه عنه بعض مؤرخى الهند أنه كان معتدل المزاج ويمجد نفسه في فحص الشكايات وكان الوصول اليه سهلا مع رقة في المقابلة وكان ولاته يخشونه فلا ينحرفون عن العدالة الا أنه مع ذلك لم يكن كثير الوثوق بأمانتهم أو كفاءتهم ولم يكن يؤمن بالسلطة اللامركزية وكان دائم الاتصال بكل أجزاء الامبراطورية بواسطة مخبرين يقدون عليه ويرفعون اليه التقارير عن أخبار الجهات المختصة بها وكان يعامل أولاده معاملة قاسية فسجن ابنه الأكبر طول حياته وأبقى ابنه الثاني في أسره لمدة ست سنوات لأنه ظن فيه الخروج عليه وكانت عادة سوء الظن بالناس من صفات عالم جير فأساءت كثيرا السمعة ومركزه وإن كان كثيرا من المسلمين اعتبره متوجا بالفضيلة الا أن أغلب الحاشية ورجال الحكم عاشوا في رعب منه مصحوبا بالاستياء ومع ما كان يتمتع به من الاحترام فلم يكن محبوبا ، وكان يمش عيش البساطة والزهد الا أنه في المواقب العامة كان يقتفي مظهر أسلافه فيحيطها بالقحفظة والعظمة إذ كان الهنود من عباد المناظر والمواكب التي تتحل فيها العربات والدواب بالملابس والجواهر وتحف بها الفرسان وكان يتردد في عبسه بين دلهي وأجرا ، ولم يظهر ميلا الى البد الثانية لأن جوها لم يكن يوافق فمكان يقضى أكثر الوقت بمدينة دلهي الحديثة التي أنشأها شاه جهان والتي لازالت أثارها القديمة تشهد بما كان عليه هذا المكان من عظمة ، وقد وصفها برتير الفرنسى فقال « ان هذه المدينة تقع على الضفة اليمنى من نهر جينا على شكل هلال وأمامها كوبرى من القوارب ومحيط بها سهل به كثير من حدائق الفاكة والأشجار الخشبية ومحيط سورها سبعة أميال وفي خارجها كثير من المباني الشاهقة التي يسكنها الأمراء والأعيان والتجار ويتخلل المدينة بعض شوارع ضيقة تتصل بميادين فسيحة وبها أكواخ مبنية من الطين والخيزران يسكن فيها الجند والطبقات

الفقيرة ، أما الشارعان الكبيران بها فاتساع الواحد منها ثلاثون قدما ، وبها ميادين تنصب فيها الجند الراجبوتى خيامهم حين حضورهم للمدينة ، اذ كان من عادتهم عدم الاقامة فى المساكن ، ومما يستلفت النظر وجود بعض حجر فى السراى الامبراطورية تبلغ منها الحجرة مساحة سراى باجمها ، وكان يقيم بدلهى طائفة من مهرة العمال فى الفنون والصنائع ، ويرجع الفضل فى ذلك الى التشجيمات الملكية لكثرة المباني التى كانوا يشيدونها ، ومما برزت فيه هذه الطائفة الرسم والنقش وقد أظهرت فيها آيات النبوغ ، ومما أعان على تقدم هذين الفنين كثرة اقتناء الممول للصور والقوش الأوروية الشهيرة ، ومن أحسن ما بنى فى المدينة الديوان العام وحجرة الاستقبال التى وصفها الواصفون بقولهم اذا وجدت جنة على وجه الارض فاما تسكون هى ( حجرة الاستقبال ) .

والطريقة التى كان يعتمد عليها عالم جبر فى تأليف جيشه تخصيصه اقطاعات من الاراضى فى سائر أنحاء الامبراطورية يوزعها على بعض الأمراء وكبار العائلات لاستغلالها لمصلحتهم ، ويفرض عليهم فى الوقت نفسه فى مقابلها تجهيز عدد معين من الجند والحيل والصرف عليها من ريع هذه الأطنان على شرط أن يدفعوا خمس ايرادها لخزينته العامة ( مثل طريقة الحكر ) وكان لهذه الطريقة مزايا وعيوب فأما ميزاتها فانها تخلى الميزانية العامة من القيام بأغلب نفقات الجند فلا تشعب أوجه الصرف ويزول عن عاتق الحكومة مبلغ باهظ كان يفرض عليها دائما الاحتياط له فاذا قدر وارتبكت مالىتها يوما وصعب عليها دفع مرتبات أو نفقات الجند فتعرض لاتنقاضهم واضطراباتهم ، أما عيوبها الأساسية فيأتى من احتمال تقصير هؤلاء المتحمدين فى أداء التزاماتهم نحو الجند أو الاقلال من عددهم أو اهمال تعليمهم وعدم العناية بدواب الجيش الا أن هذه المسألة يمكن علاج عيوبها

بشدة الرقابة والدقة في التفتيش وفرض العقوبات الصارمة مالية أو غيرها اذا حصل تقصير .

وكان لهذا الملك أسماء متعددة منها « محبي الدين » و « زينة العرش » ، « أورنك ذائب » و « عالم جير » وهو الاسم الذي اصطلح عليه المؤرخون الشرقيون ، و « أورنك عالم » واسمه وجد منقوشا على العملة وقليل جدا من الملوك من حكم مدة طويلة مثله وكانت له شقيقة اسمها « روشا نارا » ذات تأثير عايله في بعض تصرفاته وقد عاونته كثيرا في أوقات الشدائد . ولم يطل أمد نفوذها في الدوائر الحكومية . أما أخته الكبرى « بيجام صاحبة » فقد عاشت مع والده الى أن مات ولم تكن على وفاق مع أخيها ولكن في المدة الأخيرة تحسنت العلائق بينهما وشفعت لديه أكثر من مرة وكان لبعض السيدات تأثير عليه منهن : « نحر النساء » ( ابنته الكبرى ) والاولديورية وهي زوجته المسيحية وكانت من ولاية جورجيا وكان نفوذها عليه محدودا جدا ولما اعتلى عالم جير عرشه استهل حكمه بتخفيض الضرائب ورفع الكثير من المتأخرات على الفلاحين والغاء عوائد المرور عند الحدود وكان ايرادها وافرا وأبطل الضرائب التي كانت تفرض على المنازل ودكاكين التجار من بقال الى جزار الى بائع أقمشة الى بنسكير وغير ذلك ، وألغى ضرائب الموالد والأعياد على كل الطوائف وعلى العموم فقد ألغى ضرائب عديدة متنوعة لا يقل عددها عن ثمانين ومن أهمها عشورية الغلال ليقفل بذلك نفقات الانتاج على المزارعين ، وقد استغل كثير من الجباة غفلة دافعي الضرائب الذين لم يعلموا بالغائها واستغلوا ذلك لصالحهم ولكن حين علم الملك بذلك أوقع عقوبات صارمة على الجباة الذين عرف عنهم مخالفة الأوامر وقال أحد المؤرخين الانجليز ( اليوت ) تعليقا على ذلك : أن الأوامر شىء وتنفيذها في الهندوس شىء آخر حتى أنه في هذه الأقاليم الواسعة

لازات عادة مخالفة الموظفين للتعليمات التي عندهم فاشية حتى في زمن الانجليز ويقول ان الرشوة وان كانت انقطعت عن كبار الموظفين في الحكومة فان صغارهم مازالوا يمارسون هذه العادة وانها وان لم تكن شائعة عند العموم فانها مارات طيما ثانيا عند الكثير منهم فانه الى يومنا هذا قد يتوجه مثلا تاجر الى ناظر محطة صغيرة ويريد أن يشحن بضاعة الى جهة أخرى فان عمله غالبا لا يصير تنجيذه على وجه يرضيه الا اذا تقدم الهدية وكذلك ربما احتاج غيرها لبعض رجال البوليس .

ولقد أعاد الملك عالم جبر فرض الضرائب التي سبق الفاؤها بمناسبة جلوسه على العرش وكان من عادته أن يطل على الجماهير لتقدم له تحيتها في أوقات معينة ولكنه عدل عنها بعد زمن وقيل أن سبب ذلك كان دينيا ولكن الأرجح كان صحته بسبب ضعف انتابها في السنين الأولى من مدة حكمه وكثيرا ما اضطر الى الظهور للرعية ليبطل اتاعات سيئة اعتادوا نشرها وقت احتجابه ويذكرون وفاته وبذلك تحدث بعض الاضطرابات فيظهر لهم على مضض منه منعا للقليل والقال ولقد كان عادة احتجابه خالية من الحكمة اذا قطع بها الاتصال الوثيق الذي كان قائما بينه وبين رعيته وعلى أثر جلوس «عالم جبر» تقاطرت اليه البعثات من فارس وماوراء النهر ومن حكومة للمستعمرات الشرقية الهولندية وشريف مكة وأمير البصرة وملك الحبشة وكانت البعثة الأخيرة مكونة من رجل من تجار الرقيق وتاجر أرمني وقدموا للملك هدايا تتكون من عدد من الأرقاء — ليصير بعضهم فيما بعد أغوات — وخيول وحر وحشية وأسنان من العاج مجوفة ومملوءة بالمسك ولكن معظم هذه الهدية فقد بالطريق اذ مات كثير من الأرقاء والخيول في الطريق وقد قدم باقى الثياب التي وفدت الى دلهي ولم يكن فيها ما يستلفت النظر أما هدية ماوراء النهر فكانت تتكون من كثير من الجمال



ذات الشعر الطويل وخيول من الصنف الجيد وكانت الجمال تحمل كثيرا من أصناف  
الفاكهة المجففة وغيرها من تحف هذه البلاد وقد سر الملك كثيرا بها وطلب تبليغ  
الخانات شكره على كرمهم الزائد كما أنه أظهر إعجابه بالخيول والجمال ، وتحدث  
طويلا مع رجال البعثة عن سمرقند وحالتها وخصوبة أرضها وكثرة خيراتها النادرة  
الجيدة للغاية وقد أضاف الملك رجال هذه البعثة مدة طويلة من قبيل التحية ورعاية  
العوائد المغولية ، أما البعثة الفارسية - فنظراً لمعظم مركز من مثله - اذ كان يعتبر  
من أكبر ملوك العالم - فقد قبلت بكل تبجيل واحترام وزينت لها كل الشوارع  
التي مرت بها واصطفت الفرسان على الناحيتين ولازم موكبهم كثير من أمراء  
الهنود بموسيقاهم وطبولهم وأطلقت لهم المدافع تحية عند قدومهم وقابلهم الملك  
بالاحترام واستلم رسائلهم بيده ، وقدموا هديتهم وهي عبارة عن خمسة وعشرين  
حصانا منقطعة النظير في حسنها وعشرين جملا يكاد يبلغ الواحد منها حجم  
الفيل وصناديق مملوءة بماء الورد وكميات من الأقمشة المطرزة وبعض مشروبات  
من أرقى صنف وأربعة سيوف وأسلحة أخرى مكللة بالجواهر وستة أغطية للخيل  
تزينها اللاآلىء الثمينة ونالت إعجاب الملك الشديد فكرر شكره العظيم للشاه على  
سخائه الزائد وأظهر احتراما شديدا لسفير فارس وأطال معه الحديث قبل انصرافه  
وطالب منه أن يأتيه يوميا ومما رواه برتير الفرنسي أن الشاه أرسل رسالة يعاتب  
فيها ملك الهند على حجزه والده ومعاملته لاختونه وعلى تلقيب نفسه عالم جبر  
( أى ملك العالم ) . ولكن وصف المقابلة ينطق بعدم صدق هذه الرواية اذ هذا  
لا يكون الا عند ما يريد حربا لا عند تقديم هدايا ثم قبولها بالسرور . وكانت  
علاقات عالم جبر بالدول الأجنبية قليلة الأهمية اذ كان كل انهما كه منحصرا في  
هندستان ومن أهمها تنظيم الحكم في الولايات وقد اختار « مير جملا » واليا لبنتغال  
وقائدا لجيشها ولكنه أبى ابنه ضمن حاشيته ليكون كرهينة فان الملك من عادته شدة

لحذر وقد أنعم على جملا بلقب « خان الخانات » ولكنه لم يعش طويلا بل مات سنة ١٦٦٢ وهو الذي غزا ولايات أسام وكانت هذه أول مرة يدخل مسلمو الهند في هذا الاقليم وهو يقع الى الشمال الشرقى من هندستان ويخترقه نهر عظيم ، وبها غابات كثيفة وأمطارها شديدة ومواصلاتها مينة وأهلها هندوس تختلف طقوسهم الدينية عن اخوانهم في الهند ومما قاله كافى خان المؤرخ إنه متى مات أمير من أمراءهم أو كبير من كبارهم فتحوا مقبرة متسعة تتكون من عدة أقسام ثم لا يكتفون بدفن الميت بها بل يثدنون زوجاته وجواريه ليدفنوا معه ، وكذلك يدفنون خيوله وكثيرا من أمتعه كالأواني الفضية والذهبية والمجوهرات والمفروشات والحبوب وكثيرا من الأشياء التى كان يستعملها فى حياته وكانوا يضعون عنده فاكهة وأقوات بمقادير تكفيه عدة أيام وهى المدة التى يقولون انه سينتقل فيها الى الدار الآخرة وروى المؤرخ أن « خان الخانات » فتح بعض هذه المقابر وعثر فيها على أشياء ذات قيمة ثمينة ، وعادة وضع الأشياء الثمينة فى المقابر كانت شائعة فى بلاد كثيرة ومنها القطر المصرى ، وفى أحوال متعددة فتحت هذه المقابر فى بلادنا وعثر فيها على كنوز غالية وأهمها ما اهتدى اليه اللورد كارمارفون فى مقبرة الملك توت عنخ آمون كما عثر الأستاذ الشهير سليم حسن بك على مقابر ذات آثار قيمة تاريخية بجوار الاهرام

لم تكن غزوة أسام صعبة بل دخلها المسلمون دون كبير مقاومة إنما الذى عجز عنه السكان قامت به الطبيعة بالنيابة إذ تدفقت الأمطار والسيول التى لم يأنف احتمال مثلها جيش الأمير جملا فلجأ الى بعض المدن وأقام بها الجند فى جو لم يلائم أجسامهم ففتكت بهم الأمراض القتالة وقد أضر بهم أيضا نفاذ القوات وعدم توفره لديهم فتذمر الجند وفكروا فى الترد على قائدهم وتركه هناك فلما علم بذلك وجد أن التسليم فى الظروف القهرية فضيلة وخضع لارادتهم

وأمرهم بالانسحاب فاتهمز أهالى أسام هذه الفرصة وهاجموا الجيوش الهندية ولم تسكن ضميعة بالدرجة التى تعجزها عن المقاومة وقاتلهم مير جملا وصد الأساميين فاضطر الراجا رئيسهم أن يطلب الصلح من المسلمين وقبل أن يتنازل لعالم جير عن عدة بلاد واقعة على حدود أملا كه مع دفعه جزية فادحة كما تعهد بتقديم خمسين فيلا وأن يقدم أيضاً واحدة من احدى بناته ( القبيحات كما يقول كافي خان ) الى الملك . وقد مات الأمير جملا فى الطريق أثناء عودته الى الهند فى حدود كوج بيهار .

وكان وقتئذ لا يزال محبت خان واليا على كابل وطالب بحسن معاملة شاه جهان الذى كان محجوزا عند ابنه الملك وكان الاحتجاج سببا فى تخفيف وطأة العزلة على سيده السابق وبعد وفاة مير جملا عين ابنه أمين خان واليا لحكومة كابل ولكنه ما وصل الى ممر خيبر حتى تلقفته القبائل القاطنة هناك وكادت تقتك به لولا تمكنه من الهرب وتخليه عن جيشه هناك ، ولم يمت محبت خان الا قبل ملكه بمدة قصيرة ومات بموته آخر رجل عظيم من عهد شاه جهان وكان موته وموت مير جملا خسارة لا تعوض على الامبراطورية إذ كانا من أقوى الحكام وأكفأ القواد الذين حفظوا للمفول صولة حكمهم

## حروب عالم جير

وقع فى عهد عالم جير ثلاثة حروب كبيرة ذات معارك متعددة وهى :

١ — حرب قبائل الراحبوت

٢ — حرب الولايات الاسلامية ببيجا بور وجولكندا

٣ — حروب قبائل الماهراتا

أما ما يختص بالحرب الأولى فكانا سببا يرجع الى رعية عالم جير فى نشر

الديانة الاسلامية ببلادهم ، والثانية وقعت بينه وبين الحكام المسلمين بولايتي  
بيجاپور وجولكندا وقد انتصر فيهما وأخضع هاتين الولايتين ، أما الثالثة وهي  
حرب الماهراتا فقد بدأت في حكمه وظلت مشتتة بينهم وبين المسلمين بعد موته  
الى سنة ١٧٦١ حيث سحقهم الأفغان في سهل بانيبات بعد ما كانوا يطمعون  
في سلب العرش من المغول وتأسيس امبراطورية ما هراتية على انقاضه وقد ذكر  
المؤرخ كافي خان وصفا لزعيمهم « سيفاجى » فقال انه يقيم في بلاد بها جبال  
تتأطح السماء ارتفاعا وغابات كثيفة بالأشجار والنباتات وبلاد هذه طبيعتها تجعل  
العنصر الذى ينشأ فيها حريا إذا أن العيشة القاسية تنمى فيه الروح الحربية  
لنعودهم على احتمال الشدائد وقد التحق فريق كبير منهم بولايات الديكان ومنها  
الولايتان الاسلاميتان بيجاپور وجولكندا وقد كان سيفاجى زعيمهم ابن  
رجل من « أودايبور » راجبوتى واتصل بامرأة من طبقة دون طبقة وعلى أثر  
ذلك هاجر من مسقط رأسه الى الديكان وكان جده ربي له مركزا بها من  
قبله فقد التحق في خدمة ملك احمد ناجور قبل أن تحتل هذه الولاية بجيش  
الملك أكبر وهناك كون جده ثروة ويقال انه كان معتقيا لمذهب مهاريو  
( مذهب هندوسى ) وجاء فى قصة رواها رجل من الماهراتا أن زوجته كانت عاقرا  
لم تلد لمدة سنين طويلة فذهب الى رجل من أولياء المسلمين ورجاه أن يدعو له  
أن يرزق ولدا فولد له ابنان فسمى الأول « شاهجى » وهو لقب تشريف  
باللغة الهندوسية فزوجه والده وهو فى سن الخامسة من طفلة لأحد أعيان احمد  
ناجور وقيل أن أحدى ( وليات ) الهندوس قالت لوالده إنه سيعثر على ثروة  
كبيرة وانه سيكون من نسله من سيعين ملكا حيث يقيم العدل فى بلاد الماهراتا  
ويزيل كل من يقف فى طريقه من البراهمة وإنه سيعتدى على بيوت الله وان  
حكمه سيعود بالسعادة على شعبه وسيحكم سبعة وعشرين عاما ، وقد ذاع صيت



شاهجي في أحمد ناجور بعد موت مالك عنبر الحبشي وصار يلعب بدسائسه بين ملكي أحمد ناجور وبيجاپور وأحيانا لدى الامبراطور وأخيراً نجح وعين قائداً ثانياً للحملة ضد ولاية السكارنتك وفي نهايتها حصل هناك على أملاك واسعة وأقام بها الجزء الأكبر من حياته . وقبل أن يتوجه الى هناك سبق أن تزوج مرة ثانية ، وكان قد رزق بولدين من زوجته الأولى وهما سمهاجي وسيفاجي فأخذ الأول معه وترك الثاني مع والدته وكان بينه وبينها نزاع ولهذا نشأ سيفاجي لا يعرف والده لأنه عاش بعيداً عنه وقد ولد سنة ١٦٢٧ ، ومن سنة ١٦٣٠ الى سنة ١٦٣٦ أقامت أمه مع والدها إلا أنها في السنة الأخيرة قابلت والد سيفاجي ليحضر معها زواج ابنه الذي تم وهو طفل وبعد ذلك عادت لمنزلها وتوجه سيفاجي حيث أقام مع والدته في أملاك والده الواسعة وكان يقيم معها رئيس طائفة شاهجي فلم سيفاجي حمل السلاح واستماله وحفظه لدينه ونشأ سيفاجي محارباً شهيراً وبدأ في ممارسة أعماله وهو لم يزل صغير السن واتصل بطبقة من الأشقياء واحتل بمعاونتهم بعض الحصون التي لم يكن لها شهرة ولكنه حصن بعضها تحصيناً تاماً حتى صارت عقبة من أشد العقبات في وجه من يحاول اقتحامها وأشهرها قلعة « تورنا » واستولى بعدها على قلاع أخرى وكان معظم وسائله في تحقيق ذلك الرشوة والخيانة وعلا مركزه حتى صار رئيسه يحسب له حساباً وخشى أن لا يستطيع حكمه في المستقبل إلا أن هذا الوالي شعر بدنو أجله فدعا سيفاجي وأوصاه أن يحافظ على حقوق الهندوس وأن يدافع عن معابدهم وكرامتهم وأن لا يضيع المستقبل الزاهر الذي ينتظره ثم انه وصله خطاب من والده يطلب إيراد الأملاك التي يديرها فلم يجب مطلبه وكان سنة في هذا الوقت عشرين عاماً إلا أن جسمه نما بسرعة ، ولم يكن حاكماً بيجاپور يفكر في شأن هذا الشاب الخطر النشأة وحصر اهتمامه في

اقامة المياني والانتعاش في اللهو والشهوات ، أما شؤون الحكم فقد أهملها بينما كان سيفاجي يقوى نفوذه في أطراف المملكة شيئا فشيئا واستخدم بعض حاشية الملك بطريق الرشوة في التستر على أعماله مع موافاته بما يهيمه من الأخبار وقد وصفه كافي خان فقال انه كان في المكر والخداع كأبناء الشياطين وكان رأس الغش والدهاء فقد استطاع الاستحواذ على ثلاثة ضياع كانت ملك رجل عربي غائبا لزيارة شاه جهان وكانت هذه المسئلة بدأ سلسلة اجراماته التي استولى بها هو وسلالته على كثير من أملاك الغير حتى انتشرت سطوتهم وخافهم كل من في الديكان والكونكان وكان كلما سمع على بلد رائجة اغتصبها واستولى على ما بها وكان قبل أن يتقدم أصحاب الأملاك بالشكوى يسبقهم هو بالرشوة مشفوعة بأضاليه فيعود الشاكون بالخيبة وزاد نفوذه ولم تقف مطامعه عند حد واستفحل ضرره واستمر في طغيانه والموظفون يؤيدونه لدى الحاكم وفضلوا مصالحهم الآجلة وبذلك وضعوا في يده باطلة استطاع أن يقتلع بها نفس الموظفين وغيرهم من أساسهم وذهبت أملاكهم وكل شيء لهم في مهب الرياح اذا انتقلت السلطة في يده وصار أكبر الثوار في الأمبراطورية وقد استتر أمره طويلا عن الهيئات الحاكمة لوسائله الخادعة وأهمها الرشوة ولبعده عن مقر الحكم ولكن لم يدم الحال على هذا المنوال الى النهاية ، ولما شرع في وضع يده على بعض الثغور البحرية وجدت حكومة بيجابور أن لا مناص من القضاء عليه فقبضت على والده وأحضر الى الملك حيث أمره أن يخبر ابنه في العدول عن تمرده فاعتذر مؤكدا أن ولده لم يثر على العرش فقط بل ثار عليه أيضا واغتصب أملاكا فلم تصدق روايته ولما حاول الاتصال بابنه ليعدل عن خطته لم يفلح فاعتقل الوالد في السجن ولم يكن به غير نافذة صغيرة وأفهم أنه اذا استمر ابنه في عصيانه الى وقت معين فسيسدون عليه النافذة ويترك من

غير طعام ليموت جوعاً ولما علم سيفاجى بما حصل لوالده لم يكثر بل استمر في طريقه وذهب الى شاه جهان الذى لم تسكن علاقته مع بيجاپور والتحق بخدمته وأطلقت حكومة بيجاپور صراح ابيه وبقي هناك شبه أسير وبعد قليل أطلق صراحه ورجع الى الكارتك حيث كان بها اضطرابات قتل فيها ابنه الأكبر سمهاجى ولما تخلص شاهجى من حكومة بيجاپور عاد سيفاجى ثانية للتمرد وأول خطوة جريئة كانت ضد راجا سندر راو التابع لمملكة بيجاپور وكان دعاه سيفاجى لى يتعاون معه في الثورة فرفض فأرسل بعض أعوانه فذبحه جراً رفضه كما أنه طعن أخاه وفي حالة الاضطراب الذى وقع أثناء الاعتداء على الآخرين هوجمت مقاطعتها فتحرك عالم جير فاصدا مملكة بيجاپور وكان سيفاجى ملتحقاً بالجيش المغولى فهجم على مدينة جونير لايقصد بذلك خدمة المغول بل صالحه الخاص كما أنه هاجم أحمد ناجور دون جدوى ولكن اشتداد الحروب في ذلك الوقت بهندوستان الشمالية اضطر عالم جير الى ترك الديكانت والزحف شمالاً وكان يحكم ولاية بيجاپور فتى قاصر فوقعت فيها نزاعات واتقسامات بين الذين يديرون دفة الحكم وفي سنة ١٦٥٨ كانت الفرصة سانحة لسيفاجى لاستبقاء ما وضع يده عليه أثناء هذه الحروب ووجه نظره بعد ذلك لامتلاك الكونكان والثغور الواقعة على سواحلها وبالأخص ميناء جنجيري وكان يملكها رجل أفريقى الجنس اسمه سيدى فتح خان فأوقع على سيفاجى أول هزيمة صادفها من يوم أن ظهرت شخصيته وكانت الهزيمة شديدة ولم يجرأ أن يعاود مهاجمة هذا الثغر الا بعد مدة طويلة وانتظم الحكم في مملكة بيجاپور ورأت حكومتها أن سيفاجى استفحل أمره وأن الوقت قد حان لتأديبه فاختروا لهذه المهمة ضابطاً جريئاً يسمى أفضل خان ولكنه كان مستهترا بمثل سيفاجى وكان يفخر بأنه سيأتى بهذا الثائر الحقير مقبداً في الاغلال

ويرميه تحت أرجل العرش وقد نجح أفضل أولا في مطاردة بعض جنود سيفاجي ولكن كان الوصول الى هذا الزعيم الثائر عسيرا بسبب طبيعة المكان المقيم فيه كما أن بعض رجال الماهراتا ضلل أفضل وأفهمه كذبا وخداعا بأن سيفاجي سيقدم خضوعه فأرسل أفضل كاهنا برهميا لمفاوضته واقناعه بالتسليم ولكنه في صميم الليل زار سرا هذا الكاهن البرهمي وأطلعته على حقيقة نواياه وأنه يريد بهذه الثورة خدمة قضيه الهندوس وخدمة دينهم وإن نفس النبي بهواي الهندوسى هى التى أوحى اليه بهذه الأوامر لكي يعاقب المعتدين على معابد البراهمة وآلهتهم وأن ينتقم من خصوم دينهم لذلك يدعو للتعاون معه على هذا الواجب الدينى والوطنى حتى تستطيع طائفتهم أن تعيش فى سعة وسعادة ولم يكتف بترغيب الكاهن من الناحية الدينية بل أثار فيه روح الجشع المادى بوعده إياه بمقاطعة يعطيها له ملكا إذا أحسن التعاون معه ولذلك مهد هذا الكاهن الطريق لمقابلة سيفاجي لأفضل سرا كي يتفاهما على شروط التسليم والضمانات التى يناهها الأول مقابل خضوعه وقد وقع أفضل فى الشرك الذى نصب له إذ توجه لسيفاجي ولم يكن فى صحبته غير جندى واحد ودون أن يكون معه سلاح خلاف السيف الذى كان من عادة كل مسلم حمله أثناء سيره فى الطريق وترك جيشه المكون من ألف وخمسمئة جندى فى مكان بعيد ، وكان سيفاجي قد رسم خطته من قبل للقضاء عليه وتقابل الاثنان وكان سيفاجي يخفى فى كه خنجرا وسلح أصابعه بسلاح ماهراتى اسمه واحناك وهو عبارة عن عدة مشارط صغيرة حادة تحيط بأصابع اليد فيستعملها عند ما يريد اقتراس أحد ، وأحاط مكان المقابلة بجنوده وأمرهم بالهجوم متى نفخ فى بوق معه ، وبمجرد أن دخل أفضل انقض عليه وأنشب أظافره فى مكان قاتل وابتدره أفضل بالسيف ولكنه لم يؤثر حيث كان لابسا درعا وسقط أفضل وتحول بعد ذلك على



الجندي وأطاح رأسه ثم نفخ في النفير فخرج جيشه وانقض على رجال أفضل بقتة ولم يكن لهم قيمة لغياب قائدهم وكان جمعهم مضطربا فقتل منهم الكثير وفر فريق منهم مشتتا في كل الجهات ولجأ البعض الى سيفاجي طلبا للرحمة فناها على أثر هذا الغدر المنظم ارتفع صيته بين الماهراتا ، وكتب بعض المؤرخين الانجليز عن هذا الملك يعجبون بسيفاجي ويلتمسون له الأعذار في غدره معتبرينه كحيلة تبررها الحروب وهل الخيانة إلا حيلة ؟! واستشهدوا بالتاريخ وقالوا إنه مملوء بمثل هذه الحيل ، وعلى العموم فان الانجليز لم يشاءوا أن يجدوا في غدر سيفاجي وحقارة وسائله سببا مبررا لنقده (لأنه وأمثاله مهدوا السبيل لهم فيما بعد لامتلاك الهند) .

ودامت بعد ذلك الحرب بين ييجابور وسيفاجي لمدة ثلاث سنوات وكانت بوادرها في صالحه اذ هزم جيش ييجابور الذي كان يقوده رستم خان وأحتل سيفاجي على أثر ذلك بعض الحصون وقال كافي خان ان الحظ لازم هذا الخائن فازداد قوة وابتاعا يوما بعد يوم وبني كثيرا من الاستحكامات وعكف على مناورة ييجابور وصار يهاجم القوافل ويقتصب ما فيها حتى النساء ولكنه جعلها قاعدة وأمرها محتما أن لا يتعرض جنده لكتب المسلمين ولا مساجدهم ولا نساءهم وكان كلما وقعت نسخة من القرآن في يده أعطاها لأحد رعاياه من المسلمين ، وكان كلما أسر امرأة هندوسية أو مسلمة أبقاها عنده حتى يحضر أحد أهلها لاستلامها بعد دفع فديتها ، وعند نهب أي مدينة كان يحمل كل شيء من نحاس حصه لجنده وأما الفضة والذهب والمجوهرات فكان يخصص جانبا منها لضباطه والباقي له ، وكان النهب عنده له قوانين وقواعد يراها أعوانه لأن هذا النهب جعله الدعامة الأساسية لسياسته وظل سيفاجي موقفا في حروبه الى أن توجه الى محاربة سيدي جوهر وكذلك ابن أفضل خان

فضل محمد وقد طوق الأول سيفاجى وحصره لمدة أربعة أشهر فلجأ الى الحيلة كما دته وقابل سيدى جوهر ليفهمه أنه يقصد التسليم ، ولما أزال الشك من عنده انسرق ليلاً من وسط المحاصرين وفر الى حصن له ولكن عرف مكانه الذى قصده قبل أن يصله فتحاشاه وقصد الراجا الخائن الذى سلم أباه للحكومة وقتله انتقاماً فسر أبوه واصطلىح معه ومشى عدة أميال للتحية والتسليم على أبيه وتوسط والده فيما بعد للصلح مع الحكومة فقبلت أن تعطيه البلاد الواقعة ما بين كونكان وجوا وكان هذا الصلح مفيداً لسيفاجى إذ بدأ المغول فى مطاردته واحتلوا بعض بلاد الماهراتا فتفرغ لهم وانقض بجنده على كل شىء يقابله فى الطريق من مؤون وأمتعة وذخائر تابعة لأمير الأمراء الذى لما سمع بذلك أرسل أربعة آلاف خيال للمحافظة على هذه الأشياء ولكن مبيعات جند سيفاجى من حين الى آخر كانت ناجحة و بعد مشاق شديدة تجمعت قوى مغولية وتوجهت الى بونا وعسكرت فيها ولما تم عقد الصلح بين سيفاجى وبيجاور تفرغ الى المغول وكان كدأ به يعمل على الحيلة أكثر من تعويله على القوة ، وكان مما احتال به للتشكيل بخصمه أن دس جموعاً كبيرة من أعوانه بعد أن ألبسوا غلاما لبس عروس وأخذوا تصريحاً بالدخول الى بونا على مقربة من المعسكر للاحتفال بفرح هذه العروس المزعومة ولا زالت جموعهم تتقاطر عزلاً عن السلاح الذى كان قد خبأه قبل ذلك فى مكان بالمدينة ولما انتصف الليل ذهبوا الى المكان المتفق عليه وتسلموا واختاروا منفذا للوصول الى السراى التى يقيم بها أمير الأمراء فنقبوا نقباً فى حائط ودخلوا منه ، فوجدوا أنفسهم فى المطبخ صدفة وكان الطباخون يشتغلون ليلاً حيث كان شهر رمضان فصاحوا ولكن تكاثر عليهم أعوان سيفاجى وقتلهم وتوغلوا داخل المكان يذبحون كل من قابلهم وعلا الصياح من بعض الجوارى واستيقظ أمير الأمراء وأخبروه بما حصل فتسلح وأقبل

عليه ثلاثة سقط اثنان منهم في خزان كان في طريقهما وضرب الثالث ولكن  
انقض قائما وقطع ابهام الأمير فعاد وطمعته فخر قتيلا وتحول على من بالخزان وقتل  
الذي بقي على قيد الحياة بحربة ولما رأى خصومه تتكاثر فر الى مكان أمين  
ووصل فيما بعد جند سيفاجي وباغتوا الحرس الذي كان يقيم في فناء كبير  
وأبادوا جميع رجاله وكانوا يسخرون من الكيفية التي يحرس بها الجند سيدهم إذ  
كانوا نائمين حيث تجب اليقظة وتنبيه بعد ذلك أبو الفتح ابن الأمير وقتل بعض  
المهاجرين ولكنهم تسكثروا عليه وقتلوه وفر بعد ذلك أعوان سيفاجي قبل أن  
تدركهم القوة الكبيرة التي بالمعسكر وكانوا قد قتلوا زوجة لأمير الأمراء وأحدثوا  
في زوجة أخرى ثلاثين جرحا ولكنهم لم تمت وعلى أثر هذا الحادث نصح  
جزونت سنج لأمير الأمراء بالتفاهم مع سيفاجي فلما علم بذلك عالم جير سحب  
القائدين وعاد فأبقى جزونت في الديكان ونقل أمير الأمراء الى البنغال واستلم  
قيادة الديكان الأمير معظم خان ابن الملك وعاوناه « جاي سنج » و « ديليرخان »  
وكان سيفاجي قد اشتبك ثانية في حرب مع بيحايور وصاريبث في بلادها  
فساداً ، وبلغ من جرأته أن ركب سفينة وهاجم أحد ثغور الشاطئ الغربي  
ولاقى أهوالاً شديدة في الحرب اذ هاجت عليه العواصف وكاد اليم ينلعه ، وفي  
سنة ١٦٦٤ احتل ميناء سورات وكانت تابعة للمغول ، وباغتها ونهب ما بها  
ولم يقاومه فيها غير الانجليز والهولنديين وسلموا من أذاه وأرسل مرا كبا  
فاعتدت على حجاج المسلمين المسافرين بحرا الى الحجاز فأسحط بذلك عالم جير  
ولما علم قائد المغول الهندوسي جاي سنج باعتدائه على الحجاج تحول عن محاربة  
بيحايور وذهب لقتال الماهراتا واحتل عدة حصون ثم توجه الى سيفايور التي  
شيدها سيفاجي فسلمت وسلم أكثر الحصون وان كان قاسى في ذلك جيش  
المغول أشد الأهوال الا أن النصر حاله وانتقل جاي سنج وطرق

بارندهور وبها بعسكر سيفاجى ويقيم معه أولاده ونساؤه فعرض التسليم  
الى جاى سنج ولم يكن ليصدق له لسابق الأعيه ولكنه قبل على حذر  
واحتاط بالجند ضد أى مباغته أو خيانه وقبل مقابلة سيفاجى عرفه جاى سنج  
الشروط التى سيعاملونه بمقتضاها وكانت تسليم كل الحصون التى فى يده  
والتوجه لتقديم فروض الطاعة للامبراطور وفى الوقت نفسه قطع له  
عهدا على تأمينه على نفسه وأن لا يصيبه بسوء فى شخصه أو حرите وعند  
المقابلة قبل الراجا جاى سنج سيفاجى وأظهر له النشانة الثامة التى تنفق مع  
الطبع الراجبوتى وصافح سيفاجى يد جاى سنج وقال له « إني جئت مقرا  
باجرامى طالبا منك الصفح عنه ولك أنت اذا شئت أن تقتلني بدني أو تعفو  
عني بفضل منك، وأنا على استعداد لتسليم قلاعى بالسكونكان الى ضباط  
الامبراطور وأن أرسل ابني ليلتحق بخدمته كما واني أرجو بعد مضي عام أن  
يرخص لي أن أحتفظ بقلعة أو اثنين لأقيم مع أولادي وزوجتي وناقي عائلتي،  
وكما طلب مني تأدية خدمة سألني الطلب باحلاص متى صدر الي أي أمر »  
واستقر الأمر على أن يسلم ثلاثة وعشرين حصنا من التى تحت يده ويستبقى  
اثني عشرة ، ويصحب ابنه البالغ سنه ثمانية أعوام الى الامبراطور حيث  
تكون إقامة الأب مؤقتة وإقامة الابن مستديمة ويوضع فى مصاف الأشراف  
ضمن حاشية الملك فى سنة ١٦٦٦ ذهب سيفاجى وابنه ومعهما حاشية صغيرة  
الى دلهي وبدلا أن يقابله شخص من ذوى المراكز العالية وقع الاختيار على  
رام سنج بن جاى سنج ومخلص خان وهو مغولي فى الدرجة الثانية وعين سيفاجى  
فى مركز دون مقامه فمد ذلك اهانة لشخصه ، ثم انه لما قدم للامبراطور لم ينل  
منه أى التفات ووضع بين طبقة دون طبقة ولم يكرم سيفاجى غيظه بل أظهره  
بصوت عال وخرج حاتقا ولم تسلب حرите عملا بالوعد السابق لكنه كان تحت



مراقبة شديدة فصار يفكر في الرجوع الى الماهراتا ولجأ الى الحيلة كهادنه فادعى أنه مريض ولم يبارح فراشه لمدة طويلة ثم ادعى أنه نقه وعمل سلالا كبيرة ليضع فيها هدايا الشكر على النقاها وهي عادة شائعة في الهند فلم يثر ذلك أى شك أو ملاحظة وأحضر شخصا ووضعته تحت الغطاء في الفراش حتى اذا ثار شك وجاء أحد ووجده في فراشه زال شكه ، ثم جرى بسلتين ووضع سيفاجى في واحدة وابنه في الأخرى وحملوا على عربة الى خارج دلهى كما لو كانا هدايا الى النقطة التى انتطره فيها بعض أعوانه ، ولما شاع أمر هربهما أعدت الخيل السريعة لتتبعهما ولكنهما كانا وصلا الى مكان بعيد ، واتخذ سيفاجى مظهر الفقراء المسلمين تضليلا لمن يقتفى أثره ووصل الى بنارس وزار فيها الأماكن المقدسة وبعد مضى شهر من هروبه وصل الى جبال الماهراتا وترك ابنه وديعة فى الله أباد عند أحد كهنة البراهمة وحافظ الرجل على أمانته الى أن سلم الأبْن الى الأب ...

وبفرار سيفاجى فقد عالم جير أحسن الوسائل المؤدية الى تهدئة الديكان ولو كان عالم جير على بينة تامة من حقيقة مركز هذا الرجل لما أحجم عن ارضائه حينما ذهب اليه فمثله لو ذهب فى صحبة أمير مغولى على رأس جيش لاختضاع الديكان لثم ذلك بسهولة ، ولكن الترضية لم تحصل ، وعلى هذا توجه سيفاجى الى بلاده وأعلن استقلاله فيها ومن هذا الموقف تبدو أخطاء عالم جير السياسية فانه سلك مسلكا من الخطر بمكان اذا أنه تغالى فى خطته الدينية دون تقدير للعواقب ولم يكتف بمحاربة الهندوس مع أنهم كانوا قوة لا يستهان بها وكيف لا يحسب لمثل هؤلاء حساب مع أن نسبتهم للمسلمين كانت ثمانية الى واحد ، ومما راد فى حرج عالم جير وخلق له المتاعب التى لم تنتهى حتى بعد وفاته بل كان لها أثر سىء امتد الى من حكم بعده من سلالته فانه فتح على نفسه

بركان حرب باثارة الهندوس وكن في وسعه وقتئذ أن يعتبر الشيعة إخوانه في الدين وإن انحرفوا عنه قليلا فيكسب معاوتهم ويأمن عداوتهم لكنه لم يفعل ذلك بل أغضب هؤلاء وهؤلاء شيعة وهندوسا وكان يجدر بمثله أن لا تفوته هذه الملاحظة إذ كانت السبب الاسامي لتوسيع الخلاف بين مذهبي الأخوين في الدين فألحق بهما مضار زائدة في الهند وخارج الهند وحبذا لو تدارك عقلاء المسلمين وهيناتهم الحاكمة علاج هذه المسئلة التي تعتبر في مقدمة الأمراض للمجتمع الاسلامي والتي يجب الفصل فيها بحزم وعزم وهل يوجد أحزم من أن يكونوا يدا واحدة ؟ والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وحبذا لو أن بوادر التفاهم التي بدت من مقابلة الشيخ الأجل رئيس علماء المجف وفضيلة الشيخ المراغي شيخ الجامع الأزهر تتبعها مجهودات أخرى حتى لا تندم هذه الفكرة المباركة فان من ينجح فيها يؤدي خدمة للعالم الاسلامي لا تقل قيمة عن أي خدمة قام بها أكبر خدامه اذ يكون أول من يضع أساس عصبة أمم اسلامية تتصل بعضها ببعض وتتعاون على فعل الخير لهذا العالم الاسلامي المغلوب على أمره المحكوم لغيره المسخر لارادة الأجانب فها هي فرنسا واسبانيا تزجان بجنودهما من المسلمين في وجوه المدافع عند وقوع أي حرب فيكون نصيبهم الفناء وها هي إنجلترا تنكل بالعرب جنوباً وتجليهم عن أوطانهم شمالاً وتخلي بلادهم منهم ليحل مكانهم العنصر الصهيوني البغيض وهي التي أناحت دم الهنود في حرب البوكسر في الصين وفي مقاتلة اخوانهم المسلمين بتركيا وفي حرب المانيا بأوروبا ولم كانت خسارتهم بليغة حتى قتل منهم مئات الآلاف ولا يظن أن قراء التاريخ ينسون ما وقع بين الترك والفرس من حروب دينية لم تقم على أسباب يقرها عقل عاقل ولا قلب مؤمن ولا تجيزها ذمة إذ كيف يساق مسلم ليحارب مسلماً ودم المسلم على المسلم حرام وقتاله كفر ، فلعل القارئ

بفكرة المؤتمرات الإسلامية التي ظهرت بواورها بالمؤتمر الإسلامي الذي عقد في القاهرة للنظر في مسألة فلسطين يتلوه مؤتمر للنظر في هذه المسألة الهامة حتى يقضى عليها باعتبارها خرافة من خرافات الأحيال السابقة ومن حسن الحظ أن مصاهرة أمبراطور إيران لملك مصر تساعد على انجاح هذه الفكرة ، وإن كان الإسلام أجل وأعظم من أن يحتاج إلى مصاهرة ملكين في ربط طوائفه ببعضها ، والاختاء الإسلامي وهو معجزة من معجزات المجتمع يعتبر خير وسيلة من وسائل السلام لما يزرعه من المحبة والمودة بين الشعوب الإسلامية وهو السفير الذي لا يفشل في إيجاد الروابط المتينة التي تصير أمتين أو أكثر كأمة واحدة . من أجل ذلك يتضح أن عالم جبر أساء إلى قضيته كل الاساءة لما لم يستخدم الاختاء الإسلامي بينه وبين المسلمين الشيعة بل حاربهم فأضعفهم وشتت شملهم وأضعف نفسه وأعطى فرصة للمهارات أن تتقوى به عليه إلى أن صارت من القوى التي ساهمت أكبر مساهمة في هدم الحكم الإسلامي بالهند وكيف لا يكون الأمر كذلك وكان في الوقت الذي يضم فيه سيفاجي شتات الهندوس وبخاق منهم قوة كان جاي سنج الهندوسي قائداً في الجيش المغولي الذي يقاتل به المغول مسلمين آخرين في بيجابور وجولكندا حتى أنه وصل إلى عاصمة المملكة الأولى بينما قواد هذه المملكة صاروا يحتلون أرضاً مغولية ويتلفون كل شيء بها حتى صيروها خراباً بينما تحول مريق منهم إلى محاربة الراحا والقضاء على أمتعته ومؤنثته وتسميم الآبار وقطع الأشجار وهدم المباني التي يعسكر بها حتى لم يبق منزل ولا حديقة الا وتناولتها القووس بالهدم وحولتها إلى أنقاض مجاورة للقلعة ومما زاد الموقف حرجاً أن أحد الأغوات من جيش الملك عادل ( حاكم بيجابور ) عاد بستة آلاف فارس بينما أمده قطب الملك بخمسة وعشرين ألف جندي ، فلما خرج بعض الجنود المغولية للاحتطاب وجمع الأعشاب للدواب قابلتهم هذه الامدادات واسرتهم وبدأ جيش

المغول يشعر بالمجاعة بسبب ما يحيط به من خراب وتدمير مما اضطر جاي سنج الى التقهر واستدعى الامبراطور هذا القائد ومساعدته ويلد خان بسبب فشلها وأرسل ابنه معظم ليكون واليا على الديكان ، وجزونت سنج مساعداً له وكان هذا التغيير في صالح سيفاجى الذى بدأ يظهر ثانيا وقد ادعى أنه يحارب باسم ملك جولكندا الذى لغفلته أمدته بالأسلحة والمدافع بينما كان فى الواقع يعمل لحسابه الخص مستغلا الخلافات الواقعة بين الملكين المسلمين ووجود حرب طاحنة بينهما وكانت عواطف جزونت سنج معه سرا بخلاف جاي سنج الذى سلك طريقا مستقيما فى خدمة المغول ، ورأى معظم خان أن يسترضى سيفاجى ففتح رتبة راجا ووهب ابنه أملاكا فى بيرار ، وقد فهم سيفاجى العرض من هذه المعاملة ورجح أنهم يريدون ايقاعه فى الفخ فأتخذ حذره ولذا نشط فى بناء القلاع وزيادة الجند ولما تم استعداده قفل الطرق الموصلة لقلعته ولم يترك الا طريقا واحدا ، ثم بدأ حروبه بمهاجمة سورات واغتصب كل ما فيها حتى متاع أمير من أمراء ماوراء النهر كان عائدا من الحج بمكة ، وكانت هذه نقطة حساسة جدا عند عالم جير اذ الاساءة الى أتباعه فى أداء فريضة الحج أمر لا يحتمل عنده وظهر غضبه فى جزونت سنج قائده هناك إذ عزله (لأنه هندوسى) وعين بعده خان جهان بهادر وكان فى هذا الوقت احتل سيفاجى جنجيرا إذ حوصر هناك فتح خان ولم تصله مساعدة من جيرانه من مملكة بيجابور اذ كان ملكها مات وقتئذ ، وترك على العرش ولده الصغير اسكندر وسنه خمس سنوات وانقسمت الأحزاب هناك على بعضها فزادت المملكة ضعفا حتى قربت من آخر أيامها .

وفى الشمال أعلق عالم جير المعاهد الدينية الهندوسية فى بنارس وهدم معبد شناه فى سنة ١٦٦٩ وعلى أنقاضه بنى مسجد أورنگ وصارت واجهة المدينة لا يظهر فيها إلا مساجد المسلمين لا معابد الهندوس ، ثم إنه هدم فيما بعد معبد



مترا فأساءت هذه الخطة الى راجاوات الهندوس وتولدت من يومها روح الانتقام لدينهم والتنكر للحكم الاسلامي ، ومما زاد في سخطهم على عالم جير إرغامهم على دفع الجزية وكان لهم من هذه الناحية عذر قوى اذ أن الوقت الذي كان فيه يفرض الحكام الجزية على غير المسلمين كانت له مبرراته اذ أن جيشهم كان قاصرا على العنصر الاسلامي فقط ، أما وقد أصبحت العناصر الاخرى تندمج في صفوف المسلمين وتحارب حربيهم وتسالم سلمهم فانه لم يعد يوجد مبرر لفرض الجزية خصوصا وقد صار أ كفا جزء وأ كبر جزء في جيش المغول من عساكر الراجبوت .

وفي اليوم الذي أعلن فيه اعادة الجزية والبدء في تحصيلها قامت قيامة الهندوس واحتشدت جموعهم في الفضاء الواقع بين السراي والجامع وصاروا يتظلمون ويطلبون من الملك انصافهم وكانوا خليطا من التجار والصناع والعمال حتى غصى بهم السكان وتعمر المرور رغما عن الأوامر التي صدرت لهم بالتفرق وصار من المستحيل على عالم جير أن يصل الى المسجد وفي كل لحظة صار العدد يتزايد حتى تعطلت أداة نظام الحكم وصار الجند لا يستطيع تنفيذ الأوامر وفي النهاية صدر الأمر باخراج فرقة من الأفيال لتوجيهها ضد الجموع المحتشدة وتساقط الكثيرون تحت الأفيال فدهستهم واستمر الهندوس عدة أيام على هذا المنوال يتجمعون أمام السراي ويحتجون إلا أنهم تحت ضغط القوة اضطروا في النهاية الى دفع الجزية فرادت في استيائهم ومما جعل الاستياء يصل الى قمته اتفاق موت جزونت في هذا الوقت ( جزونت والى كابل ) فظن الهندوس أن الملك دس له السم وصارت يثباتهم في هم وحزن ودخل عليهم بسبب عجزهم عن الدفاع عن معتقداتهم الدينية وأسكتت أجراس معابدهم وطبوها ، وكثير منهم اعتنق الدين الاسلامي تحت تأثير الضغط وتاريخ صدور الأمر باعادة الجزية كان

سنة ١٦٨٠ ، وكان سيفاجى على رأس المناوئين لعالم جير وأخطروهم شأنا ، وكان بعد دخوله ميناء جنجيرا قد ناوأه فيها بعض الأشراف ولكن ظهر له خصم أقوى وأخطر فى شخص والى بمباى والذى انتقلت مدينته من حكم البرتغال الى حكم الانجليز حيث أخذوها كهر لسكاترين أميرة براجنزا بمناسبة زواجها لشارل الثانى وقد احتج هذا والى الانجليزى لاعتدائها على أملاك الفاوريات الانجليزية وأصر على أن تقدم له تعويضات عن الخسائر بالرغم من أن سيفاجى أنكر هذا الاعتداء إلا أنه رضى فى النهاية ودفع التعويض المتفق عليه وقد جلس سيفاجى على عرش راججار وصار يحمل لقب راجا ، وحضر الاحتفال بجلوسه بعض الانجليز الذين كان بهمهم توسيع هوة الخلاف بين الهندوس والمسلمين ليستفيدوا من هذا الظرف وعند تولى سيفاجى الحكم بدأ بمنح ألقابا لأعوانه تقليدا لحكومة دلهى ولكى يظهر لنفسه شأنا كبيرا ، ومضى سيفاجى الستة السنين الباقية من عمره فى حروب مستمرة ، وكان ينافس حكومة المغول فى مملكة بيجابور اذ كان يحاول امتلاكها مثل عالم جير والذى أطال دفاع بيجابور متانة حصون عاصمتها وكانت جوالسكندا فى هذا الوقت أقوى قليلا من جارتها بيجابور وقد عقد سيفاجى معها محالفة ضد عالم جير وكان من الزعماء المجاورين لسيفاجى أمير هندوسى اسمه قنكاجى ، وهذا الأخير اعتدى على بعض رجال الزعيم وسلمهم فأرسل اليه سيفاجى خطاب عتاب بين له فيه خطاه وكيف أنه جعل الهندوس يتنازعون مع اخوانهم فى الدين ويسلبون متاعهم ، فاثرت فيه المكاتبه وأسف على ما كان منه ورد كل ما اعتصبه سابقا مما كان دليلا على ما صار لسيفاجى من المكانة التى صارت تنمو شيئا فشيئا الى أن بدأ يرفع السيف للمطالبة بحقوق الهندوس ويحض طائفتهم على بذل التضحية فى سبيل قضيتهم العامة ولقد أرسل خطايا ، الى أحد أصدقائه يستطيع

الانسان أن يفهم من خلاله شعوره نحو قضية الهندوس وقد قال فيه ، « لم تصلني أخبارك لمدة طويلة ، لذلك أجد نفسي مشغول البال وقد أخبرني أحد أصدقائك أنه يشاهد أنك صرت كسيف البال لا تهتم بشؤون نفسك ولا تقيم أى الحفلات الدينية وقد أصبح جندك عاطلا ولا توجه أى التفات الى مصالحك العامة حتى كدت تصبح ناسكا ولا تفكر الا فى الانقطاع الى أبعد الأماكن المقدسة وتجعل وقتك يقطعك وبما أن حالتك تهمنى كثيرا ، لذلك أرانى فى دهشة من أنك لا تتخذ والى قدوة وتتذكر كيف أنه صادم وتغلب على كل المتاعب وقام بأعمال عظيمة وتلافى كل الأخطار الداهية بروح وعزم وأحرز شهرة استطاع أن يحافظ عليها لآخر أيامه وكل ما عمله فهو معروف لديك وقد اختلطت به كثيرا واستفدت من حكمته وقدرته وملكك تذكر أيضا موقفى الذى أنا فيه الآن وكيف خضت الأخطار وكونت مملكة فهل بعد كل هذه الأمتلة يجوز أن تسلك مسلك المتقاعد وتطلق أمور الدنيا وتنقلب زاهدا فتنحى عن ادارة أملاكك لأشخاص يبتلعونها فتسبى الى نفسك وأى حكمة أو عقل فى خطتك هذه والى أى نهاية تسوقك فخذ نصيحتى وانتفع بها ولا تصبح زاهدا واترك التواكل ونظم وقتك جيدا وباشر أمور دينك ولا تهمل ما يؤدى الى راحتك وأنظر الى أعمال قومك والى نظام جيشك والتفت الى الأمور العامة فى موقفك الحالى وأفرض على من حولك واجبات يؤدونها وأجر وراء ما فيه حسن سمعتك وشهرتك ، وكما أكون سعيدا لو سمعت الثناء عنك قريبا وبجانبك بقديت وهو ليس غريبا عنك فاستشره فى كل ما غمض عليك من الأمور واستجده كشخصى وقد وضعت كل ثقى فيه فضع أنت كل ثقتك فيه أيضاً ولا تسكن مترددا ولا تدع الفرصة تفلت منك دون الاستفادة من كل ما حولك وخصوصا جيشك وهذا وقت التقدم الى الأعمال العظيمة فلم اليها قبل أن تصيبك الشيخوخة وهى سن

التقاعد والزهد فتيقظ — وتحرك — ودعنى أرى ما ستفعل — ولماذا أطيل  
الكتابة لك وأنت رجل عاقل ؟ » .

ولا يمكن أن يقرأ أحد هذا الكتاب الا ويجد فيه ما يدل على روح  
عالية وحكمة سامية . وقد مات سيفاجى بعد كتابة هذا بزمان قصير . ولا يمكن  
لرجل آخر أن يصعد بأمة الماهرات بنفس الصفات البارزة في تاريخ سيفاجى اذ كانت  
كلها سلسلة من المباغطات والسطو والسلب والنهب والهجوم والفرار المقرون بأعمال  
شيطانية وشجاعة جنونية وغدر فظيع ولو كان سيفاجى متصفا بهذه الصفات  
فقط ما استطاع النهوض بشعبه معها ساعده الزمن والظروف اذ أن هذا لا يكفي  
ولا ينفع لتسكين رجل عظيم بل لابد من وجود صفات وكفاءات نادرة حتى  
يصل الى ما وصل اليه والذي يريد أن يفهم حقيقة هذا الرجل فعليه معرفة  
الوسائل التى اتبعها فى حكمه فقد كانت سرا من أسرار عظمتة وقد كان أهم  
ما اتصف به العدل التام بين أعوانه .

أما فى الخارج فكان سيفاجى أسوأ مثل فى طباعه بينما كان فى داخل  
بلاده المثل الأعلى فى العدل والتنظيم وكان جيشه مدربا خيرا وتدريب وكل جندى  
مثلا للطاعة والأمانة والاخلاص لرئيسه وكان قلم مخابراته السرية لا تخفى عليه  
خافية ولم يسمح للنساء بالاختلاط مع الجند خلافا للمفول وكان أول اهتمام  
لسيفاجى منحصر فى جيشه فقد أعطى لكل واحد منهم أرضا بجانب الحصن  
أو الجهة التى يدافع عنها أو يقيم بها ، وذلك ليعيش منها أبناء الجند ونساءهم  
ومنع اعطاء أى قرية التزاما لموظف اذ كان يعتبر هذا النظام شديدا للضرر  
والخطر على الفلاحين فكان يصرف للمهايا نقدا وكان يحصل خمس الإيرادات  
كضرائب ويعرف بذلك الفلاح تماما ما سيدفع وكان من إيراداته الثابتة ما يأتى  
من ضياعه الخاصة والسطو على جيرانه وعلى القوافل فى الطرق العامة اذ كان



يعتدى على كل عابر طريق غير ماهراتى ولقد كان المؤرخون المسلمون يكرهون سيفاجى الا أنهم اعترفوا له بمحافظته على شرف كل من حكمهم وكان يثار على السطو على القوافل لكنه لم يمس الى النساء والأطفال الذين يقعون في أسره وكان كل من خالفه في ذلك ينزل به عقابا صارما وصدور هذا المسلك من مثله يعتبر عجيبا لما اشتهر به من الصفات السيئة .

أما المؤرخون الهندوس فقد نسبوا غلطاته الى الزمن إذ قالوا ان هذه العيوب كانت شائعة بين الجميع في زمنه ، وسيفاجى أول من سلك الطريق الذى أنهك به قوى المغول وأضعفهم وسيبقى اسمه خالدا ومشهورا في الشرق ولو أن مثله عاش في عهد الملك أكبر لاستغل مواهبه كضابط عظيم أو ادارى خبير وبدل أن يكون آفة في بلدة يصبح نعمة لها ( وقد يكون بعض الظن إنمّا )

وقد صار هذا الرجل آفة لحكومة دلهى في حياته وبعد مماته عاشت مبادؤه وقام بعده ابنه سمبهاجى وكان شابا طائشا لم يرث من صفات أبيه غير شجاعة جنونية مما أعاد الراحة الى حكومة دلهى وجعلها تسترد مكائنها وتعيد سلطتها على اديكان ومكناها من أن تتفرغ مؤقتا الى الهندستان الشمالية التى كان يعتبر جزوت من أكبر الشخصيات الحاكمة بها وكان يقيم بكابل ، فلما مات بقرب حصن آتوك صممت زوجته أن تحرق نفسها يوم وفاته عملا بموائد الهندوس ولكنها كانت حاملا بسبعة أشهر فنعت عن ذلك بالقوة وتقدمت زوجته الأخرى وسبع من جواريه وحرقن أنفسهن ، ولما ولدت زوجته الأولى غلاما لم ترد أن تبقى بعد زوجها رغما عن وجود رضيع لديها مفروض عليها العناية به فحرقت نفسها ، ولما قام بعض رجال أبيه بارسال المولود ( واسمه آجت سنج ) الى الراجپوت كانت قد صدرت أوامر الى الحرس بمنعهم من قتل الطفل لكنهم توصلوا الى غايتهم بمساعدة بعض المخلصين لأبيه من المسلمين واعترضهم الحرس مرة أخرى عند

دلهي ولكنه هرب في سلة بعد ما جرت الدماء في شوارع دلهي بين جنود  
الراجبوت والمغول من أجل نهرييه ووصلوا بالطفل الى تلال راجبوتانا التي كان  
من الصعب الوصول اليها ورى هناك ، ورفض عالم جير الاعتراف بهذا الطفل  
كابن شرعى لأبيه ولكن الراجبوت فيما بينهم اعترفوا بصحة المولد وزوجوه فيما  
بعد لأميرة أودايبور الصغيرة ، وكان عالم جير يود أن يستبقه عنده رهينة لينج  
عشيرته من الثورة اذا فكروا فيها ، فلما تمده في ذلك أخذ المدة لاختصاصهم  
له نهائياً فجمع جيشاً كبيراً من كل أنحاء الامبراطورية ليقضى على خصومتهم  
العنيدة وكان راج سنج زعيماً لميوار التي كانت تعتبر مركز قوى الراجبوت وحضر  
جيش عالم جير واشتبك معه قسم من الراجبوت من الذين عقدوا النية  
في سبيل الدفاع عن بلادهم ولكنهم انهزموا وكانت الموقعة في سهل ، فدخل  
بعدها الأمير أكبر مع قائد آخر من خلال التلال الى سهل آخر توجد فيه  
مدينة ميوار فلم يتعرض أى شخص للجيش كما أن كل الأهالى بقيت في أماكنها  
حتى أنه لم ير أحدا منهم فمسكراً أكبر هناك ولكن على حين فجأة وفي يوم عيد  
وكان بعض جنده يصلى والبعض الآخر يتزاور ويلهو بأشياء متنوعة باغته ولى  
عهد ميوار فتشتت جيش المغول ، ولم يتمكن أن يشق له طريقاً لوعورة الجبال  
ولم يسمح له بالخروج الا بعد أن أعطى وعداً بأن لا يعود الى محاربة الراجبوت  
وفي الوقت نفسه تشتت جيش مغولى آخر كان اخترق المرتفعات ونزل الى السهل  
نجدة لأكبر وتخليصا له من ورطته وهذا الانتصار بعث في الراجبوت حماساً  
جعلهم يهاجمون جيش عالم جير نفسه ، وبعد قتال شديد اضطره أيضاً أن  
يتقهقر وأخذوا علماء امبراطوريا وقيلة ومركبات ملكية كثيرة وفي الوقت ذاته  
سيطرت جيوش الراجبوت على ولايتى راجبوتانا وملوا وأخذوا قضاة المسلمين  
وحلقوا ذقونهم وجمعوا نسخ القرآن ورموها في الآبار مما اضطر عالم جير الى

استدعاء جيش معظم خان من الديكان ولكن هذا الجيش لم ينقذ الموقف ولم يثبت أمام الراجبوت ففرم انتصارهم وفكروا أن الوقت قد حان للذهاب الى دلهي وامتلاكها وكانت مثل هذه الافكار تساور الراجبوت وفكروا في تنفيذها أيام بارشاه وأن يضعوا أميراً هندوسياً فوق عرشها ، أما الآن فكانوا يفكرون في أن يختاروا للعرش أميراً مسلماً غير متعصب ، وعرضوا هذا على معظم خان ورفضه وقد خامر والده الشك فيه وأرسل يستدعيه فحضر طائفاً فذهب عنه شكه ، ولكن ابنه أكبر كان بعكس أخيه ووقع تحت غواية الراجبوت وسار في نفس الخطة واندفع وراء نفس الغرض الذي كان عند الوالد نحو أبيه شاه جهان ، وعلى أثر ذلك هجر أكبر جيش أبيه ووضع نفسه قائداً على جيوش الراجبوت وذكر كافي خان أن الأمير أكبر انتدب طهاور خان وهو من أتباعه للتوجه الى عالم جير بمطالب من قبله فذهب ومعه بعض حرسه قاصداً خيام الملك فلما وصلها طلب معه أن يتجرد عن سلاحه فلما رفض اشتعل الملك غيظاً ومسك سيفه في يده وأمر بادخاله واتفق أن أحد الحاشية تجامر ووضع يده على جسم طهاور تعرضاً له فعد هذا إهانة وضرب هذا الموظف في وجهه بقبضته وتراجع الى الوراء فتعثر في جبل من جبال الخيام ووقع فعلاً الصياح من كل ناحية بضربه وذبحه فانكب عليه الكثيرون وقتلوه ووجد بعد قتله أنه كان لابساً درعاً تحت ثيابه .

لم يكن لدى الأمير أكبر مهارة والده أودهاء وقد ابتكر عالم جير طريقة خداع في افساد خطته فأرسل اليه خطاباً يفهم القاريء من عبارته أنه على وثام مع والده وكلف أحد السعاة أن يتوجه بالخطاب اليه وأن يثير في طريقه شكوك الراجبوت نحوه فيفتشونه حتى اذا وجدوا الخطاب وقرأوه استنتجوا من عبارته نواظراً كبير مع أبيه عليهم ولما سار الساعي في طريقه وقابله أحد الضباط الراجبوت اشتبه في أمره وفتشه

فثر على الخطاب وقرأه وقامت قيامة الراجبوت على أكبر الذي صار يتنصل من  
أى اتفاق فلم يصدقه الا القليل وانقسمت القوة على نفسها ورأى أكبر أن قضيته  
أصبحت خاسرة فركب سفينة انجليزية وفر الى مسقط ومنها الى بلاد ايران حيث  
أقام هناك ومات قبل أبيه بمدة قصيرة ، ولم يشأ عالم جبر أن يحاول مالم ينجح فيه  
ملك آخر قبله وهو اخضاع الراجبوت تماما فعقد محالفة بموجبها أعاد لهم مدينة  
شيتور والأماكن الأخرى التي احتلها ، وتعهد أن لا يهدم معابدهم على أن ما هدم  
منها لا يجوز لهم تجديده وأهمل ذكر الجزية وهم أيضا لم يدفعوها فيما بعد للمعاهدة  
وحينما انتهى من الراجبوت حول وجهه نحو جولاكندا وبيجاپور في سنة ١٧٨١  
ومما دفعه نحو هذه الجهة ثقته أن ابنه أكبر اتجه الى هناك وثانيا لأن سمبهاجى بن  
سيفاجى اعتدى على بعض أملاك الامبراطورية عند مدينة برهان پور وكان قائد  
الغول فى الديكان هو جهان خان واشتهر بالرشوة والضعف فلما ذهب ليقطع على  
سمبهاجى خط الرجعة تباطأ ، ولما حانت له الفرصة لم يشأ انتهازا مما أنزل عليه  
غضب عالم حير حتى أنه جرده من رتبته ووصل الملك الى مدينة برهان پور سنة  
١٦٨٢ ومن هذا التاريخ الى نهاية حياته كان يصرف وقته خارج المدن فى معسكرات  
وكان معسكره متسع المساحة لا يقل فى حجمه عن مدينة متوسطة ، وكان يقيم فيه  
الامبراطور وحرمة الأشراف الذين يلزمونه وعائلاتهم وبطانة الامبراطور وحرسه  
وعليه فقد أقام الامبراطور وقتا أعاد الى ولاته فى الديكان نشاطهم فبعد تباطئهم  
فى تحصيل الضرائب تغيّرت أطوارهم وصاروا يعملون بنشاط وهمّة ، ثم وجه  
الامبراطور نظره الى حصن سالىر فى كوناكان على مقربة من البحر وهذه المنطقة  
لم تكن بها الأقوات الكافية فأت الكثير من الخيل وجمال الجيش ، حتى ان  
الأمير أعظم اضطر أن يمشى على رجله ، وصارت حياة الجند هناك لا تطاق مما  
اضطروا الى الانسحاب وذهبت قوة وجاءت قوات لاحتلال هذا الحصن واخضاعه



فلم تنجح ، ولكن حيث فشلت الجيوش نجحت المفاوضات وسلمت ساليرومن  
المسائل الجديرة بالذكر ما قام به سمهاجي من مهاجمة الانجليز والبرتغال في  
أملاكهم ومحاولة البرتغاليين مهاجمته ثم اضطرارهم الى التراجع بخسائر فادحة ،  
حيث تركوا كل مدافعهم ومستودعاتهم وخيامهم غنيمة في يد سمهاجي ودامت  
الحروب بينه وبينهم عدة سنين وكانت الغلبة له غالبا عليهم ، وكثيراً ما هاجم  
أملاكهم ولكن قوته لم تكن كافية لاجلائهم جلاء تاماً واستمر عالم جير يعد العدة  
لاحتلال بيجابور وجولكندا لاعتيادهما مساعدة الماهراتا ضده ، وقبل أن يبدأ في  
قتال ملك جولكندا أرسل له رسالة طلب بها متأخرات الضرائب الباقية عليه  
وفي حالة عدم القدرة على دفعها يرسل بدلها ماستين لها شهرة عنده ، وجاء الرد  
بالرفض فزحفت جيوش المغول على هذه المملكة وتولى القيادة الأمير معظم  
وجهان خان ولم يتقدم الجيش الا تقدماً جزئياً ، وطلب القائدان مدداً فلم يصلها  
ففاوضا حكومة جولكندا في ايقاف الحرب مقابل تسليمها لبعض أملاكها الواقعة  
على الشاطئ الشرقي ، فجاء الرد بأن هذه الأملاك أخذت بحمد السيف وأسنة الرماح  
ولا زالت جولكندا على استعداد للدفاع عنها بنفس السيوف والرماح فاشتعلت  
الحرب ثانية وتراجعت جنود هذه المملكة الى مدينة جولكندا وكان ملكها  
يسى الفن في اخلاص قائد جيشه محمد ابراهيم فحاول القبض عليه فانضم الى  
جيش الامبراطور ، ولما علم ملكه بخبره فر الى القلعة وحينما اشتهر هذا الأمر  
هجمت جيوش المغول والجاهير على مخازن أبي الحسن الملك وعلى أمتعته وأمتعة بعض  
رعاياءه وكان شقاء السكان عظيماً ، حيث هرب الكثيرون بنسائهم ولم يتمكنوا  
من أخذ أرزاقهم معهم . وقبل طلوع الفجر وصل جيش المغول الى القلعة وهاجمها  
ويقول المؤرخ ان مصاب هذا المكان يجل عن الوصف فكثير من أملاك أبي  
الحسن وجواهره وفرشه وكل ثمين لديه ذهب نهبا وأما شقاء نساء المسلمين

وأطفئهم فكان يدمى القلوب ولما رأى ذلك الأمير شاه عالم بن عالم جبر أمر ضباطه  
بإيقافها فوراً فعملوا كل ما في وسعهم ولسكنهم لم يستطيعوا أحداث التأثير المطلوب  
ورجا الملك المهزوم في عقد الصلح حيث تم في سنة ١٦٨٦ وكانت شروطه قاسية  
إذ سلم أراضي الساحل الشرقي وفرضت عليه غرامة مالية فادحة وطلب منه  
تسليم وزرائه الهندوس كما فرض عليه أن يتوجه إلى عالم جبر ويطلب عفوه  
وصفحه ، واتضح أن الشرط الخاص بتسليم الوزراء الهندوس لم يكن لازماً إذ  
قتلوا أثناء الاضطرابات . ولما تم إخضاع جولكندا تحولت الجيوش إلى بيجابور  
فلم تجد مقاومة إلا عند العاصمة وكانت شديدة مما اضطر الجيش إلى التراجع  
خصوصاً وإن المهاراتا وجدوا في ذلك فرصة سانحة لهم فهاجموا أملاك المغول  
واحتلوا برهان بور في نفس سنة ١٦٨٦ . وتقدم جيش أعظم ثانياً ولسكن قوة  
من جيوش بيجابور حالت بينه وبين معسكره ولم يمكن تخليصه إلا بصعوبة  
وبمساعدة نظام الملك ، الذي سر منه عالم جبر لدرجة أن قدم له الشكر مراراً  
للخدمات الجليلة التي أداها ، وتجمعت جيوش المغول ثانية وانضمت لها بعض  
القوات من جولكندا وانضم اليهم أيضاً عالم جبر بنفسه ولسكن حرس المدينة  
أظهر رجولة فائقة إلا أنها لم تدم أمام هذه الجيوش المتدفقة فسلمت الحامية وسجن  
الملك الصغير ولبث في سجنه ثلاث سنين مات على أثرها ، وبما ذكره مؤرخو  
المهاراتا عن حالة مدينة بيجابور أنها لم تعد عاصمة للمملكة وهجرها سكانها وقد  
كانت حيطانها من صخر منحوت وعلى ارتفاع شاهق ، ولا زالت إلى يومنا هذا  
باقية على حالها ، ولا زالت قبابها ومآذنها موجودة وبعض مبانيها العامة ، ويمكن  
مشاهدتها من الخارج . ولسكن من يدخل المدينة لا يجد إلا وحشة وسكوناً  
وقفراً ولا رال الخندق العميق والأبراج وانقاض السرايات الكبيرة والقلعة  
تشهد بسابق عظمة هذه المملكة ، ومن أشهر مبانيها المسجد ومقبرة إبراهيم عادل

شاه ، وهى وان كانت خالية من الزينة فهى تملأ عين الناظر بمنظر العظمة  
الحزينة وكثير من علماء الآثار اعتبر مباني بيجابور الأثرية أرقى من أى مبان  
أخرى فى أوروبا مع العلم بأن جو هذه المدينة من الأجواء التى لا تعمر فيها المباني  
طويلا بل يسرع اليها الفساد وقد بلغ من شدة تقدير الحكومة الانجليزية لهذه  
الآثار الاسلامية ما دفع اللورد كرزون والى الهند سابقا الى المحافظة عليها  
والعناية بها .

وجاء دور جولكندا ثانيا فان عالم جبر شدد على أبى الحسن كثيرا  
اذ كان يثقته وأثبت كافى خان المؤرخ خطابا أرسله الأمبراطور عن أبى الحسن  
الى بعض الأمراء فقال فيه ، « ان الأعمال السيئة لهذا الرجل الخبيث تفوق  
حدود الوصف ولكن اذا ذكرنا واحدا من مئة منها وسردنا القليل من كثيرها  
فيمكن أن نكون عنه بعض رأى وهذا الرجل بدأ فوضع مقاليد الحكم فى يد  
بعض الكفرة المستبدين فظلموا وأهانوا الأشراف والشيخ وأولياء المسلمين  
وانقطع مدحهم الى الفجور وانغمس فى الدعارة وغرق فى بحر المسكرات والخبائث  
ليلا ونهارا وصار لا يميز بين مسلم وكافر ولا بين الظلم والعدل ولا الصلاح أو  
الفجور ويثير الحروب فى سبيل الدفاع عن الكفار ولم يأنم بأوامر الله ولم ينته  
بنواهيه خصوصا تأييد الكافرين ضد أمته واستهتاره بكتاب الله أمام الله  
والناس ولم تفده النصائح ولم تجد معه التخديرات المتكررة التى أرسلت اليه وكان  
على عكس ذلك يرسل مئات الآلاف من النقود الى الماهراتا اعانة لهم ضدنا  
وظل يتخبط فى غفلاته ووقاحته حتى ضمن لنفسه سوء الحال والمآل » وقد حصن  
مدينته تحصينا شديدا ولكن حصارها لم يمكث أكثر من شهر واحد فى خلاله  
وقع الأمير معظم تحت شك أبيه ولكن لما امتدعاه ومع أنه ذهب اليه طائعا  
قبض عليه وعلى كل ما تحت يده وكان سبب هذه المعاملة القاسية سعيه لى

الامبراطور في الحصول لأبي الحسن على شروط سهلة مخففة أثارت الظن عند والده فحجزه لمدة ست سنوات ثم أرسل الى كابل حاكماً حيث أقام بعيداً عن والده طول حكمه ومع ما شاهده عالم جير بنفسه من المجاعة الشديدة التي قاساها الجيش لم يجد ذلك سبباً كافياً يشفع لابنه الذي عومل هذه المعاملة وقد دافع أبو الحسن عن المدينة دفاعاً مجيداً حتى أن كل محاولة حاولها المغول أفسدها عليهم ولم يتمكن منها جيشه وقد نسف الجند الامبراطوري بعض الحصون فهذا القسم الذي نسفه عاد ضرره على المحاصرين أكثر من المحصورين وإنما وقعت خيانة من بعض ضباط الحامية وتسلبوا من المدينة واحداً بعد واحد وانضموا الى عالم جير فكان ذلك سبباً لسقوط هذا الحصن وانتهى كل شيء وسلم أبو الحسن دون أن يطأ طيء رأسه خضوعاً وحافظ على عظمته وأرسل هذا الملك المنوع الى دولت آباد أسيراً وتغيرت العاصمة وصار اسمها حيدر آباد بالقرب من العاصمة السابقة وجلس على عرشها عائلة جديدة ومن هذا العهد خضعت مملكتا الجنوب الى المغول ولكن كان بهما نحو مئة إمارة صغيرة من الامارات المستقلة وأخذت هذه وقتاً طويلاً حتى تم خضوعها ولم يكن انقياد الجنوب تاماً كالبنجاب أو ولاية أودا في الشمال حتى ولا كالبنغال أو بيرار و بقيت بلاد الماهراتا كشوكة في جانب الامبراطورية ولكن عالم جير كان مخدوعاً في حقيقة أمرها إذ اعتبر أن أهلها كفيران الجبال وأجل الاهتمام بأمرهم الى حين الانتهاء من مملكة بيجابور ولكن كان تقديره بعيداً كل البعد عن الصواب وقدّر لفيران الجبال هؤلاء فيما بعد أن خاضوا عدة حروب دامية زعزعت امبراطورية هندستان الكبيرة وصيرتها في حالة فوضى وخراب ولم ينقذ الهند من أن تصبح ماهراتية فيما بعد الا عنصر أجنبي عن الهند وهم الأفغان والشاه أحمد عبدلي ملكهم والانجليز فيما بعد الذين قضوا على أحلام الماهراتا وكان الماهراتا متغلبين



في كل شدة ون عالم جبر بواسطة دعائهم الذين يعملون في الخفاء وكثيرا ما لجأوا الى وسائل الرشوة فأفسدوا بها خلق الضباط في الجيش والحكام في الولايات وقد نظموا لهم عصابات في أغرب أجزاء الامبراطورية وأطعموها للسلب والنهب ونشروا بها الفوضى في طول البلاد وعرضها وأزكى البراهمة روح الخلاف بين العائلات الاسلامية لأنهم كانوا ينوبون عنهم في مباشرة أعمالهم فزادوا في ارتباطات المجتمع الهندوسي وتسلط لصوص الماهراتا على ضياع كبار الملاك وصغارهم من المسلمين في الجنوب حتى صاروا يشكون من الجوع ونقص الأرزاق وغرسوا فسادهم في كل مكان وحالة كهذه لا يمكن أن تؤدي الا الى ضياع الامبراطورية وقد كان إذ تزعزت أركانها وكانت تسير بخطى سريعة الى طريق الزوال — وكان يظن أولا أن حركة الماهراتا وحكومتهم لن تعيش طويلا بالنظر الى فساد أخلاق زعيمها وانحطاط ابنه سمبهاجي بعده وانحطاط أخلاق وكييله كالوشاه البرهمي ، ولم يكن باقى رؤساء الماهراتا الا من نوع زعيمهم وابنه في الخلق الأدنى. ولما قرأ ما كتبه كافى خان عنهم إذ روى أنه بينما كان يقيم عند صديق له اسمه عبد الرزاق على مقربة من حصن بناء سيفاجى كان يسمع من الناس حوله تقول أن سيفاجى وإن كان كافرا وثائرا فإنه كان رجلا عاقلا ، وقد كانت البلاد حولنا أشبه بالجحيم لأنها جبلية وحجرية وفي فصل الصيف تقل المياه كثيرا وتسبب متاعب جمّة للسكان فحفر سيفاجى بئرا على مقربة من محل اقامته وأحاطه بمحاجر ووضع بجانبه حجرا للجلوس عليه وسار يأتى الى البئر ويجلس على الحجر حين كان النساء يقبلن لأخذ الماء فيكلمن بنوع الأدب الذى يراعيه مع أمه وشقيقاته ثم يعطى أولادهن جانبا من الفاكهة والحلوى ويلاحظهم مما جذب اليه القلوب فلما آل الحكم الى ابنه سمبهاجي صار يأتى الى البئر وبدلا من أن يحسن الى الأطفال ويلاطفهم صار يمزح مع النساء ويفازهن فيقبل واحدة

أوبضع يده على خصر أخرى فلم تعد امرأة مقبولة الشكل تقبل على البئر إلا وتلحقها منه اهانة فاستاء مزارعوه وهجروا موطنهم وقصدوا مزارع الأفرنج المجاورة له ، وإن أميراً بهذا الخلق غير كفيل بالاحتفاظ بمركز والده ، ومما زاد الحال سوءاً أنه اتصف بخصال أخرى ذميمة ولم ينقذه من هذه السقوط طويلاً إلا انتشار وباء الطاعون الذي حماء من مهاجمة عالم جير لأنه اضطر أن يخلو المدن القريبة من سمهاجي وذهب بعيداً في الخلاء حتى خفت وطأة الوباء وقد أسر سمهاجي بحيلة ماهرة إذ كان من عادة هذا الراجا أن يخرج ومعه وزيره البرهمي في وقت معين إلى مكان يسكر فيه وينصرف إلى اللهو فتربص لها ضابط اسمه مقرب خان ومعه ابنه اخلاص خان وفريق صغير من الجنود البيادة والخيالة وصاروا مستترين لا يشعر بهم أحد حتى باغتوا سمهاجي ووزيره فقبضوا عليهما وعلى ابن سمهاجي ساهو وسنه سبع سنين واشتبكوا هناك في قتال مع حرس صغير فغلبوهم وأتوا بهم أسرى وأحضروا أمام عالم جير في حفلة كافاً فيها ضابطه ورفقائه على عملهم العظيم الجريء وعلى أثر حادث أسر سمهاجي ومن معه . اجتمع رؤساء الماهراتا لينظموا أعمالهم المشتركة في المستقبل ومن بينهم « نيراجي » الشهير وكان ذا رأي سديد ومعه الرجل العملي « سنفاجي » فانتخبوا رئيساً على الماهراتا راجارام الابن الأصغر لسيفاجي واتفق مستشاروه على أن لا يبقى في مكان واحد بل ينتقل من جهة إلى أخرى حتى إذا خيف عليه أرسلوه إلى مدراس البعيدة عن المغول ورعت جميع القلاع وملئت بالمؤون والدخان واقتفيت تعاليم سيفاجي الحربية وقطعت الأعشاب وصار تخزينها في القلعة للخيول وأزيلت كل الأحطاب والحشائش من حول القلاع وجاء جيش المغول وصار يحتل قلعة بعد قلعة ومن بينها قلعة سيفاجي الخاصة « ريجار » وقد وقع الاتفاق بين الماهراتا على اسناد القيادة إلى « رام شندر تنت » وأن ينحى

الراجا رام الى جنجى . ولم يكن وصوله الى هذا المكان سهلا اذ كان يعترضه في طريقه جنود كثيرة ولكنه لبث ثياب كاهن برهمى ووصل ومن معه دون أن يكتشف أمرهم أحد وبمجرد وصوله جلس على العرش وصار يصدر الصكوك والهبات والمنح ويوزع الأراضي لا التي في داخل ملكه فقط بل وفي خارجه أيضا على أعوانه والعطايا التي كانت من هذا النوع لم تكن ذات قيمة في أول أمرها ولكن في النهاية صار لها شأن آخر عند ما أخذوا صكوكا بها أو عند ذريتهم من بعدهم وبدأ عالم جير يستعد في جهاده للهندوس من كل ناحية حتى أنه غير الأسماء الهندوسية وأصدر عدة أوامر ضد هذه الطائفة منها : أنه لا يصرح لأحد منهم أن يركب خيولا عربية أو عربية إلا باذن خاص وان أسماء المدن التي تنتهى عند الهندوس بحرف الهاء يجب أن يزال منها هذا الحرف فمثلا مدينة ملواه تصبح ملواو وبنغاله تصبح بنغالا ، وكانت هذه التصرفات في أواخر أيام عالم جير ومع ذلك كان يباشر كل شئ بنفسه ونظراً لشيخوخته كان ذلك فوق الطاقة من أجل هذا لم يستطع تنفيذ خطته ولم يتقدم فيها كثيرا فانه أرسل جيشا مكث أمام مدينة جنجى سبع سنين دون طائل ، وأما باقى جيوشه فقد وزعها في جهات متفرقة ببلاد الماهراتا ، فصارت تحتل حصنا وراء حصن ثم تعود فتفقد البعض ثم تسترده بعد عناء شديد وتسكب خسائر جسيمة مما جعل الماهراتا يخرجون لمحاربة جيش المغول وجها لوجه وقد جعل عالم جير مركز جيشه العام في مدينة « براهماپورى » على نهر البيا في سنة ١٦٩٨ وبنيت هناك محلة كبيرة وصارت هذه القرية لعدة سنين مركزا لامبراطورية المغول وصارت تخرج منها التجريدات الى جهات مختلفة ولكن بدون نتيجة تستحق الذكر غير مجرد مرور الجيش على الأرض التي يختارها للمسير وصارت كل بلاد الديكاف لا تأمن الماهراتا اذ كانوا يحتاجونها جزءا جزءا ومن حين الى حين وصاروا

يفرضون على الأماكن التي يمرون بها ضريبة (العلوفة) وهي أكل خيل جيشهم  
يضاف اليه مقدارا من النقود وكان كل شيء خارج حكم الماهراتا يتناوله السمار  
والهدم وقد كتب كافى خان المؤرخ وصفا لأعمال سيفاجى فقال ، « ان  
سيفاجى » اشتهر بتخريب العامر من المزارع ومهاجمة كبار قواد المسلمين ولم  
يتقابل مع واحد منهم الا وظفر به قتيلا أو جريحا أو أسيرا واذا صادف وسلم  
أحدهم فانما يكون بحياته فقط مع تضحية جيشه وأمتعته حتى أنه صار اذا هاجم  
مكانا لم يوجد له الضابط الذى كان يجرؤ فيخرج للدفاع عن حوزته وكانت  
الحسائر التي ينزلها بخصومه تزلزلهم من الجزع حتى أن اسمعيل خان وكان يعتبر  
من أشجع ضباط المغول في الديكان لم يقو عليه بل وقع جريحا وأسيرا في أول  
مصادمة حصلت له مع سيفاجى ولم يتمكن من فكك نفسه من الأسر إلا بعد  
أن دفع مبلغا جسيما من المال وكذلك كان الحال مع رسم خان وقد كان يعتبر  
رسم الزمان حيث فاق السباع في شجاعته ومع ذلك هزمه سيفاجى في اقليم  
ستارا وفقد كل ما معه ولم يتخلص الا بدفع مبلغ كبير أيضا وكذلك على مروان  
المشهور بحسينى بج الحيدر أبادى فانه هزم ، ووقع أسيرا ولم يفك من أسره  
إلا بفراصة كبيرة وتوالت الأخبار تباعا على عالم جير بهزيمة قواده وأسره  
فازعجته كثيرا وكان يخاطب الناس بقوله ان المخلوق لا يعمل شيئا وكل شيء  
بيد الله وفي الوقت ذاته بدأ هذا الملك الشيخ حروبه مع الانجليز والبرتغال وكان  
يكره الآخرين كثيرا لمدة أسباب أهمها اكرام المسلمين من رعاياه على اعتناق  
الدين المسيحي ولا متلاكم جزءا كبيرا من مملكة بيجابور السابقة وكانت قوام  
البحرية تتفوق على قوته ولكن الانجليز على عكسهم لم يتدخلوا في المسائل  
الدينية ولم تكن سياستهم وقتها التوسع في داخلية البلاد بل الاكتفاء ببعض  
الثغور البحرية الا أنهم كانوا ملجأ للقرصان الذين يعتدون على مراكز الهندود



وكان الانجليز أنفسهم يحترف بعضهم القرصنة ومما كتبه كافى خان ملاحظته أن ايراد جرك بمباى من التجارة وأهمها جوز الهند والتوابل لم يتجاوز ثلثمئة ألف رويية بينما كل أرباحهم من تجارة وزراعة تقل عن مليونى رويية ولم يكن هذا المقدار بمفرده ليكفى جاليتهم اذ كانت كبيرة العدد ولذا يتسائل كافى « من أين هؤلاء الكفار المبالغ الكبيرة التى يحصلون عليها ؟ » ثم يقول انهم جهزوا مراكب للقرصنة ويسطون بها على السفن التى تقصد رأس الرجاء الصالح وينتظرون الحجاج المسلمين أثناء عودتهم من بيت الله فيسلبون كل ما تقع عليه أيديهم من ذهب وفضة وأشياء ثمينة .

ولم ينكر المؤرخون الانجليز عبارة كافى خان بل اعترفوا أن بعض المجازفين من بحارتهم كانوا يمارسون القرصنة فى بحار الشرق حيث لم تكن للقوانين الدولية رعاية وقتئذ ، حيث أسروا السفينة « جانج سواى » التابعة للامبراطور وهى أكبر مراكبه ، وكانت مبحرة من سورات قاصدة ميناء موكا باليمن . عندئذ طفع الكيل لدى الامبراطور فأمر بالقبض على أصحاب فاوريقاتهم والامتحواذ على نفس الفاوريقات ، فترأخى والى سورات ولم ينفذ هذا الامر كما يجب لما سيكون له من سوء الأثر على ايراد الجمارك التى كان يتقاضى منها ايرادا وافراً وكثير من الموظفين الهنود مصالحهم الخاصة فنفذوا ما فيه المصاحبة للأجانب الأوروبيين على حساب المصالح العامة مما كان له أسوأ الأثر على استقلال الهند السياسى ، بل مما أدى فيما بعد الى خروج الحكم من أيدي الهنود والمفول الذين صاروا هنودا بمضى المدة ولتزوجهم من الهنديات ، حتى انتقل الحكم الى الانجليز ، ولقد كان الأجانب فى أول الأمر تجارا عاديين ، لا بأس لهم ولا قوة ، ولا شأن لهم بالسياسة والحروب فأطمعهم الهنود أنفسهم ووجهوا أنظارهم للناحية السياسية لما استخدموا فريقا منهم فى الجيش وفريقا آخر فى استحضر

الأسلحة ولقد كانت الجاليات الأوروبية قليلة العدد فأخذت تتزايد شيئا فشيئا حتى أن ممباي ضاقت بهم وبنى الانجليز بها قلعة لا ترام وأتقنوا تحصينها ولذلك حينما أمر المغول عماله بالاعتداء عليهم لم يجدوا صفا تاما لأن الانجليز وقفوا في وجههم فحسب الامبراطور لقوتهم حسابا وتغاضى عما صمم عليه أولا وفيما بعد قبل الصلح مع البرتغال نظرا لتعهدهم له بتقديم مدافع قوية لمحاربة الماهراتا بها وكان حصار جنجي قائما على غير هدى وقد أناط بامر « ذا الفقار خان » وابنه الأمير « كوم بكس » وقد انقض عليهما فجأة سمهاجي من الخارج رغبة في تخليص مدينة جنجي أو تخفيف الضغط عنها ثم انه اغتصب مؤونة الجيش وحال دون تموينه وفي الوقت نفسه أشاع اشاعة خبيثة كاذبة وقال أن الامبراطور قد مات فكان أثرها سينا للغاية اذ فكر « كوم بكس » في الاستيلاء على عرش أبيه فدا آنس منه ذلك « ذو الفقار خان » و « والده أسعد » اضطر الى عقد هدنة مع الماهراتا وقد استاء عالم جبر من هذا الخبر وأطلق سراح الأمير إلا أنه لم يرجعه الى قيادة الجيش وأمر القائد باعادة تطويق مدينة جنجي ثانية فلبى الأمر مع كثير من التلكؤ والتراخي كما سبق عادته الا أنها لم تقاوم طويلا وسقطت في سنة ١٦٩٨ وأشيع عن هذا القائد أنه قبل الرشوة من أعداء الامبراطور واستولوا على ذلك مع أن المدينة كان بها مقادير كبيرة من الذهب والفضة والجواهر، وكان يقيم بها أيضا كثير من الراجات ومع ذلك بعد احتلالها اختفى كل ذلك ولم يظهر أثر لا للثروة المكسدة ولا لأغلب الأمراء الهندوس واسكن مما يمدح عليه القائد ذو الفقار أنه أعطى تصريحاً لزوجات رام سنج وأولاده وأسرتهم بالخروج دون تعرض لهم ، فبارحوا المدينة وسافروا بحرا الى بلاد الماهراتا واسكن مع انتصار جيش الامبراطور في هذه الناحية فانه قاسى هزيمة كبرى في ناحية أخرى اذ هاجم الماهراتا بعض ولايات ييجابور فخرج اليهم

أحد القواد هناك (وهو قاسم خان) بجيشه ليضع حدا لاعتداءاتهم على أملاك  
الامبراطورية ، فلما أدركه الخصوم وكاد أن يطوق من كل ناحية لجأ الى حصن  
هناك فدخل فيه بنصف جيشه وبقى النصف الآخر خارج الحصن ووقع الجند  
في مجاعة شديدة ولكن همت خان أسرع لنجدته وكان يقود الماهراتا في هذه  
الموقعة سمهاجى ولكن همت خان هزمه هزيمة شديدة فاضطر الى الفرار وفي  
أثناء مطاردته للماهراتا أصابت قبيلة همت خان قتل في الحال ولما رأى جنده  
ما وقع لقائهم تفرقوا الى كل النواحي وسلم باقي جيش قاسم خان الذى انتحر  
من أجل هزيمته أما باقى أعوانه من الضباط فقد أطلق سراهم بغرامة دفعت  
عنهم وصارت كل أمتعة الجيش المغولى غنيمة فى أيدي الماهراتا وكانت قيمتها  
تقدر بستة ملايين من الروبيات ولم يمش سنتاجى طويلا بعد سقوط حنجهى ،  
ومما يؤثر عنه شدة وفقه فى النظام وافراط فى العقوبة حتى أنه على أصغر هفوة  
كان يأمر بطرح المخطئ على الأرض لتدهسه الفيلة . ولم تكن الماهراتا تحبه بل  
تخافه ، وكان أشدهم كرها له رام منبج لأن شخصيته اختفت أمام شخصية  
سنتاجى البارزة ولم يستطع المغول ايقاع سنتاجى الا بواسطة ناجوجى الماهراتى  
لأن سنتاجى سبق أن قتل أخاه دهسا بأرجل الفيلة ، وقد تتبعه ليأخذ ثأر أخيه  
وذبحه بينما كان يستحم فى نهر صغير بفرده وهو أعزل عن السلاح وحمل رأسه  
ناجوجى الى عالم جير فعفا عنه اذ كان من الثوار وأعاده الى وظيفته السابقة وأخلى  
المغول معسكر براهما بورى حيث دعى الجميع الى الجهاد ( الحرب الدينى ) فتوجهوا  
الى ستارا ، وكان وصولهم اليها فجأة ولكنها قاومت الى سنة ١٧٠٠ ثم سقطت  
وأثناء حصارها ألغىها المجاهدون مرة فتطارت صخرة من سورها وبذل أن تسقط  
داخل الحصن كما كان يظن سقط فوق رؤوس المحاصرين للقاعة فزاد ذلك فى  
غيط عالم جير وهجم بنفسه كما لو كان يبحث عن الموت فيشتريه وأمر أن تجمع

جث القتلى وتوضع فوق بعضها حتى صارت تلا احتفى فيه المجاهدون في وقت  
الافتحام وسلمت ستارا بشروط ؛ ومات دام سنج قبل تسليمها وتولت كبرى زوجاته  
تراياى ولاية العرش وصية عن ابنها القاصر وقد أظهرت هذه السيدة مهارة في  
الحكم فاقت مهارة سمهاجى ورام سنج زوجها وزادت حالة جيش المغول سوءاً  
على سوء وقد حاصروا بعد ستارا حصن « بارلى » وأسقطوه وفاضت الأنهار ،  
وكانت دواب جيش المغول عظاما على جلود وقعدت وسائل النقل  
ولما عبر الجند النهر في حالة فيضانه تناقص حجم الجيش كثيرا بعد العبور لفرق  
عدد كبير من العسكر ومع توالى الصدمات وتتابع النكبات لم يبق عالم جير أمه  
وكان كل جنده وضباطه ينحصر أمهم في موته ولكنه عاش بعد ذلك ست سنين  
لجأ في خلاها الى طريقة جديدة ، اذ صار يساوم قواد حصون الحصوم على مشترى  
ما يديهم من القلاع بالمال فكان من دهائهم أنهم يبيعونها ويننون قلاعا جديدة  
بدلا عنها وأحدث منها وزادت ثروة الماهراتا بينما كانت تتناقص الأموال عند  
المغول ، وقد سعى خصومه لديه أن يطلق سراح ساهو بن سمهاجى الذى سبق  
وقوعه في الأسر ، وبعد أن مال عالم جير الى إجابة ملتسمهم عاد فرفض ذلك في  
النهاية ، ولم يكن هذا الامبراطور مادام فيه عرق ينبض ليترك طريقه القديم وهو  
الاستمرار في الحرب ومباشرة كل عمل بنفسه ، وكل ما وقع في السنين الأخيرة  
كان حصارا يتلو حصارا وربحا في يوم وخسارة في آخر ، وانهازما وانتصارا ،  
فيوما يكسبه الماهراتا ويوما يخمره المغول ، وقد امتلأت الظروف بالخوف فحينما  
يقع سطو وحينما يهرب سكان مدينة ، وفي آونة يشب حريق ، وكانت كل  
أدوار الحياة آلام ومجاعات وفجائع متنوعة واختتم هذا العهد الغريب في سنة ١٧٠٧  
بمدينة أحمد ناجور حيث مات عالم جير عن تسعين عاما وسواء سعدت الهند في  
عده أو شقيت ، علت أو انخفضت ، قويت أو ضعفت فلا يمكن لأى منصف



أن يعادل به ملكا آخر في سمو أخلاقه ، وطهارة نفسه فانه لم يعيش لشهوة ولم يطلب الملك ثروة أو جاه ولا تتمتع نفسه بنعيم هذه الحياة ، بل عاش لعقيدة وعمل من أجلها ومات في سبيلها ، وهذه العقيدة التي سعى لها ، وإن قاست الهند من أجلها أهوالا وخاضت بسببها حربا ، وقعدت رجالا . وبذلت أموالا فإن الدافع لهذا كله كان شريفا عظيما ، وهو سعيه في نشر الدين الذي يصدق فيه ويؤمن به لهذا كله كان شريفا عظيما . وقد كان في وسعه أن يعيش هادئا لا يقطع الفيافي والقفار ولا يقتحم الحروب والأخطار ويجمع حوله الغايات ويسمع الأغاني . المطربات ولا يحمل نفسه هموم الأفكار والحياة ، ولا يواجه الحصون المانعة أو السيوف القاطعة ، ولكنه رحب بالشدائد وكان يجري وراء الموت ليحيي دين الله الذي آمن به وبرسوله وبكتابه وسواء أخطأ أو أصاب في نظر المؤرخين الذين ربما عدوا ضحاياه جسيمة إلا أنه مات عرض انسان لأمر عظيم أو جرى وراء غاية كبرى دون أن تبذل الضحايا أو تخاض الأهوال والمنايا وحسبه حتى ولو أخطأ صدق نيته وزهده في دنيا يسيطر فيها على وسائل الأغنياء ويعيش راغبا عيشة الفقراء ، وحسبه أنه لم يخلق ملك في الهند مثله يستطيع قهر نفسه ليدفع عنها شيطان الشهوة ويتقى الله في حقوق الضمفاء والفقراء ، فلا يبعثر في الأموال العامة على ما يسمونه فخخة الملك وأبهة العرش فكل هذه خيالات غير صائبة ووسائل يوسوس بها بعض المنافقين والمتملقين والخير كل الخير والحق كل الحق . أن يقدي بمثل عالم جبر وأنى لهذا العالم أن يخلق فيه مثله :

هيات أن يأتي الزمان بمثله إن الزمان بمثله لضنين

رحمه الله فقد أتعب من بعده إذا شاء اقتفاء أثره فلا روح مثل روحه ولا ارادة في الخير مثل ارادته ولا طباع مثل طباعه ، وهذا الملك الذي ملك كنوزا من أكبر كنوز الأرض عاش يأكل خبز الشعير ، ألم ينم على الأرض ؟ ألم يخلع

ثوب الملوك الثمين ؟ ألم يلبس بردة الفقراء ؟ ألم يجلس بين الجائعين يطعمهم ؟ —  
ربما سخر قوم وقالوا ليست هذه طباع الملوك ولا عاداتهم فأقول حقيقة هذه  
ليست أخلاق الملوك بل أخلاق الملائكة .

فهل الملك الذى يسع قصره مدينة ؟

وهل هو الذى تكثر ملايينه وتنسع أملاكه حتى يفوق المرائين ثروة ؟

وهل هو الذى يدخر الجواهر ويكنز الذهب والفضة ؟

وهل هو الذى يصرف ذات اليمين وذات الشمال ولا يعمل للمال حسابا ؟

وهل هو الذى ان جاعت أمة شبع وان عطشت ارتوى ؟

وهل هو الذى تحيط به الحدائق الفناء وحوله الآلاف من الخدم ؟ بعضهم  
يخلع ثيابه ، وبعضهم يلبسه ، وبعضهم يؤنسه ، وبعضهم يشى له ، وبعضهم يخدعه  
وبعضهم يغويه ، وبعضهم يلهيه .

اهذه صفات بعض الملوك على وجه الأرض وفي أغلب الممالك ؟ حتى اذا  
صلح منهم واحد فهو النادر . ولئن كان الأمر كذلك فعالم جبر هو الأندر بل  
انه لم يكن من ملوك الأرض ، ولعله كان كالوحي وهبط من السماء وها قد  
انقطع الوحي ولم تبق إلا الذكريات ، فما أحسن ذكره !

كتب عالم جبر لابنه الأمير أعظم كتابا طويلا حينما شعر بدنو أجله ، ومما قال :  
أرجو لك الصحة ، وقابى معك ، فقد بلغت من العمر أطوله ، ووصلت الى  
قمة الشيخوخة ، وأخضعنى الضعف وهجرت القوة كل أعضائى ، ولقد دخلت  
هذا العالم غريبا وغريبا منه أخرج . وهامى نفسى أراى أجهلها ، ولا أدرى من  
أنا ، ولا ما الذى خلقت من أجله وها قد ذهبت أيام السطوة والقوة وخافت  
وراءها حزنا وكأنى لم أكن ولى أمر هذه الامبراطورية ولا حاميا ، وقد ذهب

وقتي سدى ولقد كان في ضميري مرشدا ولكن جلال نوره احتجب عن بصيرتي  
المظلمة ، ولقد ماتت معي آمال الصبا وخذت في حرارة القوة ، ولم يبق مني غير  
عظم وجلد .

## رأي المؤرخين المسلمين

### في عالم مير

أجمعت لغة المؤرخين المسلمين الذين كتبوا عن سيرة هذا الامبراطور العظيم  
أنه لم يوجد ملك من سلالة تيمور ولا من أى عائلة أخرى اسلامية جلست على  
عرش دلهي من عادل عالم جير في تقواه وعدله وشدته في الحق أو شجاعته وقوة  
احتماله للمشاق في سبيل أداء واجباته العامة أو في سداد الرأي ، ولم يسيء الى حكمه  
الا الخلافات والمنازعات التي قامت بين أفراد عائلته وأشرف الأمة لمنافسات  
بينهم ، فكان كل عمل نافع يقوم به عالم جير لا يشمر ثمرته المطلوبة بسبب هذه  
الطبقات ، وكان حافظاً لقواه العقلية ولحواسه الخمس ، إلا حاسة السمع فقد تأثرت  
تأثراً بسيطاً وكان يصرف ليله في التهجد والعبادة .

### ملخص رأي المؤرخين الأوروبيين :

لقد كان رأي المؤرخ الأوروبي رأي الشامت الكاره وقد أجمع المؤرخون  
الأوروبيون على أن الملك أكبر هو الذي وضع دعائم قوية يقوم عليها عرش  
المغول في الهند واعتبروه خير حكام البلاد من ملوك المسلمين ، ومنشأ هذا التقدير  
جاء من أنه كان يحسن معاملة الأوروبيين ولأنه اعترته نزعة في رأيه كانت تدفعه  
الى السعى لتوحيد أديان الهند باقتباس دين من خلاصة تعاليمها . فأما من الناحية

السياسية فقط تكون الفكرة حسنة وصالحة لو انه ضمن نجاحها ، ولو انه حينما بدأ في تنفيذ هذه الفكرة كان العنصر الاسلامي اعلى لعدت هذه الفكرة راجحة ورشيدة لأنه يكون بذلك أبدى منتهى التسامح والاحترام للأقليات الدينية ولا بأس من أن يتسامح الأقوى للأضعف ، أو صاحب الكثرة لدى القلة - أما الأمر بالعكس فتكون فكرته من أخطر الأفكار لأنها اذا لم تنجح في زرع التسامح الحقيقي بين الأجناس والعقائد المختلفة وفي اجتثاث الضغائن التي في صدورهم فإنها كانت ستكون وبالا على المسلمين فيما بعد إذ تمكن لأغلبية من السكان في أقلية منهم لأن خطة أكبر كانت ترمى الى الاكثار من اسناد الوظائف للهندوس ولا شك أن اسناد الوظائف ما كان لينسبهم أن هذه الأقلية المغولية أجنبية عنهم ولن ينسوا أنها خلعت أمراء منهم عن عروشهم وهدمت معابدهم وحطمت أصنامهم وقتلت كثيراً من أبنائهم ، ومثل هذه الأعمال لا تطفأ نارها أو يذهب أثرها بوظائف أو رتب ينالها عدد صغير من الهندوس ، وعليه فإن عالم جير لم يهدم الأعمال الصالحة التي يقول الافرنج إن أكبر أوجدها ، بل الاصح انه كان يداوى الآثار السيئة التي خلقها الملك أكبر ، خصوصاً اذا علمنا واعتبرنا عالم جير حاكماً مسلماً مسئولاً عن مصالح المسلمين الذين أجاسوه على عرش دلهي وأجلسوا آباءه وأجداده عليه من قبل رغماً عن ارادة الهندوس أما اذا اعتبرناه مجرداً عن كل عاطفة دينية وتقاليد اسلامية ( وهذا بالطبع لم يحصل ) وصار هندياً أكثر من الهنود فإنه لن يعدل من الهندوس من ينازعه الحق وينافسه في العرش ويمجد نفسه أجدر به وأكثر هندياً منه وأقرب الى قلوب الهندوس لنشأته على دينهم وعوائدهم من أجل ذلك لم تكن سياسة أكبر الا خرقاء. ولم يكن رأيه إلا طائشاً وعلى العكس منه كان عالم جير فإنه رأى أن حزازات النفوس لم تمت وان التسامح يكون سابقاً لأوانه ويعرض المسلمين للطرد



كما وقع لهم في اسبانيا ، واذا كانت سياسته لم تؤد الى الغرض المنشود فلم يكن الذنب ذنبه إذ لو هادنه نفس المسلمين ولم يخرج عليه بعض أمرائهم لكان الأمر عكس ذلك. ومن أكبر الشواهد على حسن رأيه أن ولاية أسام في عهد شاه جهان والده أى من عهد غير بعيد كانت تهاجم ولايات البنغال وتعتدى على السكان وكانت البنغال هذه ولاية تحكمها المسلمون فلما جاء عهد عالم جير انقلبت المسئلة فبعد أن كانت أسام تهاجمها صار عالم جير يهاجم أسام بواسطة قائده مير جملا ، ثم انه غزاها ، وبسبب دخول المسلمين فيها انتشر الدين الاسلامى ، وهذه فائدة عظيمة اسداها عالم جير لالهندود فقط بل لكل العالم الاسلامى فان المسلم أكثر ارتباطا بالمسلم وهم أشد عطفا على بعضهم وتعاونهم يعود عليهم بالمصاحبة من كافة وجوهها سياسية كانت أو غير سياسية ، والذي يرجع الى الاحصاء المدرج بدائرة المعارف البريطانية يجد أن سكان ولاية أسام طبقا لاحصاء سنة ١٦٠١ بلغ عددهم ٦١٢٦٣٤٣

الهندوس منهم ٣٤٢١٠٩٩

الأوروبيون والمهاجرون منهم ٧٧٥٨٤٤

والمسلمون منهم ١٥٨١٣١٧

فالذى يدرك أن عدد المسلمين في بلاد لم يكن بها مسلم واحد يصبح فيها نسبة المسلم الى الهندوسى كنسبة واحد الى اثنين أى أن المسلمين اصبحوا بنسبة لا يستهان بها بين السكان ولا شك ان مثل هؤلاء سواء بقوا مع الهند أو بتروا منها كما هو حاصل الآن فلا يخلو وجود مثل هؤلاء المسلمين من فوائد كبرى للمسلمين الآخرين لا تحتاج الى شرح أو توضيح . من أجل ذلك كان

عالم جير مذموما لدى الأفرنج ، وهم أكثر تعصبا منه ، والروح التي عمل بها  
عالم جير في القرون الوسطى لازال أشد منها يتأجج في صدور الفرنسيين والانجليز  
ونظرة سطحية تلقى على مساعيهم في بث معتقداتهم بين المغاربة في تونس  
ومراكش والجزائر وجمعيات التبشير في السودان وما يبذل لها من المساعدات  
الحكومية يشهد بما عند هؤلاء القوم من التعصب الذي لم يخذ جذوته .

---

## بهادر شاه

١٧٠٧ — ١٧١١

مات عالم جير في سنة ١٧٠٧ وترك ثلاثة أبناء وهم شاه عالم ، وأعظم شاه والأمير كوم بكس وقد تربع الأول منهم على عرش أبيه وتسمى بهادر شاه وكان بهادر أيام امارته قد وقع تحت سخط أبيه قبل وفاته بعشرين سنة فحجزه مدة ثم عاد فعفا عنه وولاه الحكم في كابل فبقى بها حتى مات والده ، فانضم له منعم خان مؤيدا ، وكان من أكبر رجال الدولة في لاهور ، فلما صار تحت سلطته جيوش الولايتين وهما لاهور والأفغان زحف بهما الى عاصمة الامبراطورية وكان له ولدان أحدهما عينه جده حاكما على ملتان والثاني على البنغال ، فعززا مركز والدهما ، وكان أخوى بهادر ينازعا على العرش وكان الأمير أعظم وهو الابن الثاني لعالم جير حاكما على مقاطعة ملوا فلما علم أن والده لفظ نفسه الأخير ، جعلهم يتلون الخطبة باسمه واعتلى العرش وكان الأخ الأصغر كوم بكس حاكما على مملكة بيجابور ، وقد أوصى والده له بها قبل وفاته ، كما أوصى بباقي الديكان الى الأمير أعظم ، وأن يكون شاه عالم ( بهادر شاه ) امپراطورا على الجميع ، وقد ذكر هذه الوصية كثير من المؤرخين الشرقيين وقالوا بصحتها . وقد قيل في المثل انه لا توجد مملكة معها انعمت مساحتها تسكني ملكين ، ويظهر أن الأمراء صمم كل واحد منهم في نفسه ، أو حرصه البعض ممن حوله على أن يستأثر بالملك ولكن في الواقع كان الأخ الأكبر بهادر شاه أسهلهم طبعاً وأكثرهم ميلاً للوئام ، علاوة على صدق نيته في احترام وصية أبيه فقبل أن يبقى لأخويه حكم الديكان وأن يستلم كل واحد منهما ما خصه له والده ، ولكن هذه الرغبة الصادقة لم تقدر في التوفيق بين الاخوة

وأسرع الأمير أعظم محاولا الوصول الى أجرا قبل أخيه شاه عالم ولكن الأخير  
حاز قصب السبق في الوصول وحاز العرش أيضا . اذ كانت نية قائد القلعة  
هناك ترمى الى تسليمها لأول من يصل منهما ولم ينل بهادر شاه العرش فقط بل  
وضع يده على الكنوز الكثيرة التي خلفها عالم جبر بأجرا ، ولم يثنى ذلك عزم  
الأمير أعظم من الاستمرار في المسير الى العاصمة ولكنه وصل متأخرا وتنحى  
عنه أكثر أعوانه لما بدا منه من شح النفس وغطرسة الطبع التي نفرت مؤيديه ،  
وحينما وصل أطلق سراح ساهو حفيد سيفاجي الذي كان قد أسره عالم جبر ،  
ليكسب بذلك عطف الماهراتا وحصل صدم بين الأخوين بجيوشهما وكانت  
بوادر القتال تبدو في صالح الأمير أعظم ، الا أنها في النهاية صارت ضده . فلما  
رأى ذو الفقار قائد جيش أعظم أنه سيخسر الموقعة وأن الكثير من أعوانه قد  
قتل وأن الأمل في الخلاص صار ميثوسا منه توجه الى أعظم وقال له « ان بعض  
أسلافك قد قامى نفس موقفك الحاضر ، ووقع في المزيمة وتخلت عنه الجيوش  
والرأى عندي أن تخضع لحكم الظروف القاهرة ، وان أسلم طريق لك الآن  
أن تترك الموقعة وتذهب بعيدا حتى يعود لك الحظ من جديد ، فعندئذ تحاول  
أن تسترد في المستقبل ما خسرت اليوم » . فبدلا من أن يصغى أعظم الى النصيح  
ليدفع عن نفسه الخطر ، اندفع في الغضب وقال لقائده . « اذهب أنت  
بشجاعتك وانقذ نفسك بأي طريقة تحلو لك . أما أنا فمن المستحيل على أن  
أبرح هذا الميدان ولا يوجد لأمر مثلى غير واحدة من اثنتين ، التخت أو التختة »  
ولكن لم يطل الأمد فقد غربت شمس حياته اذ أصابه سهم فقتل عليه . ولم  
يظهر شاه عالم القسوة التي اعتادها غيره من بيت تيمور في المدة الأخيرة اذ لما  
قبض على أولاد أخيه لم يقتلهم كما أنه عفا عن ذى الفقار والحقه بجيشه وفي  
سنة ١٧٠٨ انتهت الحرب الداخلية وكان الامبراطور يريد أن يبقى يجاور



بحت حكم أخيه كوم بكس وأن يضم إليها باقي ولايات الديكان ولكن هذا الأمير الذي كان متغطرسا قاسيا رفض هذه المعاملة الطيبة ولم يصغ الى عبارات الترضية التي صدرت من أخيه بسخاء ورقة ، وعادت الحرب بينهما وقد أظهر فيها الأخ الأصفر جسارة جنونية ولكنه سقط مع ابنه في عداد الجرحى وخسر الموقعة ووقعا أسيرين ، فاعتنى بهما الملك وأرسل أطباء أوروبيين لتضميد جراحهما والعناية بهما ، ولكن كوم بكس رفض كل معالجة كما رفض تناول الطعام وتوجه الملك لزيارته في المساء وواساه كثيرا وكان يلبس عباءة فخلعها ووضعها على أخيه الجريح وصار يسقيه المرق بيده لتغذيته وأظهر نحوهما كل عطف وحنان وقال لهما معتذرا « انى لم أكن أود أن يقع لكما ما حصل من مكروه » فرد كوم بكس قائلا . « كذلك لم أرد أن فردا من عائلة تيمور يسلم نفسه دون قتال فيوصم بالهين وقد ودعهما الملك والدموع تجري في عينيه رحمة بهما ولكن لم تمض أربع ساعات حتى مات الجريحان وتقلت جثتاها الى دلى حيث دفنا في مقبرة هامبون وصفا الجول بهادر شاه وصار لا ينازعه أحد في العرش ، ومع ما طبع عليه الملك الجديد من صفات الرحمة والاعتدال اللتين تحببانه الى الناس فانه لم يكن يصلح للقيام بأعباء الملك ، وقد جاوز كرمه حدود التبذير وقد قيل عنه انه لم يرفض طلب طالب واستمر على ذلك السخاء حتى أفنى الكنوز العظيمة التي خلفها له والده في وقت قصير حتى قيل انه لم يتبق مالا احتياطيا للطوارئ التي تستهدف لها كل مملكة ، وما شهد به المؤرخون لهذا الملك كرمه وفضائله وحسن طويته ومداراته للعيوب وعفوه عن الذنوب وقليل من الملوك من كان يوازي شاه عالم من هذه الناحية الاخلاقية وخصوصاً من كانوا من سلالة تيمور

ولكن من ناحية أخرى كان شديد التواكل والاهمال في المسائل الخاصة

بمحاربة المملكة ، وكيفية ادارة أحكامها ، وكان من عادته النوم بالنهار واليقظة بالليل فكان متعبا لمن يباشرون الأعمال معه وبالاختصار فانه لم يكن يصلح لحكم هذه الامبراطورية المغولية خصوصا في أوقات الاضطرابات التي بدأت تظهر ومن أيده في ادارة الأحكام ذو الفقار خان ووالده أسعد ومنعم خان الذي ارتقى الى رتبة خان الخانات ، ومع أن أسعد صار وزيرا الا أنه كان متقدما في الشيخوخة ورغمما عن مركزه الأدبي لم يكن يصلح للعمل وكان الحل الأكبر يقع على عاتق ابنه وخان الخانات الذي كان صوفيا وقد تأثر به الملك حتى قيل انه قرب من الشيعة ان لم يكن صار شيعيا بالفعل لأنه أوصى أن يقال في خطبة الجمعة انه صار وصى الامام على وهذا أهاج السنين من المسلمين وجعلهم يرفعون السلاح في وجهه ، ووصلت اليه تقارير تنبئ بقيام الهياج في أجرا ولاهور واحمد آباد ، حتى أن خطيب جامع احمد آباد الذي تلا اسم الامام على قام عليه المصلون وجذبوه من أعلا المنبر واستمروا يطعنونه بالخناجر حتى فاضت روحه وفي مدينة لاهور حيث يقيم شاه عالم هب أساندة الشريعة هناك وتوجهوا الى الملك وأظهروا له اعتراضهم على خطبه فسلم اليهم الامبراطور لا بسبب اعتقاده كما يقول المؤرخ بل خوفا من الاضطرابات ، وكان مسلما ولاهوريدا واحدة حتى اضطر الملك الى سحب هذه الكلمة وفي النهاية أمر بأن تتلى خطبة الجمعة طبقا للنص القديم الذي كانت تلقى به أيام والده عالم جير ، ولكنه أظهر استياءه فيما بعد من بعض العلماء البارزين وسجنهم ، وكان خان الخانات في حكمه يتوخى طريق الرحمة والعدل وقد شكى اليه بعض الموظفين من أنهم كانوا يكلفون بمأمورية تنفيذية المواثي الامبراطورية حتى صارت حاصلاتهم لا تكفي إذ كان بعض الضباط لا يكتفون باطعام الدابة بل يطلبون مالا علاوة على ذلك ، فأدى الأمر الى جلد وتعذيب من كان يخالف هذه الطلبات من

الموظفين ، فنظر رئيس الخانات في أمر هذه الشكوى بعين العدل ورفع الظلم الواقع عن المشتكين ، وقد مات هذا الوزير المنصف قبل سيده بمدة قصيرة ، وقليل من الوزراء في أواخر العهد المغولي من كان يصلح للوزارة ، وكان هوفى مقدمة هذا القايل ، اذ كان ذا سيرة طيبة وقال عنه كافي خان انه يميل الى التصوف ويصادق الفقراء ولم يتسبب في ايداء أحد طول حكمه ، ولكن النوايا الحسنة التي كان يظهرها هذا الرجل كثيرا ما ساء تنفيذها ، فقد قام بذهنه مرة أن يبني في كل بلد جامعا ومدرسة وخانا احياء لذكره بعد موته وتقربا الى الله بعمل صالح ، فكتب الى كل الولاية والحكام لتنفيذ هذه الرغبة ومشتري الأراضي اللازمة لهذا الغرض ، كما أنه أرسل مبالغ جسيمة الى الجهات المختلفة للصرف منها على هذا المشروع فلما وصل الأمر الى الولاية هبط عليهم كما لو نزل من السماء فاشتروا الأرض اللازمة وجاد بعض أهل الخير بها صدقة منهم ، أما في الجهات التي لم يتوفر فيها الطلب أو لم يحصل الاتفاق بخصوصها على الثمن الذي يرضى الطرفين صار الموظفون في هذه الحالة يستعملون سلطتهم ويضطرون من يقع عليه اختيارهم الى اخلاء مسكنه أو تسليم أرضه لهذا الغرض حتى أنهم أخرجوا سكانا من مساكنهم وملاكا من أملاكهم عنوة واقتدارا وعلى ذلك تولد الشر من الخير الذي أراده خان الخانات بما ارتكبه الحكام من المظالم في تنفيذ ارادته .

أما فيما يتعلق ببهادر شاه فقد خاف له والده مركزا سياسيا دقيقا اذ تولى العرش والهندوس تغلى مراحل غضبهم من معاملة والده لهم وظهر فيهم روح التمرد والانتفاض ، فمثلا الراجبوت وكان يرأسهم الراجا آجيت سنج الذي على أثر موت عالم جير أصدر أمرا بمنع ذبح الأبقار التي يعتبرونها حيوانا مقدسا وهذا الأمر بطبيعة الحال كان يسرى على كل سكان الولاية فلم يكن يقصد

سريانه الا على الأقلية المسلمة فان الأ كثرية الهندوسية لا تجيز شريعتها ذبح الأبقار كما أنه منع المؤذنين في الجوامع من تلاوة الأذان . وأمر فوضعت القاذورات في مساجد المسلمين وبدأ في بناء معابد للهندوس ، فلم يجد شاه عالم مفرا من الزحف على راجبوتانا فزحف بجيشه واخترقها عدة مرات لمنع هذه المصادرة التي وقعت على المسلمين في عقيدتهم وحمائهم وانتقلت جيوشه فيما بعد الى منطقة السبك حيث ظهرت بها اضطرابات

وعلى أثر خروج الجيش المغولي من راجبوتانا أصبحت هذه الولاية شبه مستقلة حتى لم تعد الامبراطورية تتدخل في شؤونها ولم تعد تعتمد عليها في تموين المغول بجنود للحروب التي تقوم بها الدولة ، وعقد الراجات الثلاثة — وهم راجات ميوار ومروار وعنبر — وهم الذين عرفوا حديثا براجا أودايبور وجايبور وجودبوره اتفاقا ثلاثيا بينهم بموجبه يتعاونون ويتولون الدفاع عن أملاكم وأن لا يصاهروا أمراء المغول ، واتفقوا أيضا على أنه اذا تزوج أحد الراجات ابنة راجا آخر فيكون الابن الأكبر من ثمرة هذا الزواج ولى عهد ، ويخاف والده ( لأن الراجات يتزوجون أكثر من واحدة وقد تلد زوجة ليست ابنة راجا ولدا فان كان هو الأكبر فلن يكون ولى عهد بموجب هذا الاتفاق وذلك كله رغبة في تدعيم الرابطة بينهم وتقويتها ) الا أن هذا الاتفاق أثار شقاقا فيما بعد بين الاخوة كانت نهايته الاضرار باتحادهم الراجيوتي لأن قانون الوراثة لم يكن محترما ومرعيا في أى بلد مثل ما كان في راجبوتانا .



## ظهور عنصر إضطراب جديد

### في الإمبراطورية

في أوائل النصف الثاني من القرن الخامس عشر ظهر في الهند مذهب جديد يسمى مذهب السيكت ويوجد أكثر أعوانه في ولايات الهند الشمالية وأهمها البنجاب وكشمير والسند وتنحصر تعاليمه الأساسية في الاعتقاد بوحداية الله الذي ليس هو (رام) ... (رام هي الكلمة التي تعادل لفظة الله عند الهندوس) ولا هو الله الخاص بالمسلمين بل هو الرب رب العالم بأجمعه وليس إله المسلمين بمفردهم ولا رام الهندوس بل رب كل النوع البشري ورب كل الأديان وعلى ذلك فكانوا ضد فكرة الأصنام وتقمص الأرواح للأجسام على الطريقة الهندوسية وضد فكرة وجود طبقات بين الناس كما هو عند الهندوس ، فهي تعاليم تآثرت على عبادة الأصنام ، وتحتم المساواة بين الناس ولا تميز حرق الأرملة إذا مات زوجها إذ كانوا يعتبرون أن التي تموت بسبب الصدمة على الزوج أكثر إخلاصاً من التي ترغم على أن تمحرق بعده . كذلك كانوا يحرمون الخمر والدخان والحج إلى الأنهر المقدسة في الهند ، وتحرض تعاليمها على الفضيلة والوفاء وعرفان الجليل ، وتعترف بتناسخ الأرواح بشرط أن تبقى الروح متقمنة في الجسم الجديد إلى أن تكفر عن ذنوبها وخطاياها حتى إذا تم ذلك عادت الروح ثانية إلى ربها ولم ينتشر هذا الدين ولا تعاليمه مرة واحدة ، وكان ينسب خرافات الأزمنة المتوالية التي لحقت بالأديان إلى العمى الروحاني ، ثم انتقلوا خطوة في تعاليمهم فصاروا يحاربون الفوارق الطائفية التي كانت بين الهندوس وخصوصاً عدم أكلهم أو تكلمهم سوا ، ثم اتجهت أنظارهم إلى محاربة الأصنام والتقاليد

الخرافية كحرق الأراميل ثم صاروا ينشرون بين الناس أن الله واحد حتى باق  
أبدى لم يلد وهو عظيم كريم ثم حرموا أن يكون لرجال الدين ملابس خاصة  
إذ كثيراً ما أدى ذلك إلى خلق امتيازات لهذه الطائفة علاوة على أنها تثير  
حولها شيئاً من الأوهام والتضليل وكانوا يقولون عن الذين يذهبون إلى الأنهر  
المقدسة إنه وإن كان نزعهم بها ينظف أجسامهم فإنه يزيد في عدم صفاء عقولهم  
وقالوا إن أهم من عبادة الله من المعابد والمساجد عبادته في أي مكان آخر بروح  
حقه وصدق نية دون إطلاق البخور واحراق خشب الصندل والضحايا (عادة  
هندوسية) . وكان في كل زمن يعين لهذه الطائفة رئيس يسمى « الجورو » ففي  
عهد السادس منهم وهو « هارجوفند » أدخل أنظمة على هذه الطائفة بمقتضاها  
تصير حماية المتفرقين في الجهات فسلحهم جميعاً حيث اعتقد أن لا بقاء لهم بدون  
سلاح . ومن عهده بدأت الروح العسكرية فيهم تأخذ شكلاً حاداً وقد كان  
مبدأهم من قبل أنه إذا أساء لك أي واحد فاحتمله فإذا احتملته ثلاث مرات  
فالله يحارب من أجلك ويهين أعداءك . ولا شك أن تخليهم عن التسامح وكان  
من بين تعاليمهم والتجاءهم إلى الروح العسكرية سواء أكان قصداً أو اضطراراً  
قد غير من طباعهم كثيراً فصاروا وحوشاً كاسرة وقد تعددت منهم الثورات .  
وما طبعوا عليه من انقيادهم الأعمى لأستاذهم الديني ( الجورو ) فكان إذا دعاهم إلى  
قتال عن الطائفة تفانوا في تلييته وكان رئيسهم الديني يعتبر نفسه نبياً ، ولكن لم  
يقل في يوم من الأيام إنه نبي بالوحي أو أنه يأتي بالمعجزات وكان يحترم اعتقاد  
الهندوسى القائل بوجوب احترام الأبقار كما أنه احترم فكرة بعض المسلمين  
للخنزير كحيوان نجس ولكنه كان على تقيضهم ( كما يقول ) فلا يتم بهذه  
التوافه بل كان يجل اهتمامه باقتفاء المثل الأعلى في كل شيء فلم يهن البقرة  
ولم يتحجب إلى الخنزير إنما حرم أكل اللحوم بتاتا .

والآن وقد ذكرنا الوصف المختصر لعقيدة هذه الطائفة ورجعنا الى تاريخهم السياسى فنراهم تغيروا كثيرا عن نشأتهم فى أول الأمر اذ انتشرت فيهم الروح الحربية كانتشار النار فى الهشيم . حتى أنهم بدأوا يعصون أوامر الحكومة فى عهد الملك جهانجير الذى سجن ابن رئيسهم لعصيانه عن دفع الضرائب ، ثم أنهم فى عهد شاه جهان ناروا عليه ثلاث مرات ، وفى مرة منها هزموا جيوشه وفى عهد عالم جير اضطر أن يتبعهم وبقنصهم لما تكرر منهم من كثرة الأذى والمشاغبات حتى أنه سجن زعيمهم الدينى وقد رويت عنه رواية جاء فيها أن عالم جير سجنه فى دلهى ثم اتهمه بأنه كان ينظر دون احتشام الى الناحية التى يسكن فيها حرم الملك بأن أطل عليهم من فوق سطح السجن فقال ، « يا عالم جير ، انى كنت حقيقة فوق سطح السجن وكنت أنظر الى الناحية العربية حيث يوجد سكن نسائك ولكنى لم أكن أنظر اليهن بل كنت أنظر نحو الغرب لأنه المنفذ الذى صار يتقاطر فيه الأوروبيون الذين يأتون من ناحية البحار ليستحذوا على أملاك رعيتك والقضاء على عرشك وساطانك »

ولما جلس بهادر شاه ساءت العلاقة بينه وبين ( بندا ) رئيس السيك وقد وجد الملك فيه خصما عنيدا إذ ادعى أن رئيسه السابق تقمصت روحه فى جسم بندا لتنتقم من المسلمين لأن واحدا منهم قتله ، ولما أذاع بندا على قومه أمر تقمصه ثار كل أعوانه وزادهم ثورة طرقه السحرية التى وصفها فى شكل معجزات تغريرا لسخفاء العقول ، فلما شقوا عصا الطاعة ، تجمعت جموعهم واتجهوا نحو مدينة « سيرهند » فدافع عنها حاكمها ( وزير خان ) واسكنه هزم وذبح ووقعت المدينة فى قبضة السيك وكانت من الأماكن العامرة حيث يكثر بها التجار الأثرياء ويوجد بها عدة مصارف مالية وفريق كبير من الأعيان الأغنياء وكانت مركزا كبيرا للتعليم وأخصه الدينى ، ولم يتمكن أحد سكانها من انقاذ نفسه من

هذا البلاء الذي حل بهم فأريقت دماؤهم وذهبت ثرواتهم نهبا مشاعا واستمرت المذابح بها ثلاثة أيام ، فلم يرحم السيک أحدا حتى الأطفال والنساء وزادوا في بغيتهم حتى كانوا يخرجون الأجنة من بطون أمهاتهم ثم حرقوا كل الساكن وكانوا كلما وجدوا مسجدا أو مقبرة أو أى مكان محترم عند المسلمين هدموه وحرقوه ولقد بعثوا عظام الأموات وكثيرا ما وقع بين المسلمين والمهراثا أو غيرهم قتال ولكنه لم يصل فى وحشيته الى ما وصلت له هذه الطائفة من القسوة والبربرية التى لم يعرف بها التاريخ الا اذا استثنينا عهد جنكيز ، ثم انهم تسلطوا على المنطقة الواقعة بين لاهور ودلهى فصاروا ينهبون ويفتكون بأهلها وقد انضمت اليهم فصيلة من أهل هذه الجهة تسمى ( الجات ) وكانوا غالبا يتجنبون المدن المحصنة وينقضون على الأماكن الخالية من التحصين فيعيثون فيها فسادا ويسلبونها وقال كافى خان « ان هذه المنطقة كانت هدفا لهذه الطائفة الكافرة فطوقوا البلاد وخربوها وذبحوا لآلاف من سكانها وفى مقدمة البلاد التى نسكت بهم مدينة لاهور وشاه دارا وكارنل وأسروا مئات من الهندوس والمسلمين معا فقصوا عليهم ذبحا . وقد انضم الى السيک كثير من طبقات الهندوس المنبوذة ووضعوا أنفسهم تحت تصرف هذه الطائفة وقد أبطأت حكومة المغول فى فهم هذه الحركة أو وضع علاج لها حتى زاد شرهم وتفاقم ضررهم لأن الحكومة لم تقم لهم وزنا ولا حسابا كما كان الحال مع المهراثا الذين عدوهم قترانا فصاروا فيما بعد أسود وكان اهتمام شاه عالم منصرفا وقتها الى الزاجبوت ، لكنه كان لظهور طائفة السيک بمظهر القوة الزائدة فى قلب الامبراطورية ضرر بليغ ، وأخيرا وفى سنة ١٧١٠ فقط استيقظ شاه عالم من نومه فأوفد اليهم جيشا تحت قيادة أمين خان وكان من أكفأ قواده فزحف عليهم وطوقهم فى وسط منطقة من التلال ثم حاصرهم فى حصن لوجارا وطال أمد الحصار فنفذت مؤونتهم



شيئا فشيئا ولكن من تدهور حال المغول في الحكم صار أعداؤهم يشترون  
المؤون من نفس التجار المتعبدين للجيش المغولي ولا شك أن وقوع مثل هذا  
التدليس لا يجيىء الا من تراخى النظام العسكري اذ كانوا يدلون سبائنا  
مربوطة في جبال من أعلا الحصن فيملؤها التاجر بما يلزم ويرفعها المحصورون  
الى سور الحصن فعاونتهم هذه الحيلة على طول المقاومة . فلما ازداد بأسهم اخترقوا  
صفوف المحاصرين وفروا الى جبال الهملايا ، وقد قلد أحد رجال السيك زعيمهم  
بندا وبني في الحصن فسر لأسره المسلمون ولكن لما اتضح لهم تزيف الشخصية  
سخطوا كثيرا وأسروا راجا الثلج ( أى راجا الهملايا لوجود ثلج بها ) انتقاما منه  
لايوانهم عنده ووضعوه في قفص . واقتنى أثر السيك وهزموا إلا أن بندا زعيمهم  
لم يزل طليقا ، وبدا على هذه الطائفة الضعف المؤقت إلا أنها فيما بعد قويت  
واشتد ساعدها حتى صارت من أقوى قوات الهند التي ستحارب نفس الانجليز  
طويلا . وكان مما ساعد هذه الطائفة على الظهور ضعف الحكام المغول  
في أواخر أيامهم ولو كان فيهم مثل عالم جير أو شاه جهان لما تمكنوا من ذلك .

ولقد بدأت الامبراطورية المغولية تتحلل وتذهب هيبتها ، وتضعف قوتها  
بسبب سوء الادارة وإن من أغرب الأمور أن يساهم فريق من اللصوص  
وتكون له اليد الطولى في اسقاط امبراطورية لها تاريخ مجيد مع أن هذا  
العامل الذي يهددها كان يكفي في معالجته الضرب على أيدي الأشقياء ، والقضاء  
عليهم أولا بأول قبل أن ينموا شرهم ويستفحل أمرهم . وها هو باب راى كان  
رجلا حقيرا يبيع عرق النخيل في الشوارع ، وزاد طمعه فاعتصب أموال أخته  
ثم تقدم خطوة أخرى في الاجرام فجمع عصابة صغيرة من الأشقياء وصار يهاجم  
الآمنين ، ويقطع الطريق على المسافرين وكبر شيئا فشيئا حتى بنى قلعة يعتصم  
بها وقت الخطر ، فجدد عهد سيفاجى وسمباجى وبلغ من عظم شأنه في القوة .

أن حاكم الديكان زحف عليه بجيش وحاصر قلعته ، فلم يستطع إخضاعه قبل  
انقضاء تسعة أشهر مضاهها في حرب طاحنة ولو أنه حزم أمره وعالج مثل هذه  
الصفائر قبل أن يكبر شأنها لوفر كثيرا من الضحايا التي بذلها ، والتي زادت  
الأمبراطورية ضعفا حتى أصبحت الحالة السائدة فيها أن الحكم للأقوى فكل  
من رأى نفسه أكثر جاها وأعز نفرا استعمل هذا التفوق على جيرانه وصار  
حاكما بأمره فصربت الفوضى أطايبها وتلاشى الضميف وازداد القوى فجورا  
وتعددا ما كان مقدمة لسقوط هذه الدولة ذات التاريخ الغني بمجد ملوكها الأولين  
وأثرهم العظيم في نشر الاسلام وثقافته واحداث المباني العظيمة التي لا زالت  
تشهد بما وصلت اليه الهند من مدنية ورفاهية وورق في الفنون والصنائع ولقد مات  
شاه عالم في سنة ١٧١١ بمدينة لاهور وكان آخر حاكم مغولي استطاع أن يسند  
اليه شيء من المديح في أيام حكمه .

## جهان دار شاه

تولى هذا الأمير العرش بعد أبيه وكان له ثلاثة من الاخوة نازعوه أمر التاج  
والذى يرجع الفضل اليه فى حصوله عليه هو موت أحد أخوته غريقا فى نهر راوى  
وأن آخر منهم أصيب خطأ بطلق نارى ، وكان يؤيده فى الجلوس على العرش  
أكبر قائد فى الدولة وهو ذو الفقار خان الذى أجهد نفسه كثيرا حتى رآه على  
عرش أبيه ، وقد قيل عن هذا الملك انه لما علم بوفاة أخويه صدفة وقتل الثالث  
وانه صار امبراطورا تلقى كل هذا وهو فى حالة سكر ولم يدم حكمه إلا عام واحد  
وبضعة أشهر مضاهيا فى الدعارة هو وحاشيته ، وكان مغرما باحدى جوارى القصر  
واسمها لال كوار ، وقد كانت ذات دل وسلطان عليه ، وكان كثيرا ما يرافقها  
ويخرجان معا فى شوارع دلهى . وقد رجع بها مرة وهو لا يعى من السكر فترك  
فى العربة حيث لم يجزا أحد على ايقاظه حتى الصباح ، وهذا التبذل منه أغضب  
كثيرا من كبراء الدولة ، ولم عبثت جاريته لال كوار بالشؤون العامة حتى  
أحضرت رجلا يبيع الخضر فى الشوارع ، وبعض خدمها وأسندت اليهم بعض  
الوظائف الكبيرة ، مما أخل بالنظام وزاد الحالة ارتباكا ، واتفق مرة أنها خرجت  
راكبة فى الشوارع فقبلها موكب « نظام الملك » حاكم الديكان فى المستقبل  
فأصدرت أمرا الى رجال هذا القائد العظيم — لكن بطريقة خشنة مفاوية  
للآداب — أن يخلوا لها الطريق ، فأمر القائد رجاله بالانصياع لأمرها ولكن  
لما مرت عليه هذه المرأة تلفظت بعبارات وقحة وجهتها للنظام بنفسها فلما رآها لم تحترم  
شخصها بسبب مسلكها الذى سلكته معه ، أمر رجاله بضرب أعوانها ، كما أنه

طرحها وألهمها بالسياط تأديبها لها ، فذهبت وشكت أمرها للامبراطور ولكن ذو الفقار وكان صاحب السلطة والكلمة أشار على الملك بمراحته للمعهودة أن يتغاضى عن هذا الموضوع لكيلا يجلب على نفسه خطر الخروج من العرش نظرا لما للنظام من قوة وبأس .

ومما روى أيضا أن الامبراطور عين أخا للال كوار محافظا وكان موسيقيا ولكن ذو الفقار رفض تنفيذ القرار الخاص بتعيينه في هذا المركز ولما سأله جهان دار شاه قل له بمراحته للمعهودة « نحن رجال الحاشية لا نقدم خدمة لأحد إلا إذا أعطانا الرشوة التي ننتظرها أزاء الخدمة التي يراد منا إنجازها » فابتسم الامبراطور من قوله وقال له « وما هي الرشوة التي تطمئنها منه حتى تؤديها لك ؟ » قل « عبيد أن يحضر لي ألف عواد بأعواده . وما دمت ياسيدي تعطى الموسيقيين الوظائف التي تسند لأمثالنا ، فيجب علينا والحالة هذه أن نختلط بهم ونحفظ عنهم صنعهم » فابتسم الامبراطور وفيه الغرض من كلامه في هذا الموضوع ، فسكت .

وكما كان في الهند من الملوك الذين اشتهروا بالدعارة والتهتك ، ولكنهم لم يصلوا الى حد جهن دار إذ كان لا يعرف تستر على فضائحه ، وكان في هذا الوقت فاروق سدير وائيا على المنفل بالاسم ، ولما تولى جهان دار العرش أرسل الى جعفر خان الذي كان والي البنفل بالفعل أن يعتقل فاروق ويرسله أسيرا وقد كاد جعفر أن ينفذ أوادة الامبراطور لولا ما رآه من أن فاروق كان تحت رعاية والي « تش » « شريف » حسين على خن » ، وقد كان أحد أشرف بارا وقد كان هو وأخوه من أقوى أشرف هندستان في وقتهم وكان ثانيهم قومندان الحيش الله باد فجهز الاخوان جيشا وتوحيها به نحو نهر الجانجيز وبمجرد أن التجمعت جندهما مع جيوش جهان دار وولده نهزمت القوى الامبراطورية حيث أظهر



الامبراطور جينا في الحرب ولم يكن مؤيدوه عندهم النية الصادقة لتأييده فهرب  
جهان دار الى مدينة أجرا وتوجه لمخاطبة أسعد سخان الذي ما زال رئيس الوزراء  
بالاسم فأراد الوالد أن يقبض عليه ويسلمه لخصمه ولكن رأى ذى الفقار كان  
المقاومة لأنه لم يكن ينتظر من فاروق خيرا ، ولكن لما بارح ذو الفقار مكانه  
بعد المقاتلة قبض عليه وذبح وأخذ والده وصودرت كل أملاكه وأودع السجن ،  
وحل محل هذين الوزيرين الأخوان السيدان شريفا بارا ، فكان هذا التصرف  
سببا في ضياع الملك فاروق سيار لأنه رغمًا عما أداه لهذين الشريفين لم يثق به ،  
وعلاوة على ذلك فقد ارتقى في أحضان رجال من الحاشية لا كفاءة لهم ولم  
يعرف عنهم غير الخبث والمكر مما جعل عهد فاروق مشهورا بكثرة الحوادث  
الجنائية من ذبح وقتل ومما أدى في النهاية الى سقوط فاروق نفسه وضياع دمه  
وقد كان فاروق هذا لا ارادة له وكان صغير السن ناقص الخبرة وقد نشأ  
في البنغال بعيدا عن والده وجده ، وكان دائما يعول على آراء الغير وكان فاقدا  
العزم والتمييز ولكن ساعده الحظ ، وكان ضعف أخلاقه لا يتفق بالمرّة مع  
أخلاق عائلة تيمور وكان يخدع بكلام المخادعين المحيطين به ، فجلب الشقاء على  
نفسه من أوائل أيام حكمه . ومن ناحية أخرى فاز كان واقما تحت ضغط  
الشريفين ، وكان مكرهما قويا ويؤيدهما كثير من رجال حاشية الملك وصار  
السيد عبد الله خان وريرا ، وأما الأخ الثاني وهو حسين على خان فلم يكن بت  
في تعينه ، وكانا برأسان حزبا يسمى حزب هندستان وهو يعارض في خطته  
حزب الرؤساء التورانيين الذين كان يرأسهم نظام الملك ( - التوراني - اسم ينطبق  
على الأتراك الذين استوطنوا الهند بعد هجرتهم من أواسط آسيا وما وراء النهر )  
وعين فيما بعد الشريف حسين على خان في الديكان ، فعد النظام هذا التمييز  
اهانة له وكان يشغل هذه الوظيفة ، ويعتبر بالديكان أكبر شخصية ، فنشأ  
التنافس بينه وبين الأخوين مما أدى الى سقوطهما فيما بعد .

وقد افتتح فاروق حكمه بارسال جيوش لاختراق سهول الراجبوت مما أدى الى انتهاء النزاعات الدينية في هذا الجزء من المملكة . ثم وقعت حروب بين الملك والسيك ، أدت الى انهزام الأخيرين ، وكانت العداوات الدينية منها ما هو بين المسلمين كفريق والهندوس كفريق آخر ، ومنها ما هو بين المسلمين السنيين والمسلمين الشيعة ، وكانت العداوة بين الفريقين الأخيرين ينفجر بركانها على أوهى سبب طائفي . وقد وقع قتل في سنة ١٧١٣ حينما كان الهندوس يحتفلون بعيد ديني في مدينة أحمد آباد ، وكانت ترتكب في هذا العيد أمور مخلة بالآداب ويكثر فيه السكر وغيره . ومن أجل هذا قام نزاع بين المسلمين والهندوس وقد انضم فيه الحكام المسلمون الى خصوم دينهم ، إذا اعتبروا الهندوس أحراراً في احتفالاتهم ، فأنار ذلك حق المسلمين ولجأوا الى بقرة وقتلوا أمام منزل أحدهم فهجم الهندوس وقتلوا ابن الرجل الذي ذبح البقرة وكذلك بعض زملائه وأوفد المسلمون وفدا الى عاصمة الامبراطورية للشكوى وبمجرد وصولهم وشرح شكايتهم أودعوا السجن بطريق السماية من كبار الهندوس ، حيث قدموا رشوة لموظفي السراي وظهرت اضطرابات أخرى في ولاية كشمير أثارها السني الشهير محبوب خان الذي جمع فريقا من أتباع مذهبه وطلب من القاضي والحاكم عدم التصريح لهندوسي ركوب الخيل أو لبس العباءة أو العمة وهما من شعار المسلمين ، الى غير ذلك من المطالب ، وعزز طلبه بفتوى ولا يعرف كيف حصل عليها وربما كانت أسبابها سياسية أكثر منها شرعية ، خصوصا وان حكام الغول كانوا يركنون الى الأحكام السياسية أكثر من ركونهم الى الوسائل الشرعية ، وعلى ذلك فان والي والقاضي لم يعبأ بالفتوى ولم يأمر بتنفيذها فقامت قيادة محبوب خان وجوعه وأفهمهم علانية أنه يعرف كيف يؤدب هؤلاء الهندوس بنفسه ، ولم يكذب في تهديده ووعيده ، إذ ذهب فوجد فريقا منهم مدعوين

عند رجل كبير من الأعيان في حديقة - وكان أكثرهم من البراهمة - في يوم عيد لهم ، فاقتحم عليهم السكان وقتل بعضا منهم وخرج يدعوا قومه للجهاد الديني ضد هؤلاء الكفار ، وهاجم أيضا أما كن الحكومة حيث أظهر ولاية الأمور تحيرا للهندوس إذ جمع مير احمد خان الوالى قوة من الجند ليكافح بها أعوان محبوب ولكن جوعهم كانت تزايدت فلم يستطع تشييتهم من شوارع سرنجار ، وقد أشعل المتظاهرون النار في عدة شوارع ، وأحاطوا برجال الحكومة وصار ينهال على الآخرين الطوب وغيره من المذوفات وأخذ الاضطراب شكلا حادا ، وقتل فريق من الناحيتين ، واضطر احمد خان الوالى في نهاية الأمر أن يطالب الرحمة من المتظاهرين . ولم يستطع أن ينقذ نفسه الا بكل صعوبة ، وفر هربا بين سخرية الجاهير الظافرة ، وبقي محبوب حاكما لعدة شهور قتل فيها فريق كبير من الهندوس ، ولما وصل الوالى الجديد الذى بعثته الحكومة لاختضاع الفتنة ووجد محبوب أن المقاومة أصبحت لا تجدى سلم نفسه لأحد الموظفين التابعين للوالى السابق ، ولكن فى أثناء خروجه ومعه ابنيه من منزل الموظف بوغتموا وقتلوا ، ويقال ان الذى انتقم منه كان من طائفة الشيعة الذين أساء اليهم كما لو كانوا هندوسا ، وغام على أثر ذلك قتال جديد بين السنيين والشيعة سالت فيه الدماء ، ولم يوقف إلا بعد أن حضر الوالى المبعوث من دلهى فاخضع الثائرين وأعاد النظام الى نصابه بما اتخذته من الاجراءات الشديدة الرادعة ومات الملك فاروق سيارفتار السيكت ثانية ووقع بينهم بعض الاعتداءات واتخذوا مركزا لفتنتهم حصن جارداسور فى ولاية البنجاب ومنه صاروا يوزعون جوعهم فيجتاحون الجانب العربى من هذه الولاية . وقد جرد عليهم ديلير جنج حاكم لاهور قوة من الجند حتى اضطروهم أن يتقهقروا ويعتصموا فى حصنهم وطبوا أن يساموا الى التائب على شرط أن يعفوا عنهم ويؤمنهم على

حياتهم ، ولكن القائد نصح لهم أن يطالبوا هذا الطالب من الامبراطور فلما امتنعوا عن الانقياد لرأية ، هجم عليهم وأوقع فيهم مذبحه عظيمة ، قتل فيها الآلاف حتى أن القائد حنط ألفي رأس من ثوار السيك وأرسلها الى مدينة دلهي ليثبت حقيقة النصر الذي أحرزه وأرسل معهم أيضا ألف أسير من بينهم زعيمهم المشهور ( بندا ) وابنه الصغير وكان سنه ثمانية سنوات وطيف بالأسرى وبالرؤوس على جمال في داخل المدينة أمام الامبراطور الذي أصدر أمره باعدامهم فبدأوا بالتنفيذ فيهم . ومن أفضح ما وقع تسكليف بندا أن يتولى قتل ابنه بيده ، وقد ظهر من هؤلاء الثوار تضامن وارتباط غريبين يدعوان الى الانجاب والدهشة ، ومذكره كافي خان عن ذلك القصة الآتية : بينما كان يجري تنفيذ الأعدام في الثوار ذهبت أم واحد منهم بواسطة أحد ذوى الجاه والنفوذ وأمكنها أن تقابل الامبراطور وتشكو له متظلمة أن ابنها لم يكن من طائفة السيك وأنه سبق اعتداؤهم عليه حتى أنهم اغتصبوا ممتلكاته وأنه وجد بينهم حيث كان مسجوناً عندهم وفاسى كثيراً من الأهل منهم ، والآن فقد أخذ بين الأسرى وسينفذ فيه حكم الأعدام فرفق الملك فروعاً لشكواها وأرسل ضابطاً بالعفو عن ابنها وإيقاف تنفيذ الحكم فوصل في آخر لحظة وقد كاد ينفذ فيه فلما علم الابن بعفو لامبراطور احتج قائلاً أن أمه كذبت عليهم وأنه يتضمن بروحه وبقلبه مع أبناء طائفته ويتقاضي في لاخلص لزعيمة بندا ورجاهم أن ينفذوا فيه حكم الأعدام ولقد كان لهذه الموقعة أشد تأثير على طائفة السيك حتى كادت تتلاشى من عظم ما وقع عليهم من قتل وتذويب صارم وكان يظن أنه لن تقوم لهم قائمة ولكن البقية الباقية من أفرادهم تدسكوا واستمروا في اخلاصهم للمذهب فرعى واشتد ساعدتهم ، وسيظهر بأنهم فيما بعد فقد صاروا يزيدون يوماً بعد يوم حتى أصبح أحد شيوخهم وأيا على البنجاب وكون لطائفته قوة صارت أقوى خصم في المستقبل

للإنجليز بالهند — وإذا تركنا أطراف الامبراطورية الآن ورجعنا الى العاصمة نجد أن شريفى بارا السابق ذكرهما صارا قوة فى الامبراطورية وتقلدا أكبر وظائفها فهما اللذان وضعا فاروقا على العرش وكان كلعبة فى يديهما فان شاء عزلاه وجاءا بغيره وكان بعض رجال الحاشية يساورهم القلق على مركز الملك منهما ، حتى أن مير جملا ( ابن جملا الأكبر ) كان ينصح له سرا أن يتخلص منهما ولم يكن بمفرده على هذا رأى . بل كان يؤيده فيه نظام الملك بالنظر الى تعيين الشريف الصغير بالديكان . وبدأ المضال بين الحزبين يشتد . وما عقد العزم عليه فريق الشريفين أن لا يتيحوا الفرصة لحاشية الملك المستاءة أن تقوى عليهم ، وعلى ذلك فقد أرغموا الملك فاروق أن يرسل مير جملا الى بتنا لىكى يكون بعيدا عنه ، ويقال أن حسين على خان الشريف الذى عاد من الديكان قريبا ، خاطب الامبراطور بلهجة شديدة وقال له « انك اذا استدعيت مير جملا الى جانبك أو اذا عاملت أخى بمثل المعاملة السابقة . فتق أنى اذا علمت بذلك بعد رجوعى الى الديكان ، فانى سأعود اليك فورا فى ظرف عشرين يوما . » ثم انه أشار الى تعيين بعض الضباط فى القلاع وأمرى ملحوظته على السراى املاء . وقد فكر نظام الملك فى أن يمضى الأوامر ظاهرا ولا يخفى الطريق للشريف الذى عين بالديكان ، ولكنه فى النهاية فضل أن يستتر الى أن تسمح له الظروف بالظهور ، واكتفى بأن أوعز الى داود خان وهو ضابط أفغانى شجاع أن يقاوم حسين على خان عند حضوره . وقد أظهر داود شجاعة نادرة ، ولكنه أصيب بقنبلة قتل ، وقد مات فى هذا التاريخ أسعد خان والد القائد الشهير ذو الفقار الذى ذبح ، وكان فاروق يحاول الاستفادة من معلومات أسعد فى المدة الأخيرة إلا أن ذلك جاء متأخرا فقد كتب له أسعد كتابا قال له فيه « إن الغلطة التى ارتكبتها تخالف تقاليد عائلة



تيمور ولكن ما حصل كان بارادة الله ، وأنا كنت على يقين أن الوزارة متى خرجت من بيتي فإن الدمار سينزل بعائلة تيمور ، ولكن بما أنك وضعت نفسك وجعلت تقاليد أمورك في يدي الشريفين فخير شيء للحكم أن تبقى معهما على وئام بقدر جهدك ولا تثر بينك وبينهم عداوة أو خلاف فانك ان فعلت فستفقد عرشك ولكن العلاقات انتقلت من مئى الى أسوأ بين الامبراطور والشريفين وقد مضى حسين على خان المدة ما بين سنة ١٧١٧ وسنة ١٧١٨ فى قتال مع الماهراتا ، ثم تفاوض معهم وأما أخوه عبد الله فانه اذا لم يمضى وقته فى الملاذ والمجون لجأ الى الشحنة مع حاشية الملك ومكث عدة شهور لا يوقع على الأوراق الحكومية بسبب سوء علاقته مع الملك ، وقد وقع أخوه اتفاقية مع الماهراتا عدتها حاشية الملك مهينة وجارحة لكرامة الغول ، فجعل فاروق يفكر فى الخلاص من الشريفين فاستدعى بايعاز من كشميرى أحد وزرائه بولاند خان والى بتنا ونظام الملك والى مراد آباد وراجا آجيت سنج الى دلهى وطلب منهم القضاء على سيادة شريفى بارا ولكن لما أظهر الملك رغبته فى اسناد رئاسة الوزارة الى كشميرى وكان رجلا حقير الطبع لم يظهروا ميلا لتنفيذ خطة فاروق . وكان حسين على خان سمع بذلك فقام بحبشه من الديكان فاصدا دلهى ، وكان يؤيده فريق من الماهراتا وصار يحتل حصنا بعد حصن فى طريقه ، وكان نظام الملك قد بارح دلهى فاصدا مراد آباد ساخطا ، وأما بولاند خان فقد فكر أن يطلق الأحكام ويصير فقيرا ، ولكن عبد الله خان عينه فى كابل ، وأما آجيت سنج فقد تراضى مع الشريف ولذلك لما وصل حسين على خان الى دلهى لم يجد أى مقاومة من قائد من القواد ، وكان القصد الذى أتى من أجله هذا الشريف خلع الملك فاروق ، وأكبر دليل على ذلك أنه حينما قرب من العاصمة جعل يدق طبوله عالية ، وقد كانت تقاليد

المغول لا تميز لأحد أن يقرع طبله على مقربة من مكان الملك فلما سمع فاروق  
أصوات الطبول عالية اعتبرها تحديا لشخصه وسلطانه فانفعل وظهر عليه الضعف  
وأظهر استعدادا للتسليم ، ثم عاد فاستعد لمقاومة الخصومة بمثلها ، فلما جد الجد  
ورأى الأمر محفوفا بالخطر ، رجع اليه خائفه الضعيف ودفعه جبينه الى المفاوضة  
بدل المعارضة وأظهر المحبة بدل الخصومة ، ولم يكن لهذا المسلك المتقلب غير  
نتيجة واحدة وهى خلعها عن العرش ، وقد دخل حسين على خان قلعة دهلى  
وانتهى حكم فاروق ، وكانت الليلة التى وقع فيها العزل مملوءة بالخاوف ولكن لم  
يحصل غير اضطراب بسيط .

---

## حكم رفيع الدرجة

١٩٧١

وجلس على العرش بعده الملك رفيع الدرجة ، وقد اختلف في أمر فاروق فقائل أنه قتل على أثر عزله ومن قائل انه مات سجيناً بعد ذلك بقليل إلا أنه على كل حال كان بين العرش والقبر خطوة واحدة اذ لم يره أحد عقب خلعه ، وكان الذي خلفه أمير من بيت تيمور ومات بعد ستة شهور من بدء حكمه

## حكم رفيع الدولة

كان هذا الملك الجديد من نسل عالم جبر لكنه لم يرث شيئاً من صفاته بل كان العوبة في يد من حوله من الخاشية وتسمى باسم محمد شاه وطال حكمه وظل على العرش تسعة وعشرين عاماً فاضاها مشاهد الانحلال هذه الامبراطورية وتفتك أجزائها وعاش حتى رأت عيناه دخول نادر شاه ملك إيران الى دلهي في سنة ١٧٣٩ ، وكانت أول سنة حكم فيها محمد شاه انقضت فيها سلطة شريفى بارا فان تحكمها صار غير محتمل مما أدى الى استياء الحزب التوراني الذي يرأسه نظام الملك وقد ثار عليها في وقت كانا فيه منهمكين في محاربة أحد أمراء الهندوس واسمه كاييلارام وكان حاكماً في الله آباد ولكنه مات وفاء مكانه أخوه وتملك قلعته وتمرد ورفض تسليمها للشريفين رغم ما بذلاه من الوعود ، واستمرت الحرب ثم عاداً ثانية واتفقا على الصلح وأقسم الراجا على ماء الجانجيز أن يحافظ على عهده ومن مقتضاه تسليم القلعة الى الامبراطور الذي حول وجهه نحو نظام الملك حيث جمع جموعاً عديدة من الديكان وتوجه نحو دلهي . وقد سلمت مدينة برهان بوردون مقاومة وتقدم شمالاً وهزم ديلاور على خان أكبر قواد شريفى بارا ، ثم فيما بعد

هزم عالم خان بن حسين على خان بالتبني ، وقد أحدثت هذه الأخبار انقلابا في  
دلهي التي كان أغلب من بها من المسلمين والمغول يكرهون شريفى ناراما لأظهره  
من التحيز للهندوس راجا راتان شاند الذي كان يدير دفة الأحكام بالنيابة عنهما  
يضاف الى ذلك استياء أعوان الملك فاروق الذي قتله الشريفان ، وكان مما قرره  
الاخوان فيما بينهما أن يهاجم حسين على خان نظام الملك وأن يستصحب معه  
الامبراطور الجديد وأن يبقى السيد عبدالله خان في مدينة دلهي توطيدا للنظام ،  
ولم يكن حسين على قد ابتعد طويلا عن العاصمة حتى فاجأه مير حيدر على الأفغانى  
وذبحه فهاج لذلك أعوان الشريف واتهموا الملك بالتحريض وكادوا يفتكون به  
لولا أن الفريق الذي أيده كان أشد قوة ، ولما وصلت الأخبار الى أخيه السيد  
عبد الله خان بما حصل أتى بامير آخر من بيت تيمور وأجلسه على العرش وجيزله  
جيشا وأخرجه لمقاتلة الامبراطور السابق وتقابل الجيشان وهزم الامبراطور الجديد  
وأخذ أسيرا الى محمد شاه لكنه عفا عنه ، ومات السيد عبد الله خان في أسره في  
سنة ١٧٢٢ . وعاد الامبراطور السابق الى دلهي وعين نظام الملك وزيرا للدولة  
وفي المدة الأخيرة التي ضعف فيها شأن ملوك المغول لم تذكر حركة الماهراتا بشكل  
يفي الايضاح ، ولقد سبق أن ذكرنا أن الأمير أعظم بن عالم جبر حينما كان ينازع  
أخاه على عرش دلهي أطلق سراح ساهو بن سمبهاجى وكانت تارا باى أرملة رام  
راجا الامن الاصفر لسمبهاجى جالسة على عرش الماهراتا اسما ولكنها كانت  
نشطة وذات مطامع كبيرة ، فلم تشأ أن تخلى العرش دون الاقتتال عليه ، وقد  
شجعها أمراء الماهراتا الذين يخدمونها فقد رأوا خدمتهم لها أسهل عليهم من خدمة  
رجل كساهو فاضطر الى مناوئة هذه الاميرة وحاربها حتى احتل ستارا عاصمة  
الماهراتا . ولكن رغما عن ذلك فان تارا باى لم تتنازل عن العرش بل جعلت  
كولابور عاصمة لها وكان معها ابنها الصغير . وقد ساهو شيئا كثيرا من نشاطه

المهراثى بسبب بقاءه محجوزا فى سراى المغول مدة طويلة . ورعما عن أنه حصل على رئاسة طائفته فان كثيرا من القواد حوله أسسوا لأنفسهم امارات اختصوا بها ولا زالت أسرتا «هولسكار» «والجايسكور» صاحب ولاية بارودا يحكمان الى الآن وكان أشهر الأسر التى ظهرت فى عهد ساهو «نيمباجى سنديا» وقد رأى من مصلحته أن ينضم الى صف شاه عالم حينما ثار عليه أخوه كؤم بكس ، وقد أفادته هذه الخطة . ومن الزعماء الذين ظهروا تحت ظروف مجيبة عائلة فاتح سنج وهذا الراجا كان طفلا من عائلة بانسة أتت به أمه ووضعته أمام ساهو حينما كان يقتل قرية تابعة للأميرة «تاراباى» ، وقالت للأمير أنها وهبته هذا الطفل لينشأ فى خدمته فقبله ساهو وكفله حتى كبر وسماه فاتح سنج وعامله كما لو كان أحد أبنائه وهو مؤسس عائلة بنسولا التى حكمت فى ناجيور الى سنة ١٨٥٢ ؛ وفى أيام الحرب بين ساهو وتاراباى صارت بونا مركزا عاما للراجبوت ، وكان حاكم هذه المدينة يؤيد قضية الاميرة تاراباى وحكم هذا المسكان باسمها فقصدته ساهو فى سنة ١٧١١ ولـكنه انتحر بطريقة الغرق قبل وقوع القتال . وكانت عائلة بالاجاى من أشهر المهراثا حتى أنهم بعد سنين صاروا رؤساء اتحادهم جميعا وأقاموا فى بونا وصارت العاصمة ومات ابن تاراباى سنة ١٧١٢ بالجدري ، وتولى بعده أخوه من أم أخرى على عرش كولابور وحكم بالنيابة عنه وزراء من البراهمة ولكن «تاراباى» كانت قد حجرت وفقدت نفوذها ، وفى المدة السابقة صرح ذو الفقار خان للمهراثا فى جباية ضرائب من بعض أجزاء معينة من الامبراطورية مقابل التزامهم السكنية ولكن بعد موت بهادر شاه وانهاء حكم ذى الفقار فى الديكان عادت الأمور الى ما كانت عليه من الفوضى وصارت المهراثا تعبت فى كل مكان فسادا وتسرق كل ما صادفها وكثيرا ما كانوا يجبون الضرائب باسم المهراثا عنوة واقتدارا وكان نظام الملك الذى حكم مدة قصيرة فى الديكان على علاقة حسنة



بعرش « تارا باي » في كولا بور ولكن هذا المكان فقد أهميته باندثار حكامه وصارت الكلمة العليا لساھو ، وكان على شيء من الكفاءة واشتهر بالكرم وكان يصدق المال على كل المؤسسات الدينية لجميع الطوائف وأخصها فريق البراهمة ، ولكن ساھو كان ينقصه بعض صفات الماهراتا وقدرتهم على العيشة القاسية واحتمال المصاعب فانه لم يعيش في الجبال مع حداثة سنه بل كان محجوزا في دلهي وقد أخذ كثيرا من أخلاق الوسط الذي كان فيه عند عالم جير فكان يحب الأبهة التي يألفها أغلب أمراء المغول ووزرائهم ، وكان لا يميل الى العمل كثيرا ويسر حينما يتخلص منه ، ويجنح الى اللهو كصيد الأسماك وصيد الطيور بالصقور ، ولم يدرك أنه موكل اليه أمر الماهراتا الطموحين فقبل أن يعترف بسلطة المغول عليه على أن يتقاضى بعض ضرائب من عدة ولايات يبلاد الماهراتا وفي مقابلها يقوم بإيجاد خمسة عشر ألفاً من الخيل وتدير شؤونها لتكون تحت طلب حاكم الديكان ليستخدمها في أشغال الحيش عند الزوم ، وبالجملة فقد حصلت عدة اتفاقات لم يوقع عليها فكان سكان الجنوب في ظلام وحيرة من حيث معرفة حقيقة موقفهم ومقدار الضرائب التي يدفعونها ومقدار ما يأخذه المغول ومقدار ما يفرضه الماهراتا .

وكان حكم المغول يرمى القانون بعض الرعاية بخلاف الماهراتا فان قانونهم أن لا قانون وقد تراخت الحكومة المغولية في فرض سلطتها بينما كانت مملكة الماهراتا تحتاج الولايات المجاورة لها وترهق أهلها حتى أوصلتهم لدرجة الفقر المدقع إذ كان في كل مكان يأتي الرؤساء العسكريون ويجمعون لحساب أنفسهم من الأهالي وتأتي بعدهم طبقة دونهم وتجي لنفسها شيئا حتى أصبحت هذه الجهات قاعا صنفصفا . فلما عاد نظام الملك من العاصمة ووجد الفوضى فاشية وأن سلطة الامبراطورية جار عليها الماهراتا بأجبر واستخدموها لصالحهم وتوالت عليه أخبار

كثيرة عن مظالم ارتكبها هؤلاء القوم في كل مكان فأمل أن يعمل شيئا يعالج به هذه الحالة السيئة ولكنه كان متحفظا أن ليس من المستطاع الوصول الى غرضه قبل معالجة المركز الرئيسي بدلهى وادخال بعض الاصلاحات عليه فنصح للامبراطور أن يتشبت دائما بالوقار والحزم أمام الناس، وأوفى الحفلات وأن يخصص بضعة ساعات يوميا للنظر فيما يقدم اليه من الشكاوى وأن يقرر العدالة ونصح له أن يظهر حاشيته من أدرانها وأن يعصمها من تداخل النساء المقربات منه واسكن الامبراطور كان صغيرا وتنقصه الخبرة ويميل الى اللهو وكان محاطا ببعض مريديه الذين كرهوا نظام الملك وقاوموه وأخصهم بالذكر « دوران » الذى كان رئيس الحكومة قبل رجوع نظام الملك الذى عاد من أجل الخلاص من دوران خان نفسه وابعاد سيدة من محظيات الملك تسمى لوكي باد شاه اذ كانت تسمى لدى الملك فى مخالفة نظام الملك وقد فكر الملك فى الأمر ورأى أن يعين النظام رئيسا لوزرائه ، وكان متقدما فى السن متحفظا فى الطبع ميالا الى محاربة البدع والملاهى وقد طلب الى الامبراطور اصلاح نظام ضرائب الأراضى وخصوصاً ما تسمى ( الخالصة ) ( هذه الأرض عبارة عن اقطاعيات كبيرة المساحة جدا وموجودة فى كل أنحاء الامبراطورية وكان يمنحها الامبراطور الى بعض الأعيان والمقربين ويعفيها من الضرائب ، ولم يكن هناك أى معنى لاغنائها اذ كان ذلك يفقد الخزينة موردا كبيرا من موارد الإيراد ) وطلب الضرب على أيدي المرتشين من الحاشية ابقاء على سمعة العرش واعادة فرض الجزية وقيل أنه نصح أيضا بمساعدة ايران ضد الأفغان التى كانت تحاربها وكادت تغلب عليها ، ولم يلح فى هذا المطلب بل اعتبره كالياً ، وفى الواقع أن حالة الامبراطورية الهمدية المتسعة المعقدة ما كانت لتسمح بفتح أبواب جديدة والاشتغال بها كمسألة التدخل بين لأفغان وإيران خصوصا وأن الحالة فى ولايات الديكان كانت فى

أشد الاحتياج الى العناية . ولما رأى النظام أن مطالبه لم تحز قبولا طلب الاذن من الامبراطور أن يسمح له باجازة للصيد وخرج وقصد الديكان وأقام هناك لمباشرة الملك والمقاطعات التي كانت خاصة به وأقام بها الى قرب الوقت الذي حضر فيه نادر شاه لغزو الهند ولما علمت حكومة دلهي بأن نظام الملك قام من الديكان فاصدا نحوها أوعزت الى حاكم برهان پور بمجاربته ، ووعدته أنه اذا نجح يأخذ مكانه وحدثت بينهما موقعة قتل فيها حاكم برهان پور . وكتب نظام الملك الى الامبراطور متهمكا اذ قال له انه وجد الحاكم ثائرا فقتله تاديبا له على ثورته وأرسل كما هي العادة الهدية التي يرسلها كل قائد منصور الى الامبراطور وأرسل معها رأس الوالى وكان من ألد خصوم نظام الملك ( باجى داو ) الزعيم الماهرانى الجديد الذى ضاعف قوته فى خلال العشرين عاما التى حكم فيها محمد شاه ، وهو أول من حرض المهرات وجراهم على غزو هندستان وإيقاعها فى الفوضى التى وقعت فيها ولايات الديكان بسبب كثرة اجتياحهم لها ولاكنه لم ينجح أولا فى اقناع ساهو وباقى الزعماء ، لا بمد مفاوضة ولا كانوا يتشاورون تخوفوا أن يكون هذا المشروع كبيرا على قوة الماهراتا اذ قد تغلب عليهم قوى الامبراطورية ونظام الملك الذى كان يخشى منه اذا اشتبكوا فى الشمل انقض على الاماكن التى غزوها واستردها منهم ولاكن باجى داو انبرى لمعارضيه بقوة حجته ولأنه كان فى مقدمة الملمين بأمور الامبراطورية وظروفها أفهمهم أنها سائرة فى طريق الانحلال ، وأنه قد أتيجت لهم الفرصة الآن فى أن يطردوا المسلمين من الوطن وأن يرفع علم الماهراتا من كستنا فى الجنوب الى حصن أتوك فى جبال الهملايا وحررض ساهو قائلا له : « انك ابن شريف لأب محيد فلا تفكر فى صفائر الأمور ودعنا نضرب فى هذه الشجرة التى ذبلت فتنساقط أغصانها »

وأثناء عودة نظام الملك الى الديكان وقبل وصوله اليها قام بولاند خان من

كابل ليتولى حكومة جوجيرات التي كان حامد خان عم النظام واليا عليها ، ولم  
يقبل حامد خان التخلي عن مركزه دون قتال ، فلما دارت الحرب بين لواليين  
ساعد الماهراتا حامدا ؛ وكانت النصرة له في أول الأمر ، ولكن بولاند خان  
احتل أحمد آباد زمنا ولم يكن هذا الوالي محبوبا من حكومة دلهي ، فأرسلت  
الراجا آبي منج ليحل محله فلجأ الى المفاوضات وأرسل مندوبا لبولاند ولكن  
طرده ، ثم سار بولاند نحو خيمة خصمه وتفاعما حيث كانا أصدقاء سابقا ، وكانت  
النتيجة أن بولاند خان سلم الولاية الى آبي منج وهذا الأخير سلمها للماهراتا ،  
وكانت حكومة ملوا يحكمها راجا هندوسي وقد غزاها الماهراتا ، ولم تصل  
للوالى نجدة من حكومة دلهي وكان نظام الملك طول هذا الوقت ينظر الى تطورات  
الأمر دون البت في الأمر ولكن في النهاية عقد النية على أن يطهر هذه المنطقة  
الجنوبية من خصومها ، وقد مدحه كافي خان قائلا : « في وقت قصير استطاع  
نظام الملك إعادة هذه البلاد الى حكم المسلمين وطهرت من أرجاس الكفرة  
الخائنين بعد ما كانت مملوءة باللصوص وقطاع الطرق وكان يغزوها الماهراتا من  
حين الى آخر حتى عطت وسائل النقل وتعسر السير اذ لم يكن بها أمن أو  
ضمان ، وقد كان الماهراتا يمسرون المزارعين عصرا ليدفعوا لهم أتاوات وضرائب  
كل حين حتى صارت الحال فوق طاقة الاحتمال ولكن نظام الملك أزال كل  
هذه المساويء وقضى عليها وأعاد الأمن والسلام الى البلاد وهي المعروفة  
بجيدر آباد ، وكان من مهارته السياسية أن أوقع النفور بين ساهو وحكومة  
كولابور ليصفا لبعضهما ويأمن تضامنها ضده ، ودارت الحرب بين البشوا  
ونظام الملك فانهمزم الأخير وسلم لماهراتا بدفع غرامة لهم وجعل لهم حقا في حصة  
من الضرائب التي تجبى من بعض ولاياته وطلب منه أن يسلم راجا كولابور  
الذي كان ضمن أعوانه فرفض ذلك كل الرفض ولم يتوطد مركز الماهراتا في

جوجيرات وملوا إلا في سنة ١٧٣٢ فلما تقووا بهما فكروا في غزوهندستان  
وبدأوا ففزوا بند لكند وهرب حاكمها الى الله آباد حيث ترك الماهراتا أسبادا  
ودخل الماهراتا بلاد الراجبوت واجتاحوها ولم يظهر من أهلها الشجاعة التي  
اشتهروا بها ولا الجلد بل ظهر أنهم فقدوا مزاياهم الحربية التي اشتهرت أيام أكبر  
وشاه جهان وحصل كل ذلك والملك ومن حوله لاهين بملازمهم نائمين عن  
واجباتهم وكانوا كلما جهزوا جيشا سار قليلا دون أن يؤدي واجبا أكثر من  
مطاردة بعض قطاع الطرق ثم يعود قائده أدراجه ويدخل دلهي دخول الظافر  
المنصور ، ولم يفكر أحد في دلهي في مواجهة الماهراتا الى أن علموا أن باجي راو  
زحف الى الشمال فاضطربت العاصمة لهذه الأخبار وصارت على تمام الاستعداد  
للتسليم بكل طلباته التي غالى فيها كثيرا ، والماهراتى لا يعرف التواضع أو التساهل  
حينما يكون منتصرا فطلب تسليم الهند الجنوبية ابتداء من « شمال » ، ولكن  
بينما كانت هذه المفاوضات دائرة بين باجي راو ودلهي اذا بسعادات خان في  
سنة ١٧٣٦ عبر الجانجيز من أوربا ويطرد فريقا كبيرا من الماهراتا حتى عبروا  
نهر الجننا ، فلما وصلت أخبار انتصاره الى دلهي قاومت في التسليم واستصغرت  
شأن الماهراتا ولكن باجي راو أقنعهم أنهم كانوا واهمين اذا اسرع ومشى رأسا  
الى دلهي ، إلا أنه كان خائفا من أن ينتهز نظام الملك اشتباكه مع الجيش  
الامبراطورى ويبتاع أملاكه في الجنوب فاكتفى بغرامة قدرها مليون وثلاثمئة  
ألف روبية وتحول نحو الجنوب ونجاة ظهر النظام في العاصمة وطلب ولايتى ملوا  
وجوجيرات لابنه غياث الدين فأجيب طلبه مقابل طرد الماهراتا منهما ووقعت  
بينهما معركة في بهدبال وأخطأ نظام الملك لأنه تحصن ولم يهاجم خصمه الذى  
لم يكن عنده مدفعية قوية كمدفعية النظام وتكاثرت الماهراتا حوله فقلت مؤونة  
جنده وبعد محاولة ابنه فى الوصول اليه لامداده فشل فى ذلك ، واضطر للتفاوض



حيث تنازل عن ولاية ملوا لغاية شمبال ونهر التريدا . وقد وافق نظام الملك على هذه الشروط وتعهد باقرارها لدى الامبراطور ومطالبته بغرامة للهاراتا قدرها خمسة مليون روبية وقال باجى راوانه حاول أن يحصل على غرامة من النظام نفسه فلم يمكنه لأنه كان ضئيلاً بماله ولم ينشبت الراجا .

وفي سنة ١٧٣٨ صارت الامبراطورية لا توجد إلا إسماءً وخصوصاً في جنوب الهند وصارت المهاراتا تحكم جزءاً ونظام الملك جزءاً آخر وكان مع ذلك الجزء الثانى الذى تحت سلطة الامبراطورية يحكمه ولاية شبه مستقلين كما كان الحال فى أودا وكابل وبهار والبنغال وكان ولايتهم من أكفا الرجال مثل سعادات خان وعلى وردى وظهر زعيم من الجات وجعل مركزه فى بوهارتابور وصار يسرق يميناً وشمالاً ما بين دلهى وأجرا ، أما البنجاب فلم يثره إلا السيک مرة واحدة وظل هادئاً مدة عشرين سنة حتى جاء نادرشاه وغزا الهند فقام بعض الهياج وفى نفس دلهى وقعت الاضطرابات مراراً فى أثناء الاحتفالات الدينية واحتلت الجماهير المدينة لمدة أيام ، وهذا وصف مختصر للحال التى كانت عليها الامبراطورية عند دخول نادرشاه ملك فارس فى سنة ١٧٣٨ . وقد احتل العاصمة وأباحها لعسكره لعدة أيام بناء على اعتداء وقع من الأهالى على الجند بعد أن عسكر بها وعلى أثر ذكر نادرشاه يجب أن نرجع قليلاً الى التاريخ القديم فى القرن السادس عشر جلس الشاه اسماعيل كأول حاكم وطنى على ايران بعد قرون عديدة حكمت فيها هذه الأمة إما واسطة العرب أو حكام من التركان وقد كان قريباً لمرزا بابر ولما فرهايون الى ايران بعد أن هزمه شيرشاه كان وقتها حاكم ايران يعتبر من أكبر ملوك الشرق ولمدة سنين قليلة ارتفعت ايران فى مركزها ارتفاعاً كبيراً مدة حكم الشاه عباس الذى كان يلقب بالعظيم ، ولم تكن هذه التسمية نتيجة تماق بل عن استحقاق . وقد مات فى نفس الوقت الذى مات فيه شاه جهان وعلى أثر موته

ابتدأت دولة ايران تضمحل وانها وإن كانت احتلت قندهار سنة ١٧٢٣ من شاه جهان فانها كانت تضعف شيئاً فشيئاً ، وبعد ذلك هاجم ملك الأفغان حسين شاه الفرس الضعيف وهو ابن الشاه عباس العظيم ، وقد هزمه بعد أن حاصر إصفهان لمدة شهر حتى وقعت في مجاعة ، ولم يكن محمود الأفغاني الا جزاء ، وكان حكمه سلسلة مذابح ولما مات وجد وريثه وهو ابن عمه أشرف أن البلاد التي تحكم بالدماء لا تلبث طويلاً حتى تحرر ، وفي مدة الشاه طهاسب طرد الأفغان منها ولكن لم يكن الفضل الا لنادرشاه الذي كان الحاكم بالفعل وكان تركماني المولد من أبناء القبائل الراحلة التي كانت تنتقل من مكان الى مكان وقد صار فيما بعد نادر الشاه الحقيقي ، وقد استهل حكمه بمحاولة تغيير مذهب ايران الديني اذ كان يريد أن ينقلها من الشيعة الى المذهب السني ولكنه فشل في كل مرة كان يحاول فيها تحقيق هذه الرغبة وكان لديه شواغل أهم من تغيير المذهب الديني وهي ارجاع حدود مملكته الى الحدود الأصلية فأخرج الأفغان كلية من ايران ، ووجد أن من الضروري احتلال قندهار وقد استتب فيها الحكم لأحد الأمراء الأفغانين فكان من نصيب هذا الحاكم أن يصطدم مع نادرشاه في المدينة المذكورة ودارت الدائرة على هذا الأمير الافغاني فحسر بالسيف ما كسبه سابقاً به وترك امارته فاحتلها نادرشاه وهذه خطوة كبرى في سبيل ارجاع ايران الى حدودها الأصلية وقد تحققت هذه الأمنية حينما حارب الروس والأتراك في شمال ايران وغربها وطردهم منها ، ولما عادت ايران الى مكاثرها الأولى لم يقف عند هذا الحد بل كان هذا الملك كبير المطامع واسع الهمة فصرف عمره في الحروب الى آخر يوم من حياته ، وقد احتل العراق العربي وولاية أذربيجان وجزءاً من القوقاز ، وكاد في عهده أن يصير بحر قصبين بحيرة إيرانية ، وخاضت جيوشه عدة حروب في أواسط آسيا واحتل مملكتي بخارا وخيوا ،

ولم يقتصر على كل هذه الفتوحات الواسعة بل انه حينما فتح قندهار كان قريبا من حدود الهند التي كانت حالتها السياسية كمرجل يفل ، وقد قامت فيها قيامة الهندوس على المسلمين في عهد محمد شاه امبراطور دلهي و كان حاكما ضعيفا طمع فيه الولاة ، فصار كل واحد منهم . يقطع جزءا من المملكة ويستقل به ورأى بعض الوزراء المسلمين أنه ربما كان من الخير الاستنجاد بنادرشاه وقد طلبوا منه سرا التدخل دون علم من ملوكهم الذي كان يقضى يومه في الخمر ويبدأ ليله بتعاطي الأفيون مما أفقده همته وكثيرا من عقله وقد أخبر الوزراء نادرشاه أنه اذا لم تصل جيوشه لانقادم وقعت هذه الامبراطورية في أيدي الماهراتا والسيك وباقي الهندوس . علاوة على ذلك فقد لوحوا بكنوز الهند المقدسة في دلهي مما أثار رغبته في الحرب وقد كان المشروع الذي يطلب منه تنفيذه من الخطورة بمكان عظيم لأن الهند بلاد متسعة حتى أن ولاية واحدة من بعض ولاياتها تزيد في السكان عن ايران . وكان جيش نادر من يوم أن جلس على عرش طهماسب الحاكم السابق لم يذق جنوده طعم الراحة ، ولم تكن من عنصر واحد ولا من قبائل مؤتلفة مع بعضها بل كان مكونا من فرس وترك وأفغان وأزيك ، ولم يكن ارتباطه بهذه الأجناس موروثا عن والده بل كان حديثا ولم يكن طال أمد اتصافهم به بل ان أغلبهم انضم اليه طلبا للمقام والاسلاب وجند هذا دأبه قد يكون خطرا ولكن نادر كان رجلا بمعنى الكلمة فقد جمع مع حسن الادارة ومهارة القيادة وكان منظما للجنود حتى أنه حين استخدمه الشاه طهماسب الضعيف ليثبت ملكه رأى بثاقب بصره أن حالة الجند الأوروبي أصبحت متفوقة على الجنود الشرقية بسبب نظامها أولا وبالأسلحة الحديثة ثانيا . فلم يقف جامدا ازاء هذه الحالة بل دفعه فكره أن يستخدم مثل هذه الأسلحة ويستفيد من هذه النظم حتى أنه استعان ببعض الانجليز في استيراد الأسلحة وفي

صنعها وصنع المراكب لبحر قصبين وخليج فارس ، على العموم فقد كان رجلا مجددا نشطا فكل قديم غير صالح أزاله وكل حديث رآه نافعا اقتبسه . وكان جنده شديد الهيبة له اذ كان لا يتردد أن يطوق فصيلة من عسكره بمربع من الجند ويأمر بابادتها اذا عصت أو امره وبهذه الطريقة أدخل النظام على جيوشه وأمن من عوامل الفوضى فيها يضاف الى ذلك أن المكاسب الكبيرة التي عادت على الجند وضباطهم بسبب ما أخذوه من الأسلاب والغنائم كانت مغرية لهم وبذلك جذب الآلاف الكثيرة من المجندين الى جيشه ، ولولا ذلك لكانت كثرة فتوحاته وتعدد غزواته تقضى على العدد الأكبر من جنده بسبب كثرة القتل وتفشي الأمراض خصوصا وأن معاركه كانت لا تنقطع فيصبح الجيش عاجزا ولكن مهارته في القيادة وبعد نظره عاجزا كل هذه المسائل فتغلب على أكبر المصاعب ودخل الهند نجدة للمسلمين بدلى الذين استغاثوا به فاخترق جبال همالايا الوعرة ودخل أرض الهند ، ولم يكن بينه وبين الامبراطور محمد شاه سابق اتفاق ، بل كل ما حصل جاء من ناحية الوزراء الذين اهتموا بأمور المسلمين أكثر من عرش سيدهم وقد تحققت غايتهم ودارت موقعة بين نادر شاه وجيش المغول بمدينة كارناك ، ولم يقبل نظام الملك تأييد الامبراطور بل بقي بعيدا بجيشه ينتظر الحوادث ، ولم يطل أمد القتال وكانت الخسائر طفيفة من الطرفين ولكن قتل القائد المولى داوران خان وأسر القائد الآخر سعادات خان ، وعلى أثر ذلك انهزم جيش المغول وفر من القتال وقد فكر نادر شاه في أن يكتفى بهذه الموقعة ويرجع الى بلاده بعد عقد محالفة ودون التوجه الى دلهي وذلك بسبب ما قاماه الجيش من طبيعة البلاد الهندية المرهقة لجنده ، ولكن سعادات خان القائد المغولي نهاه عن عزمه وأظهر له ضرورة دخول دلهي حفظا لمركز المسلمين هناك وسهل له الأمر وكانت المسئلة مغرية لأنه اذا نجح فيها يصبح

لا يعدله في الشرق ملك آخر من حيث فتوحاته وسعة ملكه فاندفع في طريقه نحو العاصمة وإذا بالأمبراطور يحضر راجيا منه عقد الصلح فأفهمه نادر شاه أنه لا يمانع في ذلك ولكن يجب اتمامه في مدينة دلهي ليمكن جيشه من الاستراحة بعد العناء الذي قاساه فدخل الامبراطور المقهور ومعه الشاه المنصور الى المدينة . وكان الهدوء شاملا ، ولكن قامت اشاعة بأن نادر شاه قد مات ، وبعضهم يرويها بأن الموت كان عاديا والآخر يقول أن امرأة ( دخلت عليه فطمنته فسقط قتيلا وقامت على أثر هذه الاشاعة الاضطرابات في المدينة ، وصار الهنود كلما وجدوا جنديا أو شرذمة صغيرة من الفرس فتكوا بها فأثار ذلك المسلك غضب نادر شاه فأمر جنده فورا باخضاع الحركة دون رحمة وكانت فرصة ثمينة يتمناها أغلب الجند فانبروا لتنفيذ هذه الأوامر وأمعنوا في السكان ذبحا ولم يكتفوا بمن كانوا في الشوارع بل صرخوا يقتحمون الأماكـن التجارية على أصحابها والبيوت على سكانها فيقتلونهم ويسلبون منهم كل ثمين وساءت الحال وانتشرت النار نلهم البيوت وغيرها واشتد هول المصاب حتى أن بعض السكان كان يقذف بنفسه في النيران فرارا من الشقاء الذي وقع عليهم وذهبت المدينة فريسة للقتل والسلب والحرق فأعاد لها نادر بذلك عهد تيمور الذي كان مضى عليه ثلاثة قرون ونصف بل ربما كان ما عمله نادر أشد وقعا على هذه المدينة وقد ذهبت ثروتها وانكشفت عظمتها المادية حتى أن جيوش الانجليز لما احتلتها على أثر اقراض الحكـم المغولي لم ترت من دلهي غير اسمها التاريخي ولم يخرج منها نادر شاه حتى أخذ كل مكنوز بها من ذهب وفضة وجواهر ومن بين أسلابه عرش الطاووس الذي تقدر قيمته بستة ملايين من الجنيهات وجوهرة كوهن نور التي تزين الآن تاج ملك انجلترا وبالاختصار فكل ثمين جمع من عهد تيمور الى غروة نادر جمع كله في أمد قصير ونقله الى فارس . ولم يرح المدينة قبل





### المسجد الكبير بهرلى

أن تم تصفيتهما من كل ثمين وزاد على ذلك أنه زوج ابنه بأميرة من سلالة شاه جهان ولم يعزل نادر الامبراطور محمد شاه عن عرشه بل أبقاه عليه تحت حمايته وبقي حاكما بالاسم على الولايات المجاورة لدلهى ويكاد من هذا التاريخ يعتبر المغول اسما على غير مسمى إذ صار كل جنوب الهند فى قبضة نظام الملك والمهاراتا ، وأما شمال الهند فقد كان عبارة عن ولايات وممالك يتبع أصحابها المغول اسما . والواقع أنهم صاروا الحكام الحقيقيين ، وبعد مضى ثلاثين عاما على هذا التاريخ أى دخول نادر الهند وكان فى سنة ١٧٣٩ أمراء المغول تحت ما يشبه الوصاية عند شركة الهند الشرقية التى حصلت على اعترافات رسمية بأحقيتها فى ادارة عدة حكومات أهمها البنغال وبيهار وأوريسا وقد أتى وقت قصير بعد ذلك صار المغول فيه تحت وصاية رعاياه السابقين وهم طائفة المهاراتا وبعد انقضاء عشرين سنة على دخول نادر شاه الهند غزاها ثانية أحمد شاه المبدلى

الأفغانى . ولم تكن غزوة هذه المدة موجهة ضد المغول بل كانت ضد فاهريهم  
أى الماهراتا ، وقد وقعت بينهما موقعة عنيفة فى سنة ١٧٦١

وكان يتوقف عليها كل مستقبل الهند وفيها تمزقت قوى الماهراتا ولو أنهم  
لم ينجسوا بجيش عبدلى لاحتلوا عرش دلهي ، وقد سهلت هذه النتيجة للانجليز  
دخول الهند ولو أن الماهراتا لم تقهر لتغير التاريخ هذه البلاد بل وتأثر به تاريخ  
العالم اذ لو لم تملك انجلترا هذه المستعمرة لما صارت فى مركزها الحالى بين الدول  
ولكانت حقت مدينة أسبوية على يد أمة الماهراتا

## عهد الانحلال والفوضى

بعد عودة نادر شاه الى بلاده دبت الفوضى وانتشرت الحروب الداخلىه فى  
كل مكان ولم يكن الحكم للأصلح بل صار الحكم للأقوى ولما صار امبراطور  
الهند ضعيفا أصبح يتقاسم تركته الأقوياء من أمراء المسلمين وغيرهم من الماهراتا ،  
وان عدم جلوس امبراطور قوى بعد عالم جبر مهد السبيل الى الماهراتا أن تتقوى  
شيثا فشيثا . ولم يكن للحكام فى كل الهند تقريبا سلطة إلا بالاسم ،  
فلامبراطورية لم يبق لها سلطان على الملك والمالك كانت مقسمة الى ولايات  
وفى كل ولاية حاكم يكاد يكون مستقلا عن ملكه وبذلك صارت الامبراطورية  
ليست مجزأة الى عشرة أقسام أو مئة فقط بل لهذا الشكل صارت مجزأة الى ألف  
جزء كل جزء منها يتولى أمره حاكم يحكم فيه لصالح نفسه وشبعت عائلات فى  
هذا العهد كبيرة وقوية مثل بشوا وهولسكار وجايكوار وحيدر على والنظام  
ولقد عاش محمد شاه تسع سنين بعد أن قهره نادر شاه . وتولى بعده امبراطوران  
ضعيفان حكم أولهما ست سنوات وحكم ثانيهما خمسة سنوات وقد قتله نظام الملك  
وحكم بعده شاه عالم الثانى وكانت مدة حكمه سبعة وأربعون سنة أى لغاية

سنة ١٨٠٦ وقد عاش الى أن رأى للانجليز السيادة على دلهي ولم يكن لهذا الامبراطور الأخير أى سلطة حقيقية على أى جزء من الامبراطورية التى تولى على عرشها ووقعت فى أوائل حكمه حرب الماهراتا التى قهروا فيها سنة ١٧٦١ كما ذكر من قبل وقد أثبتت الحروب التى دارت على مدى القرون المتعددة بين الهنود والشعوب التى جاءت من وراء الهملايا كالترك والأفغان والتتار والفرس أن الهنود أضعف فى الحروب من هذه الأجناس الشمالية ، التى كان جندهم أقوى أبداً وأشجع جناناً ، والحرب التى دارت رحاها بين الماهراتا والعبدلى قضت على أحلام الماهراتيين الذين اتسمت مطامعهم حتى صاروا يتطلعون الى حكم الهند بأسرها ابتداء من رأس كومورين فى الجنوب الى حصن أركوت عند جبال هملايا وبعد ذلك لم يبق أمام الانجليز إلا فريق عاطل من أمراء المغول الذين أفسدتهم الرفاهية والانغماس فى الشهوات والذين ادبرت أيامهم واندثرت قوتهم ولولا هذا الطرف لما استطاع الانجليز بمثل القوة الضئيلة التى كانت تحت يدهم والتى كان أكثرها من عناصر هندية مأجورة أن يتغلبوا على الهند فيمتلكوها ولقد كان أكبر مساعد لهم على تحقيق هذا الحلم الاستعماري استمرار الحروب الداخلية الكثيرة فى كل مكان . وهى التى جعلت الهنود يسفكون دم الهنود فزادتهم ضعفاً اذ لم تكن سيوفهم مصلته على أعداء الهند الأجانب بل على أبناء الهند أنفسهم .

وقد سطا الانجليز على هذه البلاد الواسعة وصارت فى حوزتهم غنيمة باردة لم يدفعوا ثمنها بل دفعه أصحاب الهند أنفسهم بسبب انغماسهم فى الشهوات والخلاقات الطائفية التى قضت على أخلاقهم فجعلتهم لا يصالحون لحكم ولا يحتفظون بملك ، وصاروا عبيداً لشهواتهم فاصبحوا فريسة لغيرهم .

## مبدأ الاستعمار الأوروبي

كانت موجات غزو الهند تأتي تباعا من الشمال الغربي يقوم بها المسلمون مرة بعد أخرى ولكن الأوروبيين الذين غزوا الهند وأقاموا بها بعد المسلمين جاءوها من ناحية البحر وعلى الأخص من ناحية الجنوب وكان أول من أذاع شيئا عنها في أوروبا و ذكر الكثير عن حاصلاتها وخيراتها فاسكودى جاما البرتغالى الذى استصحب معه بعثة ووصل الى مدينة كاليكوت فى سنة ١٤٩٨ وأقام هناك ستة شهور وقابله بالعداوة العرب الذين كانوا يحتكرون تجارة البحار الهندية وقابل جاما الراجا الهندوسى الذى يحكم فى جايانا جار وقد أعطاه كتابا الى ملك البرتغال مضمونه كالآتى :

(أخى . . .

رأيت رجلا شريفا من أقاربك وسرتنى رؤياه كثيرا ، ويوجد فى بلادى كميات وافرة من القرفة والزنجبيل والفلفل والأحجار الثمينة وكل ما يلزم لنا مقابلها من بلدك هو الذهب والفضة والمرجان )

ولما عاد جاما الى بلاده قوبل باحتفال عظيم فانه اذا كانت اسبانيا كشفت الهند الغربية فقد اكتشف جاما للبرتغال الهند الشرقية وقد أثار هذا العمل العظيم حماس البرتغاليين لفكرة تملك مستعمرات جديدة فى الشرق وفتح أسواق تجارية ، يضاف الى ذلك ما كان لديهم من الرغبة الصحيحة فى التبشير بالدين المسيحى فأوفدوا مع جاما ثلاثة عشر مركبا واثنى عشر ألف جندى ، وكذلك أرسلوا مع قائد آخر ألف وخمسمئة جندى وطلب منهم أن يحاولوا الدخول فى الهند بالحسنى فاذا لم يستطيعوا فبالسيف ، ووصلت أخيرا هذه القوة الى كاليكوت

وأنشأت بها فابريقات ثم توسعت في حطتها وأنشأت مصانع أخرى في كوشين  
رغما عما قوبلوا به من العداوة التي أبداهم سكان هذه الجهات ، وقد حصل  
ملك البرتغال على فرمان من البابا رصمه فيه سيديا لبحار العرب والمعجم والهند  
والحبشة ، وفي ثاني مرة عاد جاما الى الهند بعشرين سفينة وعقد محالفة مع  
بعض الراجات الهندوس ضد صديقه الأول راجا فيجايا ناهار وفي سنة ١٥٠٩  
وصل الموكرك البرتغالي وفرنسيسكو الميدا واحتلوا ثرجووا ، واتسمت أملاكهما  
بالهند . وفي خلال قرن واحد يبدأ من حوالى سنة ١٥٠٠ الى سنة ١٦٠٠ ميلادية  
تقريبا تمتع البرتغال باحتكار التجارات الشرقية ولكن في أواسط هذه المدة  
بدأت ولايات كثيرة تسقط في يد المسلمين ، وبدأت أيضا تجارة البرتغال في الهبوط  
والمدة الأخيرة التي مضاهها البرتغال كان يتخللها نضال مستمر مع المسلمين ولهذا  
السبب اشتد العداء بين المسيحية والاسلام ولم تطلق البرتغال الصغيرة رغم قوتها  
أن تثبت في نضالها أمام مسلمى الهند خصوصا وقد ساعد هولنديون والانجليز  
الذين بدأوا في الظهور وانهمزمت البرتغال على يد هولندا في أواسط القرن السابع عشر  
وشيد الهولنديون لأنفسهم مراكز تجارية في أرخبيل الهند الشرقية وصارت  
لهم محطات في جزائر جاوه وسومطرا واشتدت سطوتهم هناك حتى خافها الانجليز  
واكتفوا بالهند الأصلية خصوصا بعد موقعة أمبويينا سنة ١٦٢٣ وذلك مما ساعد  
الانجليز فيما بعد في التغلب على الهند والاستئثار بها ، ودامت المواقع البحرية بينهم  
وبين خصومهم الهولنديين لغاية سنة ١٦٨٩ ولم يستطع الانجليز التغلب عليهم الا  
في سنة ١٧٥٨ بواسطة « كليف » ، كذلك تم تغلب الانجليز أيضا على البرتغال  
قبل ذلك بمدة طويلة ، ورضخت الأخيرة لفتح موانئها بالشرق الى الانجليز وقد  
كانوا يطمعون في الاستيلاء على بومباي ولكن لم يستطيعوا ذلك بالقوة الا أن  
الظروف ساقها اليهم حيث قدمت لهم كهر لأميرة براجنزا التي تزوجت شارل  
الثاني ملك إنجلترا



## حركة قومية ضعيفة

حاول الهنود أن يثبتوا عرش الممول الذي كان يتداعى الى السقوط فقامت لهم حركة ضد الانجليز على يد أمير يرتبط تاريخه بأيام عالم جبر اذ كان الأمير الحاكم على ولايات البنغال سنة ١٧٠٧ يسمى مرشد كولى خان وظل حاكما عليها بنجاح لمدة احدى وعشرين سنة ، وكان للانجليز والفرنسيين والهولنديين فاوريات على سواحل ولايته وابتدأ من هذا الحين يظهر شأن شركة الهند الانجليزية الشرقية وقد ذهب أعضاء هذه الشركة الى الهند تدفعهم رغبة الاتجار لا الاستعمار ولكن فشت ثروة الشركة ونمت مصالحها واتسعت سلطتها وكثر عدد عمالها فصارت صاحبة السلطان لما بها من الأموال والرجال وكان كثيرا ما يقع بينها وبين الهنود منازعات دعت الشركة في آخر الأمر الى تنظيم هيئات عسكرية للمحافظة على مصالحها وأموالها ، فاستخدمت لهذا الغرض بضعة آلاف من الجنود الانجليزية والهنود المأجورة وكانت لها عدة محطات من أهمها مدراس وبنباى وكلكتوتا ، وفي سنة ١٧٥٦ صار حكم البنغال في يد سراج الدولة وهو من نسل مرشد كولى خان المشار اليه سابقا ، وقد اختلف سراج مع الانجليز حينما علم أنهم ينشؤون حصونا واستحكامات حول مدينة كلكتوتا ، ولأنهم آووا اليهم خصما من خصومه ، فاعد سراج الدولة جيشا يبلغ خمسين ألفا وهاجم به حصون كلكتوتا الجديدة واقتحمها بعد دفاع لم يطل أمده وفر فريق من الحامية وأسروا من بقي من كلكتوتا من الانجليز وكان يبلغ عددهم ١٤٦ وأودعوا في سجن كلكتوتا الأسود الى أن ينظر في شأنهم وكان هذا السجن ضيقا تبلغ مساحته ١٨ قدما × ١٦ قدما فحشروا به جميعا وعلى ضيق هذا المكان كان الوقت صيفا فاخفق كثير من الانجليز ولم ينج منهم في ثلثي يوم من سجنهم غير

ثلاثة وعشرين شخصا أطلق سراج الدولة سراحهم ويظهر أن ما وقع لهم من النكبة لم يكن عن رغبة منه بل ان فريقا من ضباطه كانوا يكرهون الانجليز فانهزوا فرصة القبض عليهم وقسوا في معاملتهم حتى وقعت لهم هذه الكارثة التي ترتب عليها أن وضع الانجليز نظاما عسكريا وسياسيا استطاعوا به أن يحكموا الهند وقد اهتموا بتدريب عسكرهم وصاروا يتدخلون بين الحكام الهنود ويشيرون بينهم العداوة والبغضاء فاحتلوا بهذه الوسيلة ولايات الهند شيئا فشيئا خصوصا وقد خلا لهم الجو من منافسة الفرنسيين الذين كانوا يزاحمونهم في امتلاك هذه الامبراطورية الواسعة ولكن بمهارة اللورد كليف في الشؤون الحربية وبسبب دهائه السياسي صارت الغلبة للانجليز ، وهو الذي انتصر على خصومه في سنة ١٧٥٧ في موقعة بلاسى وكان جيش سراج الدولة يبلغ ستين الف جندي بينما كان جيش كليف يتسكون من الف جندي انجليزى وألفين من الجنود المأجوره ، الا أن انتصار الانجليز لم يتحقق الا بسبب خيانة أحد الأمراء وهو ميرجعفر الذى انتقض على سراج الدولة في أثناء الموقعة ومما يدعوا الى الدهشة أن لا تتجاوز خسائر اللورد كليف اثنين وعشرين قتيلًا وخمسين جريحًا

### تمرد الهنود على الشركة (سنة ١٧٥٨)

وعلى أثر هذا الانتصار بدأت صولة الانجليز تدخل في دور شديد الخطر على استقلال الهند فان موقعة بلاسى أعقبتها عدة مواقع بين جيش الشركة والأمراء الهنود وعلى توالى السنين صارت الامارات تدخل تباعا مرغمة أو مخدوعة تحت سلطان الحكم الانجليزى ومن أجل هذا نشأت روح جديدة من الاستياء بسبب تسلط الانجليز على حرية الهنود خصوصا وأن الشركة في كثير من الأحوال كانت تقوم بعزل الأمراء من هندوس ومسلمين وتعين فريقا آخر

غيرهم من منافسيهم فتكونت حركة معارضة زكاها الامراء والوزراء المفصولون عن العمل وكل من كان يلوذ بهم ويستفيد من نفوذهم ، يضاف الى هذا أيضا أن الكثير من موظفي شركة الهند الشرقية الانجليزية كانوا تحت سلطان المطامع الشخصية يجورون في معاملاتهم مع الهنود ويستعملونهم استغلالا مرهقا ، وقد نمت حركة الاستياء والانتفاض هذه وترعرت تحت رعاية بهادر شاه الثاني وهو والى الشرعى ووارث عرش المغول بدلهى والذي لم يكن له وقتئذ من السلطة إلا اسمها ومن القوة إلا شبحها ولم يكن ينتظر من بهادر أن يحرك ساكنا أو أن يفكر فى أن يسترد نفوذه المسلوب وساطته المقتصبة وقد اكتفى بعاش كبير كان يتقاضاه من الشركة ورضى بالعيش فى هدوء ، واكتفى بالانعاس فى أنواع الترف والملاذ التى كانت أسبابها متوفرة لديه ، الا أنه فى أواخر أيامه تزوج بأميرة هندية فرزق منها بولد واتفق أن أكبر اخوته من أم أخرى كان ولى عهد لأبيه الا أنه مات فى حياة والده فانتهرت الزوجة الجديدة هذه الفرصة وأرادت ان تعين ابنها وليا للعهد فقبل والده ذلك الا أن الانجليز وقد أصبحت لهم الكلمة العليا فى الهند لم يوافقوا على تعيين ابن بهادر شاه وليا للعهد فامتلات أمه غيظا من الانجليز وزجت بنفسها فى تيار المعارضة الذى خلقته ظروف حكم الشركة السيئ . وقد عملت الأميرة على بث روح الاستياء واشعال نار الثورة ضد الانجليز فصادفت كثيرا من النجاح خصوصا وأن جيش الشركة كان أغلبه من الجيود المناجورين السيوي والذين تمردوا على الانجليز وبدأ تمردهم يأخذ شكلا خطرا فى الاسبوع الأول من شهر يونيو سنة ١٨٥٧ ، واندلعت نار الفتنة وتمرد الجيش فى عدة أماكن وانضمت اليه الجماهير وابتدأ أثر الاعتداء يقع على حياة الانجليز وأملأهم فى أنحاء متعددة أهمها الكناز وفاروق آباد وأجرا ودلهى وكاونبور وهى التى رفع بها الأمير نانا صاحب الهندوسى علم الثورة ، وقتل

كثيرا من الانجليز الذين وقعوا في قبضة يده ، وظل نطاق الثورة يتسع حتى  
نودى بهادر شاه ملكا على الهند بواسطة ( الباراتوبي ) ( أى مجلس الاثنا عشر  
رأس ) وهو الذى كان يدير حركة الثورة ولكن ثبات الانجليز وتفرق كلمة  
الهنود وتناقض مصالح رؤسائهم وطوائفهم الدينية كانت السبب الأكبر فى  
اخفاق هذه الثورة التى انتهت بالفشل وانهازم بهادر شاه الذى قبض عليه حيث  
وجد مختفيا فى مدفن هايون شاه وحاكمه الانجليز واتهموه بالثورة وقتل  
الأورو بين وظلت محاكمته شهران وحكموا بادانته الا أنهم خففوا الحكم عنه حيث  
اتضح لهم أنه كان تحت ضغط الباراتوبي واستبدلوا اعدامه بالسجن طول حياته  
ونفى فى مدينة رانجون حيث مات هناك سنة ١٨٦٢ ، وكان من أشد ما يثير الألم  
والحزن أن هذا الأمير حينما أمر جاء الضابط الانجليزى هدسون بأبنائه الثلاثة  
وأعدمهم أمام والدهم وبذلك انقرض أيضا حكم المغول وأصبح الانجليز يتحكمون  
فى أشخاص الهنود وأوطانهم ويتصرفون فيهم تصرف السيد فى العبيد قبل إلغاء  
نظام الرق وقد انتقلت سلطة الحكم من يد الشركة الى التاج البريطانى حيث  
أعلن ذلك رسمياً فى سنة ١٨٥٧ ، ولا زالت الهند ترزح تحت سلطان الانجليز  
وتقاسى الأهوال والعذاب ، وقد توطد الحكم للانجليز ودانت البلاد لهم  
وخضعت الجماهير تحت ظلمهم المنظم واستعبادهم الجسيم ولكن بوادر الخطر على  
نفوذهم ابتدأت تتجمع ويبدو منها أن حكم الانجليز أصبح مهدداً ويأتى هذا  
الخطر من ناحية اليابان فهذه الدولة الفتية نفضت عنها الجود الذى استخور على  
الأمم الشرقية واقتبست من النظم الأجنبية ما يلائم نهضتها وقطعت شوطاً عظيماً  
فى سبيل التقدم سبقت به من معها وفازت على من سبقها وصارت فى مقدمة  
الدول القوية الممتازة وظهرت عظمتها فى الحرب الروسية اليابانية سنة ١٩٠٤ حيث  
قهرت حكومة القيصر واحتلت مملكة كوريا ولم يمض زمن طويل على ذلك

حتى وقعت الحرب الأوروبية العامة التي أنهكت أوروبا وشتت كلمتها وحولتها مؤقتاً عن الاهتمام بالشرق فوجدت اليابان الفرصة سانحة في أن تقوم بمجهود أكبر واحتلت منشوريا وأعلنت الحرب أخيراً على الصين وبدل سير الأمور هناك على أن النصر صار محققاً لليابان وهي التي أصبح شعارها الآن (آسيا للأسيويين) ، والذي يدرك المجهود الذي بذلته أمة الميكادوا والانتصارات التي حازتها في وقتنا هذا يحكم أن شعارهم سيتحقق عملياً خصوصاً وأن الانجليز بما طبعوا عليه من شدة الطمع يضعون العراقيين في وجه اليابان فيما يتعاق بتجارتهما في البلاد الراضخة للنفوذ البريطاني ، واليابان وهي بلاد كثيرة السكان ضيقة المساحة ستدفعها الحاجة حتماً إلى توجيه ضربة قاضية إلى النفوذ البريطاني في الشرق ، ومن الآن لا يمكن أن تعيش اليابان راضخة إلى التحكم البريطاني وستجد نفسها مضطرة إلى مناوأة الهند .

وأما الخطر الثاني الذي يستهدف له الحكم البريطاني في الهند فهو من ناحية البلاشفة فالثورة البلشفية ليست ثورة قومية يراد بها تحرير الأمة الروسية بل هي ثورة عالمية يراد بها تحرير العمال من الحكم الرأسمالي وهم يوقنون أن الرأسمالية والبلشفية نظامان متنافران لا يمكن أن يعيشا بجانب بعضهما طويلاً ، لذلك سعت روسيا أولاً في بث دعايتها بأوروبا فوجدت في الوقت الحاضر ألمانيا وإيطاليا حائلاً قوياً دون تحقيق غرضها لذلك لجأت إلى جهة أخرى وهي آسيا وصارت تبث فيها دعايتها وبنوع أخص في بلاد الهند والصين ، وهذه مسئلة أثبتتها وقائع رسمية إذ أن البوليس الانجليزي حاصر « أركوس هاوس » حيث يوجد مقر الوكالة البلشفية في لندرة فوجد به وثائق تثبت صراحة عظم المجهود الذي يبذله البلاشفة في إيجاد ثورات تيموعية وتشكيلات بلشفية في كل من الهند والصين إلا أن الدعاية الخطرة التي تقوم بها روسيا الآن ابتعدت مؤقتاً لأن



التعاليم الشيوعية التي كانت تغلغل في الصين لم تمهلها اليابان بل ضربتها ضربة تكاد تكون قاضية فأجلت الخطر على النفوذ البريطاني مؤقتاً من ناحية البلشفية في الهند .

أما الخطر الثالث فيأتي من شمال الهند وقد يظن البعض أن هذا الخطر يعد من الأوهام لأن الأمم المجاورة للهند من الناحية الشمالية ليست بذات قوة تسمح لها أن تفتصب الهند من يد انجلترا إلا أن من يدرس المسألة الهندية بتوسع يتضح له أن الخطر من هذه الناحية على النفوذ البريطاني أكثر احتمالاً ، بل يعتبر حقيقة لا وهماً إذ أن سكان الهند يبلغ عددهم كما جاء بدائرة المعارف البريطاني طبقاً لتعداد سنة ١٩٠١ يبلغ نحو ( ٢٩٤٣٦١٠٥٦ ) نسمة و يبلغ عدد المسلمين منهم ( ٦٢٤٥٨٠٧٧ ) وقد جاء في نفس دائرة المعارف البريطانية أن الدين الاسلامي يزداد انتشاراً بنسبة أكبر من غيره من الأديان ، وإذا لاحظنا أن هذه الملايين من المسلمين يكاد يكون أغلبهم أي أربعة أخماسهم على الأقل ينحصر في الولايات المتاخمة للممالك الاسلامية المستقلة وهي الأفغان وإيران ثم إن جانباً كبيراً من هؤلاء المسلمين المقيمين بالهند هم أنفسهم من أصل أفغاني وإيراني وبناء على ذلك فإذا جاءت غزوة من الشمال فستجد لها دعاء مخلصين بل أعواناً من الهنود أنفسهم يقاتلون في صفوفهم إذ لا يخفى أن ولاية الهند الشمالية الغربية تبلغ نسبة المسلمين بها ٩٢ ٪ من سكانها بينما في كشمير وبلاد السند تبلغ نسبة المسلمين ٧٥ ٪ من السكان وفي البنغال الشرقية وولايات أسام تبلغ نسبتهم ٥٨ ٪ وفي البنجاب تبلغ النسبة ٤٩ ٪ وهذه الولايات متلاصقة بل تعد بلاداً واحدة قسمتها فقط الخرائط الجغرافية ومن يدرك عظم النهضة القومية الحديثة في الأفغان وإيران يستخلص منها أنها لازالت تنمو الى الهند . ومما يدل على مقدار تعلق المسلمين خارج الهند بأخوانهم فيها زيارة حبيب الله خان ملك الأفغان سابقاً

ووالد أمان الله خان ( الذي زار مصر من مدة قريبة ) والذي كان حين زيارته  
يبت روح الوفاق والمحبة بين الهنود والمسلمين ومواطنيهم الهندوس وبين المسلمين  
السنيين وبين الشيعيين ، فان هذا الملك قبل أن يصل الى مدينة دلهي علم أن  
المسلمين هناك سيحتفلون بمقدمه واطهارا لفرحهم سيدبحون مئة من الأبقار  
لتوزيعها على الفقراء فلما عرف أن هذا العمل سيؤدي حتما الى وقوع النفور بين  
المسلمين والهندوس الذين يمتبرون الأبقار من الحيوانات المقدسة التي لا يجوز  
ذبحها في الحال أرسل لهم على عدم موافقته لهذا التصرف الذي ينشأ منه اساءة  
لاحاساس مواطنيهم الهندوس وأفهمهم أنه جاء لزيارة كل سكان الهند لا المسلمين  
خاصة وهو لا يميز بين دين وآخر أو جيش وجيش ، لذلك فهو لا يوافق على أى  
عمل يثير بين طوائف الهنود النفور والشقاق ، وطالب منهم استبدال الأبقار بالماعز  
فكان هذا العمل موضع استحسان الجميع ، ولما توجه حبيب الله خان الى كلية  
عليكرة الاسلامية لزيارتها أخذه موظفوها الى « كتيختاتها » ليراها وأطلعوه  
على نسخ من القرآن وبعض كتب الشريعة الاسلامية فقل لهم في رفق « إني  
ما حضرت لأرى الكتب بل حضرت لأرى الطلبة الذين وحدت الكتب من  
أجلهم » وأبدى لهم للمحفوظة الآتية قائلا « هل اذا وجدت في دولاب أحد من  
الناس نسخة من رباعيات عمر الخيام فهل تحكم لمقتنيها بأنه من شعراء الفرس ؟  
وأنتى أعرف جيدا ما تحتوي عليه صحائف هذه الكتب التي أطلعتموني عليها  
والآن أريد أن أعرف ما في رؤوس من يقرأ هذه الكتب . » ولما فهمت  
حاشية المدرسة أنه يريد الاتصال بالطلبة لم يجدوا مفرأ من ذلك فأخذوه الى  
بعض الفصول وبعد استئذانه من رئيس المدرسة في أن يوجه بنفسه بعض  
الأسئلة للطلاب وبطبيعة الحال وافق المدير على ارادة الملك الذي سأل أحد  
الطلبة ما هي قواعد الاسلام الخمس ثم انتقل بعد ذلك الى عدة أسئلة

ثم طلب من أحد الطلبة أن يتلو شيئا من القرآن قائلا له أتلى أى شيء تعرفه ،  
فتلا سورة بصوت جميل فسالت الدموع من عيني حبيب الله خان وجرت على  
خده فابتعد قليلا الى أن حبس دموعه ، ولما أدرك أن الطلبة فيهم شيعة خاطبهم  
قائلا « أنا شخصا رجل سنى وأريدكم أن تصفوا إلى وأن لا تنسوا ما أقوله  
لكم اذا تقدم بكم السن ووصلتم الى الشيخوخة — انى سمعت أن البعض يقول  
عنى ان أمير أفغانستان من السنيين المتعصبين فهل تظنون اننى من أجل مذهبي  
حتمًا أكون متعصبا ضد الشيعة فقالوا « لا » ، فقال لهم دعونى أسألكم هل  
أنتم أيها الشيعيون تفضلون الهندوس على السنيين فقالوا لا ، فقال لهم هذا حسن  
ولعلكم قرأتم فى الصحف أننى منعت المسلمين من ذبح الأبقار استبقاء لمودة  
الهندوس ومحافضة على احساسهم فهل من يكون شعوره نحو الهندوس مثل  
شعورى يكون شعوره نحوكم أقل مودة من شعوره نحو الهندوس لهذا أطلبكم  
أن لا تظنوا بى الظنون فلا تعتبرونى من السنيين المتعصبين وأنا فى أفغانستان  
يوجد بين رعاياى من هو سنى ومن هو شيعى ومن هو هندوسى وهم يمتنعون  
جميعا بتمام حریتهم الدينية فهل تعدون ذلك تعصبا ؟ واذا كان هذا شأنى فأنى  
من أجل ميلى الى الحرية لا أصرح للشيعة بسب الخلفاء الثلاث فاذا قدر  
واعتبرتكم هذا تعصبا فلا كن متعصبا اذن وانتقل الملك من كلامه عن الدين  
والتعصب الدينى الى شئون الكلية الأخرى فقال انى سمعت كثيرا من المدح  
والذم عن هذه الكلية ولكن ما سمعته عن ذمها كان أكثر لذلك جئت  
بنفسى لأقف على حقيقة الأمر فأنى قليل الثقة فى التقارير التى ترفع الى وقد  
بحثت اليوم مسألة هذه الكلية وقد ثبت لى بعد بحث دقيق أن ما سمعته من  
الذم فى كليتكم كان كذبا وانى أحمد الله كثيرا اذ أن معلوماتكم الدينية صحيحة  
وصفاتكم كاملة ومن الآن فصاعد سأسكت كل لسان يتكلم بسوء عن كليتكم

وقد لاحظت أن كثيرا من مسلمي الهند يسيئون الظن بالتعليم الحديث أو ما يسمونه الأوروبي فما أشد غفلتهم وأرجوكم أن تصفوا الى وقال « انى أقف موقفى هذا لأروح للتعليم الأوروبى وعلاوة على أنى لا أجد فيه أى ضرر فقد أنشأت فى نفس بلادى كلية على النمط الأوروبى غير أنى لم أهمل مع ذلك التعليم الدينى بل جعلت اهتمامى به عظيما وأنا ممن لا ينكر أن التعليم الشرقى له قيمته بل أعترف به غير أنى فى الوقت نفسه لا أهمل التعليم الأوروبى تمشيا من روح العصر

وبمناسبة هذه الزيارة اكتتب حبيب الله للكلية بما قيمته ١٣٣٣ جنيا وأوقف عليها أملا كما أرادها السفوى أربعمئة جنيا ومثل هذه الزيارة وما بدا فيها من الشعور الفياض بالمعطف والاخاء لدليل قاطع على ما فى قلوب المسلمين خارج الهند من تمسك بالهند وبمسلميه وحنان الى تاريخهم المجيد بها وأنه اذا قدر وسارت نهضة الشعوب الاسلامية فى شمال الهند فى سيرها الحالى نحو التقدم والرقى فسيكون لهم شأن مع الانجليز وليس يبعد أن يعيد أفغانى مجد الغزنوى أو نادر شاه خصوصا وأن العقيدة الاسلامية والاخاء الاسلامى هما من أنجع الوسائل التى تربط الامم ببعضها فتجعلها أمة واحدة فيوما من أيام الغزنوى أو بابر ياشعب فارس وياشعب الأفغان .

وياليت المسلمين يأخذون درسا نافعا مما حل بهم بسبب تفرق كلمتهم وتوزع قوتهم حتى استعبدتهم الأمم الأوروبية فى مشارق الأرض ومغاربها ، وهل هناك مثل يضرب على تفرق كلمتهم أوضح مما هو حاصل بجزيرة العرب التى لا يتجاوز سكانها اثنا عشر مليوناً من الأنفس ، وبالرغم عن هذا فقد انقسمت وتفرقت شيعة وقبائل وصارت ممالك وامارات وهى فى عدد أهلها لا تعد شيئا اذا قيست باحدى الأمم الأوروبية كالمانيا أو ايطاليا أو فرنسا :

فنسمع عن أمارة في شرق الأردن ومملكة العراق والحجاز ونجد واليمن وسلطنة  
مسقط وامارة الكويت ثم نعود فنسمع عن السنيين والشيعة والوهابيين  
والزيديين . فمالهم انقسموا ومالهم اختلفوا فرققا ملوك العرب وأمراءهم بأمة كان  
لها تاريخ بلغ مجده عنان السماء ثم أصبحت فريسة لأحق طوائف الأرض —  
ألم تر فلسطين وما حل بها وهل يموت أبناؤها وأتم أحياء وهل يحصل كل هذا  
من أجل تفرق كلمة الملوك والأمراء . وليت السماء انطبقت على الأرض ولم نسمع  
أن الصهيونية بنت عشها بفلسطين وباضت فيه وأفرخت ، ونشأت فيها دولة  
للمرايين الذين أصبحوا يستعبدون أبناء الصحراء وهي منبع الرجولة بل الوطن  
الذي أخرج أكبر غزاة العالم وعظماهم وهل يصبح أبناء الغزاة الذين دانت  
لكلمتهم الأمم ورفعت راياتهم في ربوع الهند وأفريقيا — هل يصبحون  
مكتوفى الأيدي أذلاء ؟ والله لن اجتمعت كلمتكم وتوحدت مجهوداتكم لتقذفن  
الصهيونية ومؤيديها في اليم . وما للمسلمين وهم اخوان في الدين وشركاء في الحق  
لا يعملون على ايجاد خلافة محمدية أو تكوين عصبة أم اسلامية يسود بين  
أصحابها السلام والاخاء والتضامن والولاء — والفرصة سانحة وبألها من فرصة  
عظيمة اذا اغتنمتوها — وهذه انجلترا التي استخدمت مئات الألوف من  
المسلمين الهنود وغيرهم نسيت دماءهم البريئة التي أريق في الحرب الأوروبية  
الأخيرة ، والآن تطارد طائفة صغيرة من المسلمين من أجل أمة المرايين الذين  
أنذرهم الله بالحق اذ قال في كتابه العزيز « يمحى الله الربا »

إن سماء انجلترا السياسي فيه سحب متقطعة ونذر متجمعة فالخطر محقق  
بها واليابان واقفة لها والروسيا تبث دعايتها وقد نفذت كلمة ألمانيا وإيطاليا عليها  
بعد ما كانت تخضع لها وقد أصبحت هذه الامبراطورية المستعمرة لحسن العالم  
تتخبط في سياستها وهي التي غررت بالشعوب الضعيفة وطمطمت بديمقراطيتها



وأصبح حاضرها شرّاً من ماضيها ، ولقد كان في ماضيها بعض الحسنات فهي التي ساعدت على إلغاء الرق وحررت منه السود في أفريقيا وأمريكا فهاها الآن تريد أن تستعبد العرب وهم من أعرق الشعوب حرية وما لها تخرج شعباً من وطنه وتهدم منازل السكان فتخدم بذلك مآرب الصهيونيين وهم الذين نشروا الشر في الدنيا فأصبحت الأمم تطردهم والحكومات تلفظهم ، وهلا وسع اليهود جزء من أملاك الانجليز وهم أصحاب كندا وأستراليا الحالية من السكان ولعل اليهود يدركون في آخر لحظة ما زجهه فيه الانجليز من ورطة ، ولعلمهم يرجعون عن عيهم وانى لأحذرهم بأن آية الرايين سيتم تفسيرها في تل أبيب .

أيها التل الأخضر ستصير أسود قائما .

قد يدهش القراء اذ يرون في بعض صحائف هذا الكتاب شرودا لا يتعلق بالهند بل بالعرب والدعوة الى ائتلافهم وتجميع كتهم ، ولكن المسلم أخو المسلم يشعر بشعوره فما يؤلم الهند يؤثر في مصر وفي صنعاء وبغداد ونجد فكلاما ذكرت فلسطين غلبت على نزعة الغضب فلم أستطع مقاومته بل كتبت ما كتبت رغما عني وضد واجبي كمصري ، ومصر حليفة لانجلترا ، من أجل هذا اعتقدت أن في مقدمة الأخطار التي تهدد مركز انجلترا في الهند معاملتها السيئة للعرب في فلسطين وفي جهات عدن ، وانى أؤكد لحضرات القراء أن من الواجبات المقدسة علينا كأمة أن نحفظ عهد الانجليز كحلفاء فنحارب حربيهم ونسلم سلمهم ولكن لا زال في الشرق للنزعة الدينية سلطان قوى ، يسيطر على مشاعرنا جميعا والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، من أجل هذا صار منبع الخطر الذي يأتي من ناحية المسلمين ليس بعيد الوقوع بل كثير الاحتمال ، وأن شرر فلسطين ربما أشعل الشرق الأدنى

والأوسط وياليت انجلترا أحبت السلام وياليتها راعته في فلسطين كما « احترمتها في برلين في مسألة تشيكوسلوفا كيا »

بقيت مشكلة أخرى خاصة بمسلى الهند فهذا الفريق من المسلمين كان في الماضي يلزم سياسة العزلة عن باقي اخوانه المسلمين في الممالك الأخرى فلا يتصل بهم ولا يتصلون به حتى انتهت الحرب الأوروبية فتغيرت أطوار مسلى الهند وتآلفت بينهم جمعية الخلافة الاسلامية التي قام بها الأخوان محمد علي وشوكت علي بالهند وهي من العلامات التي تدل دلالة قاطعة على تيقظ الشعور الاسلامي في الهند . ومما يجعل مركز الانجليز بالهند مزعزعا ما يسلكه بعض الموظفين البريطانيين مع السكان ويرتكبونه من قسوة وظلم ولا يغيب عن البال حوادث الجنرال داير في مدينة أمرتسار بالبنجاب إذ بلغت اجتماعاً كانت تلقى به خطب سياسية فيدلاً من أن يأمرهم أو ينذرهم أولاً بالتفرق أمر بتسليط المدافع الرشاشة عليهم واستشهد في هذه الحادثة ثلثئة وستين من الهنود وبلغ عدد الجرحى منهم ألفاً ومنتين ، ولم يكن بينهم من يحمل سلاحاً فلم تكن حادثة دنشواي التي ولدت في قلوب المصريين كرها ومقتاً للانجليز الا امراً بسيطاً بالنسبة لحوادث الهند ومع ما كانت عليه حادثة الجنرال دير من الفظاعة والقسوة فقد قال عنه القاضي الانجليزي « ما كاردى » « أنه لا غبار عليه » وأمة تستخف بالأرواح وتهرق الدماء وتكثر من الشهداء بين الشعوب التي تحكمها فبشرها بأن دماء هؤلاء الشهداء ولأبرياء لن تضيع أبداً . وأذكر عبارة تاريخية لا بأس من سردها :

لما نكب هارون الرشيد وزراء البرامكة ذهب أحد أعوانهم وأخير يحيى بن خالد البرمكي وهو يقاسى أهوال السجن في أواخر أيام حياته وقال له : « لقد قتل الرشيد ابنك » فقال له : « كذلك يقتل ابنه » وعاد الرجل وقال له :

« لقد هدم هارون منازلك » فقال : « كذلك تهدم منازلهم » وهامم الانجليز يرتكبون الجرمين وسيجزون بمثل ما يعملون .

بقي الخطر الرابع وهو داخلي يتعلق بنفس الهنود والذي له إمام بشؤون الهند يستنتج من حالتها أنها لا يمكن أن تكون أمة واحدة وحكومة واحدة فالأديان فيها متعددة إذ فيها الهندوس والمسلمون والسيك والباراسي والمسيحيون وغيرهم ، علاوة على ذلك ففيها تعدد اللغات ، ففيها الهندستاني والراجبوتاني والأوردو والتاميل والبنغالي والجواجيراتي وكل هذه تقف كوائع تحول بين تكوين أمة هندية مؤتلفة لذلك كانت الأخطار الداخلية ليست ذات شأن عظيم فهي لا تهدد انجسرتا اللهم لا اذا استطاع زعماء لأديان أن يأتلفوا فيما بينهم وأن يحترم كل فريق منهم الاستقلال الداخلي للفريق الآخر فاذا أمكن التغلب على الخلافات الطائفية والدينية واللغوية فلن يصبح الخطر الداخلي من الأمور التي يستهان بها .

---

## كلمة المؤلف

كنت أسمع أن في الهند شعوباً إسلامية يزيد عددها عن مجموع سكان تركيا والعرب وفارس والأفغان فتصفحنت كتب الكامل لابن الأثير وتاريخ الطبري وابن خلدون وابن إياس ومروج الذهب للمسعودي وغيرها من كتب التاريخ المكتوبة بلفتنا العربية فلم أجدها ما أستطيع أن أستفيد منه شيئاً تاريخياً عن الهنود المسلمين ؛ لذلك لجأت إلى كثير من المؤلفات باللغة الانجليزية منها :

الهند في القرون الوسطى (للمؤلف لنبول)

تاريخ المغول العظيم ( « كندى » )

دائرة المعارف البريطانية

الهند ( « السير فالتين تشيرول » )

وكتاب آخر عن الهند الحديثة ( للأستاذ وليم مدرس التاريخ

سابقاً بجامعة الله أباد )

وغیره من المراجع

وكتبت هذا التاريخ راجياً أن أسد به نقصاً في كتبنا التاريخية إذ يجب

على من يريد الاطلاع بتاريخ المسلمين وثقافتهم أن يلم بهذا القسم الغير عربى

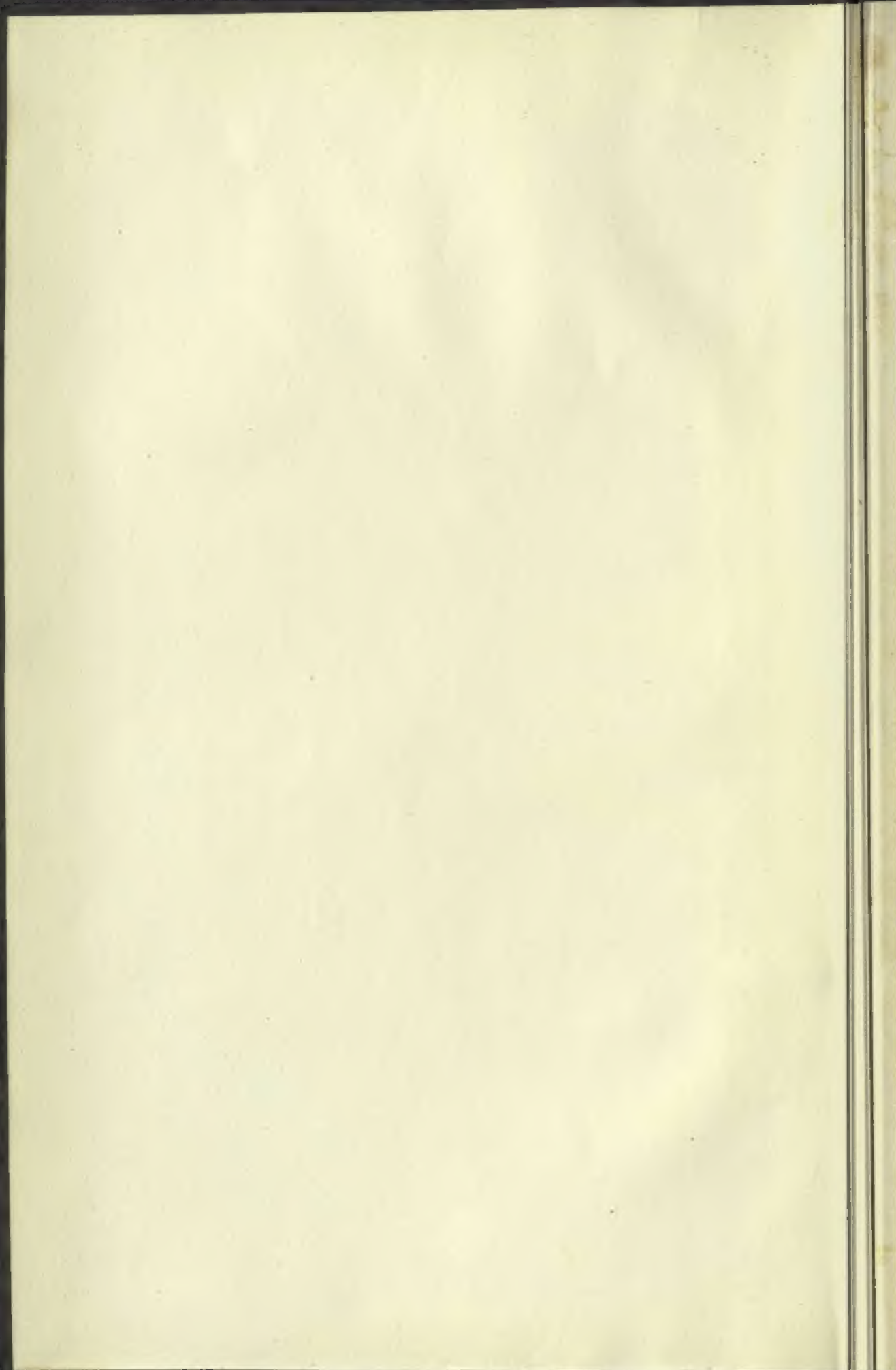
والذى بدونہ لا تكون معلومات المؤرخ الإسلامى كاملة ، ولقد شجعتى ودفعنى

الى الاقدام على اختيار هذا الموضوع ما وجدت فيه من عبر ومواعظ ينتفع بها

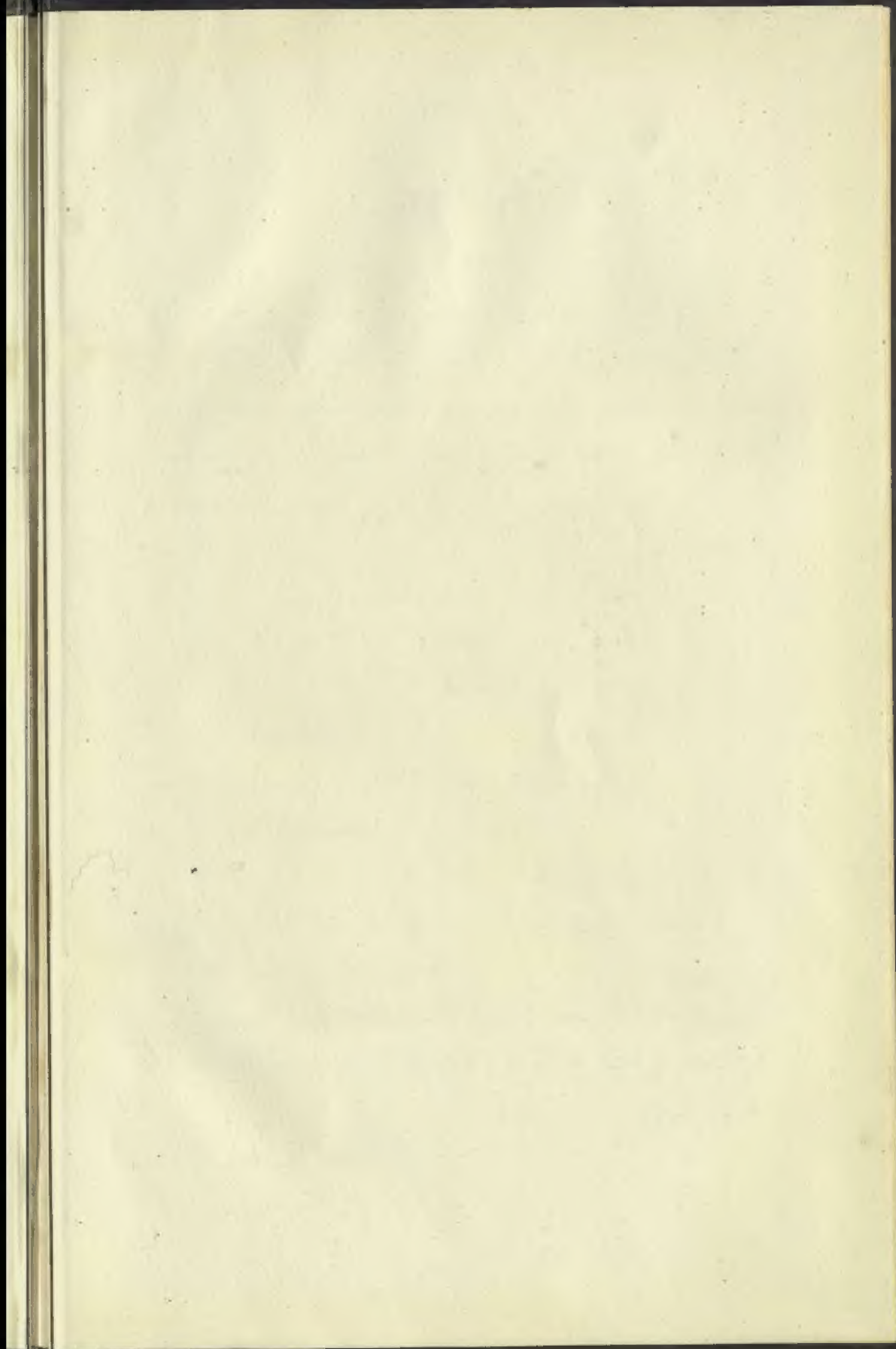
الحاكم والمحكوم .

محمد عبد المجيد العبد

عضو مجلس الشيوخ





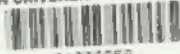


297.09: [redacted]

العبد، محمد عبد المجيد

... الاسلام والدول الاسلامية في الهند

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01001558



AMERICAN  
UNIVERSITY of BEIRUT

